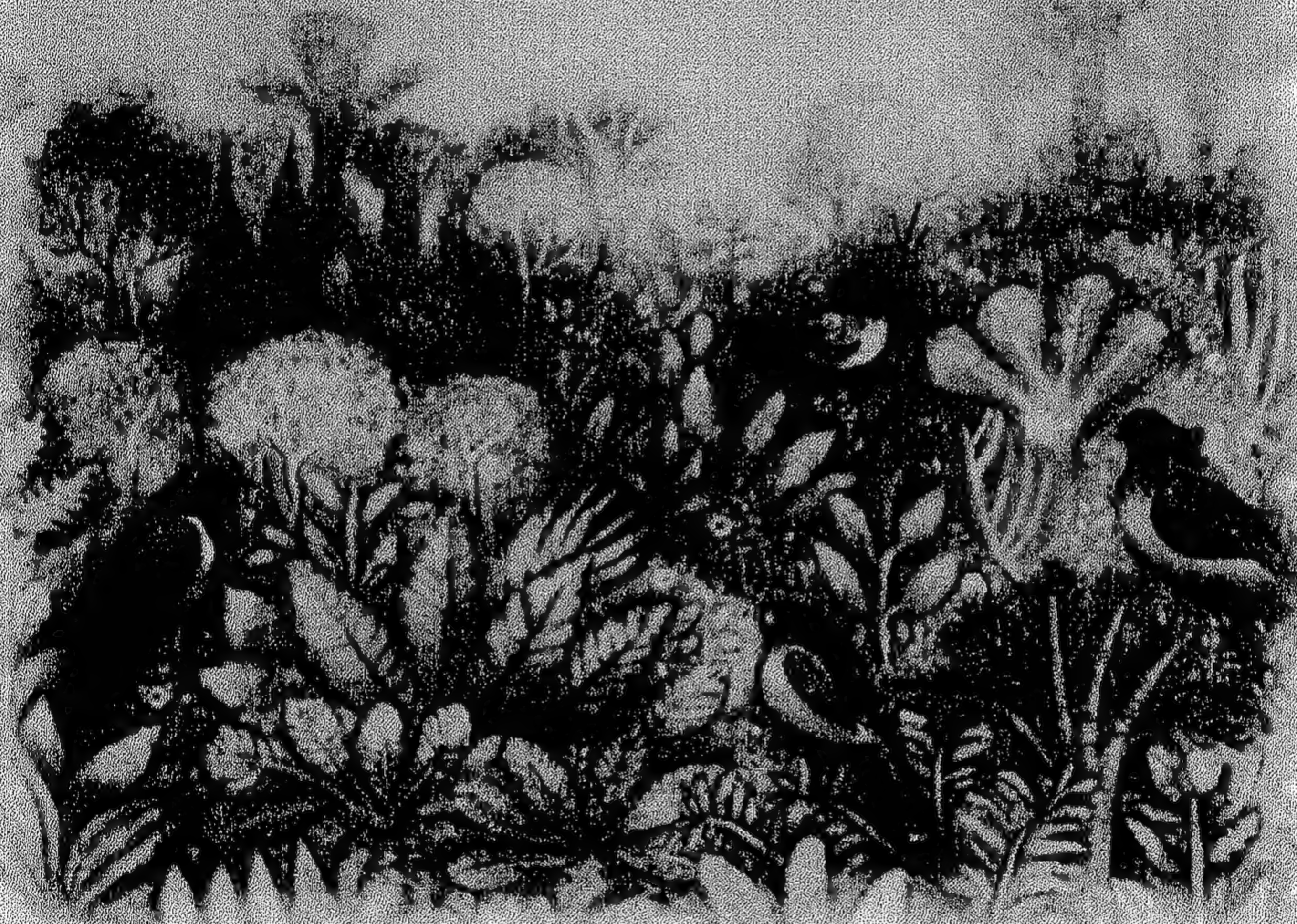


# الفردوس الأعلى

المكتبة  
الأطلس  
العلمية



المشروع القومي للترجمة



تأليف

عبد الحليم شرر الهندي

ترجمة

جلال السعيد

تقديم ومراجعة

سمير عبد الحميد





المشروع القومي للترجمة

# الفردوس الأعلى

تأليف

عبد الحليم شرر الهندي

ترجمة

جلال السعيد الحفناوي

تقديم ومراجعة

سمير عبد الحميد إبراهيم





## تقديم

يمتد نسب الأديب عبد الحليم شرر مؤلف رواية الفريوس الأعلى (فريوس برين) إلى الأسرة العباسية ؛ فقد هاجر أجداده من جزيرة العرب إلى العراق ومنها إلى هراة ، ثم نزحوا إلى الهند في عهد السلطان محمد تغلق ، واشتهرت الأسرة بمشايعها وعلمائها ، وكان «نظام الدين» الجد الأكبر لعبد الحليم شرر قد استقر في لكهنؤ ؛ حيث ولد عبد الحليم شرر لأب عرف بمكانته بين العلماء ، وإجادته للعربية والفارسية ، وقد عمل والده موظفًا في بلاد السلطان "واجد على شاه" آخر ملوك المغول في "أوده" ، أما عبد الحليم شرر نفسه ؛ فقد ولد في إحدى القرى التابعة للكهنو في جمادى الثانى سنة ١٢٧٥ هجرية/يناير ١٨٦٠م ، تعلم في صغره على يد شقيق جده لأمه وكان من أساتذة العربية والفارسية ، ثم استدعاه أبوه إلى كلكتا ؛ حيث كان يعمل هناك ، وذلك سنة ١٨٦٧م ؛ فأكمل شرر تعليمه هناك ؛ حيث حفظ القرآن الكريم ودرس الفارسية والأردية ، وأعادته أبوه إلى لكهنؤ سنة ١٨٧٧م ، لكنه ارتحل إلى دهلى سنة ١٨٧٩م حيث التقى ببعض العلماء ، وبدأ ترجمة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب فكانت هذه هي الأولى لشرر في عالم الكتابة ، ثم بدأ في كتابة مقالات أدبية وعلمية في الصحف أثرت في القراء ، وترجم "الروح" لابن القيم ونشر الترجمة في

سلسلة من المقالات بهذا العنوان ، وقد أعجب سيد أحمد خان بهذه المقالات واقتبس منها .

سافر عبد الحليم شرر إلى إنجلترا حيث أقام أكثر من سنة ونصف ، أتقن خلالها الإنجليزية كما درس اللغة الفرنسية وترجم عنها إلى الأردية ورجع سنة ١٨٩٦م ، وأصيب بمرض شديد أقعده من سنة ١٩٠٤م حتى سنة ١٩٠٧م ، وتوفي في جمادى الثانى سنة ١٣٤٥هـ / ديسمبر ١٩٢٦م.

ورث عبد الحليم شرر عن أجداده حب العلم والزهد واحترام الناس ، وكان متسامحاً غير متعصب ، نادى بضرورة تعليم المرأة ومشاركتها في نشاطات المجتمع .

نال عبد الحليم شرر مكانة بين أدباء أواخر ق ١٩م وأوائل ق ٢٠م ممن أفاقوا الأدب الأردى عن طريق تقديم أنماط الأدب الغربى وأساليبه الفنية ، ويرجع سبب شهرته أساساً إلى رواياته التاريخية ، رغم تنوع مواهبه وتعدد مجالات كتاباته ؛ فقد نشر على الأقل خمسين رواية ومسرحية ، بعضها مترجم ، أما مقالاته فقد نشر في ثمانية مجلدات ، ونشر شعراً حراً لأول مرة في الأدب الأردى ، كما عرض اتجاهات الشعر الحديث في الأدبى الإنجليزى على أدباء الأردية ، وألف كتباً في السيرة والتاريخ ، وأصدر وشارك في إصدار عدد من المجلات والصحف .

يرى بعض النقاد أن رواياته تفتقد إلى الحبكة ، ورسم الشخصيات ، إلا أن روايته "فريوس برين" أو "الفريوس الأعلى" التى ترجمها إلى العربية الدكتور جلال السعيد الحفناوى هى الرواية الوحيدة



التي يمكن القول بأنها رواية ناجحة فنياً ، ولهذا نالت شهرة واسعة بين أبناء الأردية ، وأشاد بها جميع النقاد .

كتب شرر روايته "فردوس برين" سنة ١٨٩٩م ؛ فقدم لكتاب الرواية في شبه القارة الهندية نموذجاً طيباً للرواية ، إذ تعد فردوس برين أو الفردوس الأعلى من ناحية الشكل الروائي من أحسن رواياته ، رغم أنها من ناحية فن كتابة الرواية التاريخية لم تحقق النجاح المطلوب .

ويذكر أنه كتب أول رواياته سنة ١٨٨٥م بعنوان "داجسب" ، وكتب أول رواية تاريخية له سنة ١٨٨٨م بعنوان "ملك العزيز وفرجينيا" ثم كتب عدداً من الروايات فيما بعد منها الرواية المترجمة هنا ورواية قيس ولبنى ورواية يوسف ونجمة ورواية أيام العرب وغيرها ، ورغم كثرة ماكتب من روايات إلا أن رواية فردوس برين تعد من ناحية الشكل من أنجح رواياته ، بل تعد حجر الأساس للشكل الروائي في الأدب الأردني ، فعناصر الرواية هنا تتجمع لتعطي تأثيراً كاملاً في القراء ؛ إذ نلاحظ أن الحبكة الروائية ، ورسم الشخصيات ، وتصوير البيئة ، والتعبير عن العواطف وفلسفة الحياة ، كل هذه العناصر تتجمع لتعطي التأثير الذي يمكن أن نتصف به الرواية الدرامية ، لقد كتب شرر فردوس برين فأرسي بذلك دعائم كتابة الرواية الدرامية في الأدب الأردني الروائي ، وهذا يعني أنه ترسم صورة لتجارب الحياة ، وهكذا عرض شرر في فردوس برين تجارب "حسين" بطل روايته ، مما يضيف على الرواية خصوصية درامية نلاحظها في تجدد العمل من خلال الشخصية ، والعمل يغير من صورة الشخصيات ، وهكذا تمضي الرواية إلى نهايتها عن طريق العمل أو الفعل ورد الفعل ،

وقد حملت الرواية فى بدايتها الأسرار التى تجعل منها رواية جذابة ، وتستمر هكذا حتى تتكشف الأسرار فى نهاية الرواية ، وهذه الأسرار هى التى حملت عناصر الرواية إلى المركز ، وهذا المركز هو الذى يضم البناء الروائى ، ففي فرودس برين أسرار أساسية تبدأ بغياب "زمرد" حبيبة حسين وزوج المستقبل ، فتلف هذه الأسرار فى تلايبيها حسينا الذى يتلقى رسائل «زمرد» من العالم الآخر فيعمل طبقا لأوامرها وينضم إلى فرقة الحشاشين الباطنية ، عندئذ تتجمع عناصر متنوعة :

قوة هذه الفرقة الجبارة ، وسائل السيطرة على المعتقدين بمبادئها ، وهى وسائل محيرة ، بعض الشخصيات العجيبة لهذه الفرقة ، المساوئ والخراب الذى أحدثته هذه الفرقة ، ارتكاب حسين لجرائمه الشنيعة بعد أن سقط فى أيدي هذه الفرقة ، الجنة المزيقة ، ثم القضاء على هذه الفرقة وانكشاف جميع الأسرار ، وهكذا تكتمل جميع العناصر التركيبية للرواية كلها بانسجام فى جو ممتع تلفه الحيرة أحيانا .

وبالإضافة إلى الحبكة الروائية نلاحظ أيضا دقة رسم الشخصيات وخاصة شخصية الشيخ على وجودى ، الذى يعد من أبرز من صورهم شرر فى روايته من شخصيات ، فقد أفاد شرر من الحوار الرائع لإبراز صورة هذه الشخصية ، التى أشاد بها جميع نقاد الأدب الأردى .

ولاشك أن هذه الرواية تعد من أفضل ماكتب شرر ، رغم أنها إذا وضعت على محك الرواية التاريخية فإن بها العديد من نقاط الضعف ، وربما يرجع السبب إلى أن عبد الحليم شرر لم يعرض الحياة الكاملة



للعهد الذى تناول فيه أسلوب عمل الفرقة الباطنية ، وهو ما تداركه فى روايته "بابك خرمى" التى كتبها سنة ١٩١٧م ، وتناول فيها جرائم الخرميين فى عصر الدولة العباسية ، تلك الجرائم التى أثرت فى نسيج الحياة الاجتماعية العامة ، وعلى العكس من هذا فهو فى فريوس برين قصر روايته على النشاط الداخلى للفرقة الباطنية دون ذكر شئ عن الأحوال والظروف السياسية لتلك الفترة ، ولا عن حكام تلك الفترة ولا عن التدابير التى اتخذت للقضاء على هذه الفتنة، فالقارئ لا يدرك شيئاً عن تأثير الفرقة على حياة تلك الفترة ، وتأثيرها على الحياة الاجتماعية لذلك العهد وأسلوب ونهج الحياة العامة آنذاك وأفكار الناس المتعلقين بالفرقة الباطنية ، فكل هذا لم توضحه الرواية ، فضلاً عن أن القارئ يلاحظ بعض الأمور المتضاربة ؛ فحسين وزمرد يعتقدان تماماً فى وجود الحور ؛ لدرجة أنهما يشاهدان بعض النسوة فيعتقدان بأنهما شاهدا "حوريات" من الجنة فيصابا بالإغماء ، وحسين يصل به الوهم إلى درجة أنه يجد خطاب زمرد فيظل يعتقد بأنه مرسل إليه من الفريوس الأعلى ، دون أن يعمل فكره مرة واحدة ، لكن حين تصدر له الأوامر من خلال الخطاب بالعودة إلى بيته يبدأ فى التفكير فيما حدث .

وعلى كل حال لم توضح الرواية أسباب غرق حسين وزمرد فيما غرقا فيه من وهم ، وعلى كل حال فالإبقاء على أسرار الفرقة الباطنية دون الكشف عنها إلى آخر الرواية نال رضا النقاد والأدباء فى شبه القارة ، ومع هذا فلا يمكن القول بأن الرواية نجحت كرواية تاريخية ؛ لأن الرواية التاريخية ؛ يجب أن تقدم الشخصيات التاريخية وغير التاريخية بحيث تعبر عن جميع ظروف المجتمع فى ذلك الوقت ،

وهذا ما تفتقده رواية فردوس برين أو الفردوس الأعلى ، فهي لا تلقى الضوء على الأحوال والظروف الاجتماعية لذلك الوقت ، ولو لم يذكر شرر السنة والمكان لما عرف القارئ أن هذه الرواية تنتمي إلى زمن مضى !

ورغم هذا فقد نالت رواية "فردوس برين" إعجاب القراء في شبه القارة الهندية الباكستانية ، وصدرت لها طبعات كثيرة طوال السنوات السبعين الماضية ، لكن الناشرين لم يهتموا بتصحيح الكتابة ، ولهذا وجدت أخطاء مطبعية كثيرة جداً ، وجاءت العبارات أحياناً غير مترابطة نتيجة عمل النساخ الذين كانوا يضيفون من عندهم أحياناً ، مما دفع أحد علماء الأردية وهو الدكتور قمر رئيس إلى إصدار طبعة منقحة ، يكون متنها خالياً من كل خطأ ، بعد أن وازن بعض النسخ القديمة ليصدر هذه الطبعة في فبراير سنة ١٩٨٢م وهي الطبعة التي اعتمد عليها الدكتور جلال السعيد الحفناوى في ترجمته التي تصدر بالعربية لأول مرة .

ولاشك أن الدكتور جلال السعيد الحفناوى قد بذل جهداً كبيراً في سبيل ترجمة هذه الرواية التي يرجع تأليفها إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، وهو بترجمته هذه يقدم لقراء العربية والمهتمين بالآداب الشرقية نموذجاً فريداً من نماذج الأدب الروائى الشرقى بقلم أديب متميز من أدباء الهند الكبار ، وسوف تتيح هذه الترجمة للمهتمين بالدراسات الشرقية والدراسات الأدبية المقارنة فرصة للتعرف على نماذج من الأدب الأردى الذى يرجع تاريخه إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .



ولايفوتنى هنا أن أتقدم بالشكر للمجلس الأعلى للثقافة ممثلاً في  
شخص الأستاذ الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة  
على اهتمامه بنشر ترجمة هذه الأعمال الإبداعية المتميزة من الآداب  
الشرقية إلى اللغة العربية . وبالله التوفيق .

سمير عبد الحميد إبراهيم





## الباب الأول

### سرب الخوريات (الخور)

نحن الآن فى عام ٦٥١هـ ، لكن قبل ذلك بقرن ونصف قرن كان معظم السياح خاصة الحجاج يسلكون طريقاً غير ممهد ووعر، مليئاً بالمخاطر والصعاب ، يبدأ من الساحل الجنوبى لبحر الخزر (بحيرة قزوين) ثم يتوغل فى مدينة آمل ماراً بمنطقة رودبار ومازندران وهى ملاعب الجن القديمة التى ورد ذكرها فى الشاهنامة ثم يقطع جبل طالقان شمالاً وجنوباً ليخرج من مدينة قزوين. ظل هذا الطريق فترة من الوقت على هذا الحال حين كانت القوافل الكبيرة تنهب وتُسرق فى وضوح النهار بلا أدنى خوف، وبقيت هناك جثث الأبرياء مدفونة فى الجليد منذ سنوات عديدة دليلاً شاهداً على الظلم والقتل والنهب.

كان فصل الشتاء قد بدأ فى تلك الأيام؛ ولم تكن طبقات جليد العام الماضى قد ذابت كلياً ، فى حين بدأت تتكون طبقات جديدة ، ولم يكن الصقيع قد بلغ منتهاه حتى ذلك الحين ، بينما انتهت ملامح فصل الربيع وبهجة فصل الورود التى لم يبق منها سوى ورود نهاية الفصل المتناثرة هنا

وهناك، نلمح فى أماكن متفرقة البلابل (البدخشانية) التى تعشق الورود تتغنى بألحان جميلة عذبة، تقص آلاف الحكايات، لم تكن هذه المنطقة الجبلية تشبه جبال جزيرة العرب المقفرة، الجرداء، وبشمسها المحرقة، بل كانت فى كل أنحائها دوحة متشابكة الأشجار وارقة الظلال يتخذ منها محبو الطبيعة وطالبو الحقيقة خلوات مثالية للعزلة والوحدة. وبينما كان ذلك المكان دوحة أشجار فرشتها الطبيعة من تحتها ببسط مخملية وعشب أخضر كانت السماء خيمة زرقاء حتى إنك لو افترشتها وجلست عليها لرغبت فى التمتع بالخمر الشيرازية، وهنا نهر ديرنجان بديلاً عن نهر ركن آباد الذى قد توقف عن الجريان منذ مائة وخمسين عاماً كاملة، فبعد أن يقطع (رود سفيد) يتشعب فى الممرات الجبلية المختلفة ويصب فى النهاية فى بحر الخزر بالقرب من مدينة خرم آباد.

كانت تلك المناظر الخلابة والطبيعة الفاتنة سبباً فى ظهور الحكايات المختلفة المرتبطة بهذا الجبل، يقول بعض الناس إن الجن موجود فى تلك الممرات الجبلية، ويعتقد البعض أن كيومرث ورستم ونريمان قد قضوا بسواعدهم القوية على جماعة الجن، إلا أنه مازال هناك كثير من الحوريات تعيش فى تلك المناطق المعزولة حتى اليوم تذكرنا بجماعة الجن، وقد رأى معظم العالمين ببواطن الأمور تلك الحوريات وهى تطير، كما رأى بعض السياح سرب الحور المبهر يخرج فجأة من بين الشعاب الجبلية، ويروى أنه من كان وحيداً وصادف هذا السرب سقط تحت أقدام الحور ومات على الفور.

إلا أن الباطنية والملاحدة الذين يقطنون هذه المنطقة ويتشرون بها أكثر ظلمًا وبطشاً من الحور والجن، وطبقاً للأصول والعقائد القديمة فإن المسلم



الذى يقع فى أيديهم لا يمكن أن يَسَلَمَ بأى حال ، وخاصة فى شهور جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب ؛ حيث تكون مظالمهم على أشدها ، وسبب هذا أن المسلمين فى مناطق تركستان وقرغيزستان واستراخان يتزلون فى هذه المنطقة عندما يتوجهون للحج ؛ فإنهم بعد أن يعبروا بحر الخزر بالمراكب ، ثم يطوون جبل طالقان هذا حتى يصلوا إلى أرض العراق ومنها يقصدون أراضى الحجاز المقدسة ، ورغم أن بطشهم اشتهر فى كل مكان هناك فقد هجر معظم الناس هذا الطريق ، إلا أن بعض المسلمين ممن لا يبالغون بالأمر لا زالوا يمرون به بدافع من الحماس وحسن النية ، وخاصة أهل آمل وما حولها ، فليس لهم من طريق غيره .

هذا الطريق الذى ورد ذكره يمتد إلى مسافة بعيدة جدا ، إلا أننا لن نهتم إلا بهذا الجزء من الطريق الذى يمر على ساحل نهر ديرنجان ، وينتهى هذا المكان بوادى رودبار وتبدأ المرتفعات والمنخفضات الجبلية المتعرجة والوعرة ، وإذا ما تقدمنا قليلا مضى الطريق إلى ناحية أخرى واختفى بين الشعاب الجبلية الملتوية بعد دورانه فى أحضان نهر جبل البرز .

بقى على الليل بضع ساعات ، واقتربت الشمس من القمم المكتسية بالثلوج ، وقد زال الدفء القليل الذى كان فى أشعتها الواهنة ، وهبت لفحات الهواء الباردة من أعالي المنطقة الثلجية ؛ فكانت كافية لكى تسرى القشعريرة فى الإنسان .

وفى هذا المكان ، وفى هذه الحالة ، ظهر مسافران يتهاديان رويداً رويداً من ناحية الشمال ، وكانا قد اتفقا بالملابس من رأسيهما حتى

أخمص أقدامهما كأنهما كتلة كبيرة من الملابس ، وكان كل منهما يمتطى حماراً صغيراً منهك القوى ، ويسدو من وجهيهما الشاحبين وحالتهم العامة أنهما صوفيان فقيران من قرية ما ، أو درويشان تركا الثروة وتركوا الفروسية وخرجوا في هذا السفر لأمر مقدس ولهدف ديني . . لكن لا . . فعندما اقتربا اتضح أنهما ليس شيخين ولا صوفيين ، بل هما شابان من أبناء النبلاء ، ومن المدهش أن أحدهما رجل والآخر امرأة ، ويظهر من وجهيهما أنهما من أسرة عريقة ومن المستحيل ألا يكون إلا من أسرة عريقة رغم أن ذلك لا يبدو من هيئتهما أو ملابسهما ؛ لأنهما كانا يتزيان بزي أشرف أمل تحت الأردية الثقيلة التي تغطهما تماماً ؛ أما الرجل فهو في مقتبل شبابه ، وهو شاب وسيم يرتدى لبادة كبيرة من الجلد على قفطان صوفى وعلى رأسه قلنسوة تركية طويلة قديمة مصنوعة من عيدان الخيزران على شكل مخروطى ملفوفة بجلد شاة سوداء ، وعلى القلنسوة عمامة قد لفت مرات معدة حول رقبته وأذنيه من أسفل إلى أعلى ، وفى قدميه جورب وسروال صوفى وقد تمنطق بحزام من الجلد ثبت فيه خنجراً كما علق فيه سيفاً وجعل فيه جعبة للقوس والسهم ، كان من العادات التي يحرصون عليها قديماً أن يربطوا الأسلحة ببردة الحمار ويضعون بها حربة يستعملها هذا الفتى الشجاع فى الصيد بالإضافة إلى زاد الطريق الضرورى لسد رمقه هو ورفيقة سفره الفاتنة ، كان هذا الفتى يمتطى حماراً بينما امتطت الحمار الآخر فتاة جميلة فى الثامنة أو التاسعة عشرة من عمرها فى ملابس كثرة رثة تخفى حسناتها الأخاذ إلى حد كبير ، لكن أتى لها أن تخفى حركاتها ودلالها ، فهذه المساحة المكشوفة من وجهها تنم عن حسناتها وجمالها ، ومن يحظى برؤيتها لأول مرة يعلم أنه لن يرى مثل هذا الحسن وذاك الدلال ، ولكن جميلتنا ذات الحسن النادر كانت ترتدى سروالاً



فضفاضًا من الحرير الأصفر من أعلاه لأسفله ، وتربط على ركبتيها قطعة من القماش المموج المزركش ، وتلف عنقها بشال حرير أحمر ، وتغطي رأسها بخمار أزرق من قماش الحرير الأطلسي ؛ كانت كل هذه الثياب مختفية تحت جلياب صوفى ، وكان الشيء الوحيد الذى يدل على أنها امرأة هو مئات الصفائر الصغيرة التى كانت تخرج من تحت الخمار وتتبعثر من كتف إلى آخر ثم تستقر على ظهرها ، وكانت تتعر مرارًا بسبب وعورة الطريق أو سرعة الحمار .

ومع أنه من الصعب تصوير جمال هذه الفتاة الفاتنة ، إلا أن هذه الصفات ربما ترسم صورة بسيطة لوجه جميل جذاب أمام المولعين والمتحرقين شوقًا للجمال والحب ، ويكفى للمرء أن يفقد صوابه ما إن يرى تناسق أعضائها الفائق بما فى ذلك وجهها المستدير كقرص الشمس كما هو الحال عند ساكنى الجبال ، وخذها المشرب بالحمرة وعيناها السنجلاوان العسلتان ورموشها الطويلة المشرعة وجبهتها العريضة وشفثاها الرقيقتان بما فيهما من اعوجاج يبسط نواجزها الرقيقة الممتدة إلى ذقنها المدبب كأنه صب فى قالب صغير ونظراتها الخاطفة ، بالإضافة إلى عينيْن وحاجبيْن جريئتين .

كان هذان المسافران الشابان يجيلان النظر فى كل اتجاه وهما يسيران فى صمت وقلباهما يرتعدان من الخوف بسبب صعوبات الطريق ، وبدأ الاضطراب يظهر على وجهيهما الرقيق الذى لم تنضجه التجربة بعد بسبب حلول الظلام ، ورغم هذا لم ينطقا بحرف ، وفجأة تغلبت على الفتاة عواطف لحظية آتية مفاجأة فأخذت نفسًا باردًا وسألت بصوت رقيق ساحر "أى يوم هذا؟" .

الشاب : (بعد أن بدأ يحسب في صمت) الخميس .

الفتاة : (في لهجة ممزوجة بالحسرة) لقد انقضى اليوم على تركنا  
لمنزلنا ثمانية أيام كاملة (وبعد ستة من التأمل) يعلم الله ماذا سيقول الناس  
وكيف سيكونون آراءهم .

الشاب : سيقولون إننا تركنا وطننا شوقاً إلى الحج .

الفتاة : (بعد أن زفرت آهة باردة) وسيتهمونني كذلك بأنني رحلت  
مع غير محرم .

الشاب : يا زمرد (اسم هذه الفتاة) لم أعد الآن غير محرم بالنسبة  
لك ، سنصل إلى قزوين في خلال بضعة أيام ، وستزوج بمجرد أن نصل  
إلى هناك .

زمرد : (بعد أن أخذت نفساً بارداً) يعلم الله هل سيكتب لنا  
الوصول إلى هناك أم لا؟ فالطريق معروف بمخاطره وصعوباته ، والمسافر  
المحظوظ هو من لا يقع في قبضة الحور ، وحتى لو نجأ فأنى للملاحدة (\*)  
أن يتركوه ؛ عندئذ طرأ على زمرد تغير غير عادي ؛ فقد ذكرها ذلك  
المكان بذكرى خاصة ، وأخذت تتلفت في كل مكان وتنظر حولها في كل  
اتجاه وتأوهت آهة باردة عدة مرات .

لم يفكر الشاب في هذا الأمر قط ، ثم بدأ يقول في لهجة عادية :  
" أنا مطمئن من جانب الملاحدة ؛ لأنني تلقيت رسالة من "ملا حسبة  
الله" نقييهم المشهور في آمل ، وسأستعمل هذه الرسالة كتعويذة مجربة  
أقدمها لهم وستنجو من يد القرامطة الظالمين .

(\*) الملاحدة : كان لقباً عاماً للقرامطة ، وخاصة الباطنية (المؤلف).



كان المسافران الشابان يتحدثان عن هذه الأمور عندما وصلا إلى الطريق الذى يبدأ منه (معه) الصعود على قمة الجبل بعد أن يفترق عن النهر ناحية اليمين ليدخل بين آكام الشجر والأشواك الكثيفة والشعاب الوعرة، فتقدم الشاب على الطريق بحماره ؛ فإذا بزمرد تمسك باللجام وتقول: " لا يا حسين " (وهو اسم الشاب).

حسين : (بعد أن نظر إلى زمرد فى حيرة) إلى أين؟

زمرد : حيث يجرى النهر.

حسين : لا يوجد طريق هناك.

زمرد : أمشى.. هيا :

حسين : أنحن متوجهون إلى قزوين أم إلى مكان آخر؟

زمرد : لا ليست قزوين هدفى المنشود، بل أريد أن أعرف إلى أين يتجه هذا النهر.

حسين : لكن موطن الحور فى هذه الناحية .

زمرد : ليكن ما يكون .

حسين : لقد سمعت أن أحداً لم يخرج حياً من هذه الناحية.

زمرد : هذا ما أريده.

فنظر حسين إلى زمرد فى حيرة وتعجب ، وقال بلهجة جادة: وماذا عن الرغبة فى الحج؟

زمرد : مازالت لدى الرغبة، فبعد أن نذهب إلى قبر أخى موسى ونقرأ عليه الفاتحة نتجه إلى مكة المكرمة.

حسين : قبر أخيك!، لكن لا أحد يعرف مكانه؟

زمرد : أنا أعرفه ، وأعرف الطريق إليه .

حسين : (فى حيرة) أنتِ؟ أنى لك أن تعرفى؟

زمرد : أعرفه جيداً .

حسين : هل جئتِ هنا؟

زمرد : لا ، ولكن يعقوب الذى كان حمل إلينا خبر وفاة أخى موسى يعرفه جيداً، وأول علامة للوصول إليه هى أن يفترق النهر عن الطريق ، وبعدها يجب السير على شاطئ النهر ، وبعد أن نمشى سأخبرك بعلامات أخرى .

حسين : ماذا يعرف يعقوب، ومن يستطيع إن يقول أن أخاك أو أى شخص مات فى هذه الجبال الشاهقة المتداخلة وكيف مات وأين ومن؟

زمرد : ألا إن أخى موسى ويعقوب كانا معاً ، وبعد أن وصلا إلى هذا المكان الذى يتعد قليلاً عن شاطئ البحر هبط عليهم سرب الحور من جبال البرز ومات أخى على أيديهم ، بينما سقط يعقوب مغشياً عليه، وعندما استرد وعيه فى اليوم الثانى وجد جثة أخى فأعد له قبراً ودفنه فيه ، وحفر اسمه على حجر بالقرب من القبر ثم رجع .

حسين : أنا أعرف أن هذا كلام لا طائل وراءه ، وفى النهاية ما السبب الذى جعل الحوريات يقتلن أخاك ويتركن يعقوب حياً .

زمرد : السبب هو أن أخى أمسك بيد إحدى الحوريات ، بينما كان يعقوب جباناً ؛ فلما رأى الحور سقط مغشياً عليه .



حسين : إذن لا ينبغي الذهاب إلى مثل هذا المكان.

زمرد : بل سأذهب حتماً.

حسين : افرضي أننا وصلنا إلى هناك وهبط أمامنا سرب الحور!

زمرد : أنا لن أخاف لا تأتِ إن كنت خائفاً.

حسين : اذهبي بمفردك فلن أذهب! أنا مستعد دائماً للتضحية بروحي في سبيل حبك.

زمرد : اسمع يا حسين، أنا لن آتي معك، كما أنني أعترف أنك رجل شهم أحببتك منذ كنا ندرس معاً في المدرسة، لكن لا تفهم أنك قد أغريت بنتاً شريفة وأخذتها من بيتها ؛ لقد جئت معك برغبتى، لكن آمل أن أقف أمام قبر أخى وأذرف الدموع لا شيء إلا، وعندما أحقق أملى هذا سأذهب معك للحج.

حسين : يا زمرد راعى شبابك وصغر سنك وتخلي عن هذه الأمنية.

زمرد : لا.. مستحيل، لقد احتملت الإهانة من أجل تحقيق هذه الأمنية.

حسين : (بصوت يائس) يا إلهي! اقبض روحى قبلها.

زمرد : أدعو الله ألا يربنى هذا، (قالت مبتسمة) فالواحد منا يحب الآخر ، ولو متنا فسوف نموت معاً.

قالت زمرد هذا ثم اتجهت بحمارها ناحية نهر ديرنجان ، ولم تكذب  
تمضى خطوتين حتى منعها حسين قائلاً، يا زمرد اصبرى قليلاً ولنواصل  
السير غداً ، لقد حل المساء علينا فهل تريدان أن تصلى فى الليل؟

زمرد : كف عن هذا ولنواصل السير إذا سرنا فلا أمل فى وجود مكان أهل ومادمننا نمضى فى الصحراء فجميع الأماكن متشابهة.

لم يستطع حسين أن يرفض بأى شكل من الأشكال، فمضى والتردد يملأ قلبه ، ودلف مع زمرد فى شعاب جبل البرز المظلمة الحالكة ، وأخذا يسيران ببطء وتؤده ، امتلأ قلباهما بالرعب من هذا المكان الموحش الذى سادته السكون ، وكانت الغابة تزداد كثافة كلما توغلا فيها ، ويزيد الصقيع ساعة بعد ساعة ، والصمت المطبق كان يضاعف صوت خرير النهر ؛ فتزايد الرهبة من هذا المكان الموحش، صار الطريق الآن وعرا فاضطرا إلى النزول عن حماريهما، وسار كل منهما فى الأحراش وهو يتحاشى الأرض الصخرية ويمسك بزمام حماره يتبع أحدهما الآخر، وبعد فترة من الصمت قال حسين وهو يرتعد من الخوف: لا بد أن الحور يقطن فى مثل هذا المكان المرعب ؛ فهل يمكن أن يوجد هنا إنسان، إن لم يوجد حتى أثر لحيوان؟

زمرد : نعم لو قد سمعت أن الحور يظهرن فى مواضع كثيرة من هذا النهر ، وهن يسبحن وشعرهن مكشوف ويتلاعبن ، ويرش بعضهن البعض بالماء.

حسين : (مضطرباً) ما هذا! أى صوت هذا؟ كان شيئاً ما مرق سريعاً بجوار أذنى.

زمرد : من المعروف أن عرش الحور لا يُرى وهو يطير ، لكن صوت طيرانه لا بد أن يُسمع.

حسين : هذا أيضاً ممكن، لكنى أظن أن ذلك كان صوت حيوان ما.

زمرد : لو كان حيواناً أتظن أنه لا يُرى؟



حسين : مع أن الشمس لم تغرب حتى الآن ، لكن - كما تشاهدين -  
صارت الدنيا أكثر ظلمة من الليل ؛ ففي بعض الأوقات عندما ييجن الليل  
يخرج البوم أو الخفافيش الكبيرة وتطير محدثة مثل هذا الصوت المرعب .  
زمرد : لكن في الحقيقة الحور أنفسهن يخرجن في الليل على هيئة  
حيوانات مختلفة .

حسين : ربما - نطق بهذه الكلمة ثم أخذ يتطلع حوله بنظرات  
مضطربة وخائفة ، ثم قال بصوت متهدج : سيحل المساء ، ولن تستدلى  
على قبر أخيك في أى مكان .

زمرد : لكننى لن يقر لى قرار حتى أصل إلى قبر أخى .

قالت هذا وهى تنظر إلى ممر مظلم يجرى فيه نهر وعلى شاطئيه  
صخور ملساء بارزة يصعب على الإنسان اجتيازها ، وعندما رأت زمرد هذا  
المر صاحب بشوق وبلا وعى ، نعم انظر هذه هى ، ستمضى من هنا  
العلامة الثانية ؛ فالطريق من هنا يبدأ .

حسين : لكن لا أفهم كيف نسير من هنا؟

زمرد : سوف أمضى بأى شكل ضرورى . .

حسين : وهذان الحماران .

زمرد : نتركهما هنا لناخلهما حين نرجع .

نظر حسين بتعجب إلى حماس زمرد واعتدادها برأيها ثم ربط  
الحمارين فى شجرة وتقدم حسين وزمرد إلى الأمام والتصقا بالصخور  
وأمسكا يديهما نتوءات الصخور البارزة ، واستمر هذا السفر الشاق

ساعتين حتى انتهى الممر ، وبعد أن اجتازاه نظرا فى حيرة إلى حيث يصب نهر يرنجان ؛ فشاهدا فجأة مروج غاية فى البهجة والروعة . لقد كان المكان عجيباً حيث رقت الطبيعة الحداثق بأيديها ، فأحواض الورود المتفتحة ذات الألوان المتباينة تنتشر فى مساحات شاسعة والطيور المفردة موجودة بكثرة ، ويبدل كل من سكن الروضة جهده فى سبيل حسناتها وجمالها . كان الليل لا يزال يلف المكان وهؤلاء المحبون المتحمسون المتواجدون فى الروضة يودعون حبيباتهم الوداع الأخير ، عندما رأت زمرد هذا المنظر فقالت فى سعادة: "الآن وصلنا إلى هدفنا المنشود، فقد مات أخى موسى فى هذا الوادى وربما يكون قبره فى أى موضع هنا" . بعد أن قالت زمرد هذا أخذت تجرى فى كل اتجاه مثل الغزالة الشاردة النشيطة الرشيقة ثم توقفت عند حجر كبير وصاحت "حسناً هذا قبر أخى" .

بعد أن سمع حسين عبارتها تلك أسرع إلى هناك فرأى حجراً محفوراً عليه اسم موسى ، وبالقرب منه مجموعة من الأحجار رقت موازية له على هيئة قبر فوقف عليه وقرأ الفاتحة ، إلا أن الحزن واللهفة قد تغلبت على قلب زمرد فسقطت على الأرض قبل أن تنتهى من قراءة الفاتحة ، واحتضنت القبر وبدأت فى البكاء والعويل ، وأخذ حسين يواسيها ثم أحضر ماءً وغسل وجهها وجلس محتضناً حبيبته الجميلة فى ظلام الليل الدامس وأخذ ينصحها .

زمرد (بصوت متحشرج) لا أريد أن أعيش يا حسين وأعرف أننى سأموت فى هذا المكان وقد ارتعدت فرائصى ، وكبدى يتفتت ، وقلبي سيهبط ، لكننى أوصيك قبل أن تموت أن توسد جسدى تحت تلك الأحجار بجوار رفات أخى موسى .



حسين : (فى حدة شديدة وعيناه مغرورقتان بالدموع) إذا نفّذت هذه الوصية فلن ينفذها إلا رجل آخر غيرى فلا يمكنتى أن أعيش بعدك ، ومن ينفذ هذه الوصية لابد أن يقوم كذلك بتوسيد جسدى معك تحت تلك الأحجار.

زمرد : (فى ضراعة) لا يا حسين لا تفعل هذا، إنك لا تعلم ماذا يجذبنى إلى هذا المكان الآن، لن أقول إنه محبة ولا يمكنتى أن أقول إن وصف يعقوب كان فيه سحر ، ولكن فى اليوم الذى سمعت فيه قصة وفاة أخى موسى، رأيت حلمًا فى اليوم التالى كأن أخى يقف فى هذا الوادى، ويشير بيده نحوى وينادينى قائلاً: تعالى إلى قبرى واقراى القباينة؛ لقد نادانى أخى المرحوم بطريقة مؤثرة وصورته آنذاك مارالت ماثلة أمام عينى ، وهكذا يمكن أن تدرك أننى جئت إلى هنا ألبى نداء أخى.

حسين : (لم يتمالك نفسه من البكاء الغزير، فقال بحماس شديد) حسناً لقد ناداك فى الحلم فأحضرتينى معك.

زمرد : نعم لقد أحضرتك معى لهذا السبب ؛ فليس لى فى هذه الدنيا أحب منك ، وأمنيتى أن أسلم الروح أمام عينيك وبجوارك، بعدها تعود إلى البيت لتدافع عن سمعتى التى شوهت أمام أهلى وشرفاء المدينة الآخرين تخبرهم بنبأ موتى ، ولماذا مُت ؟ وأين ؟ وتؤكد لهم أننى كنت طاهرة الثوب عفيفة حتى وفاتى يا حسين ، أمنيتى أن تبقى حياً وتظهر ثوبى من سوء السمعة.

حسين : (بعويل مفجع) لا قدر الله أن أحمل خبر وفاتك.

وفجأة انبعث ضوء على سطح منحدر جبل صغير وقع نظر زمرد عليه أولاً فقالت بعد أن فزعت كيف انبعث هذا الضوء؟

نظر حسين في حيرة إلى هذا الضوء وقال " الله يعلم حقيقته ، انظرى  
إنه يتزايد من هنا من أولئك الناس الذين يستطيعون القدوم إلى هذا المكان  
في هذه الليلة المظلمة؟

اضطرب المحبان بسبب هذا الضوء ، وازدادت حيرتهما ساعة بعد  
ساعة وهم يشاهدانه يقترب منهما كثيراً ، كانت هناك مشاعل كبيرة تتراوح  
أعدادها ما بين خمسة عشرة أو عشرين ومن تحتها سرب كبير من النساء  
الجميلات الحسنات كالحور ، وعندما رأى حسين وزمرد هذه الحالة  
صرخا مذعورين وقال كلاهما في صوت واحد: " الحوريات " وأصيبا  
بالإغماء ، وفقدنا وعيهما تماماً.

## الباب الثانى

### حبيبتي زمرد أين ذهبت؟

### لَوْن سجادتك بالخمر، مهما يقل لك شيخ المجوس

كان الصبح قد انبلج والنسيم يهب بينما كانت طيور السحر تستعد للخروج من وكناتها فأيقظ ذلك حسين من حلمه الذى فقد فيه ؛ وعيه فتقلب متشياً ذات اليمين و ذات الشمال ثم نهض وفرك عينيه بيده ، وأخذ يتلفت فى كل اتجاه ، لكنه لم يجد أثراً لزمرد فى أى مكان ، أخذته الحيرة والدهشة حين لم تقع عيناه على الوجه الجميل لحبيبته الفاتنة ، ومالت به الأرض بسبب ذهوله وضعفه وتعثرت أقدامه ووقع عدة مرات وهو ينظر حوله ، وأخذ يجيل نظره فى كل مكان باحثاً عنها ، لكن لم يجد أثراً للحبيبة الفاتنة زمرد فى أى مكان ، ويعد أن تعب من البحث وصل إلى قبر موسى وجلس عنده، وأخذ يزرف دموع الحسرة والألم وبدأ يقول: أين ذهبت حبيبتي زمرد؟ آه هل ابتلعها الأرض والسماء؟ أم اصطحبتها حوريات الليل!

وقع نظره على قبر موسى بالصدفة ؛ فاندesh بعد أن رأى القبر قد حدث فيه بعض التغير ؛ إذ زيدت عليه بعض الحجارة التى لم تكن



موجودة حتى مساء أمس ، ولم تكن دهشته قد زالت بعد حتى وقع نظره على الحجر الذى حفر عليه اسم موسى ؛ فرأى تغيراً آخر فى الكتابة فبدأ يقرأها بتمعن ثم قال بصوت مرتفع نسيباً "موسى وزمرد" عندها صرخ وأخذ يدور مدهولاً وقد باغتته صدمة قوية وغلبه الحزن والغم ، وبعد أن استرد وعيه قال فى نفسه : وأسفاه لقد حدث ما قالت زمرد ، ماتت هى وأنا حي ، آه ! يا لهن من حوريات ظالمة قتلنها وتركتنى بين الحياة والموت ، آه لقد كانت زمرد روحى ؛ فكيف أعيش بدونها ، قال هذا ثم بدأ يحطم ذلك الحجر المحفور عليه اسم الأخ والأخت ، وخطر على باله أن يفتح القبر ويدفن نفسه فيه ، لكنه استبعد هذه الفكرة بعد أن همست صوت ملائكة الرحمن فى أذنه كأنها تقول : "هذا الأمر يتعارض مع الشرع ويهين الموتى" ، وبعد أن استمع إلى نداء ملائكة الغيب صاح قائلاً : "آه ماذا أفعل إذن" ، قال هذا ثم سقط على الأرض وهو يتلوى ، وبعد فترة من البكاء والعويل نهض وأسرع نحو قبر موسى يحتضنه ظناً منه أنه قبر زمرد ، وأخذ يخاطبها كأنه يخاطب شخصاً على قيد الحياة قائلاً : "حبيبتى زمرد الموت ليس باختيارنا وقتل النفس حرام والحياة بلا فائدة وبلا طعم ، لكن متى يحل الموت ، وإذا كان لابد منه فلماذا لا أنتظره هنا فى هذا المكان ، إن قبرك سيكون مؤنس وجليسى فى الأيام الباقية لى فى هذه الدنيا ، وخيالك سيكون محبوبى الوفى ، الآن سأعيش هنا وسأموت هنا ، وكما استدعاك أخوك إليه فاستدعيني أنت أيضاً ، ولا يمكتنى أن أنفذ وصيتك ؛ لأننى سأمكت هنا ولا يستبعد أن تمر الحوريات هنا وتوصلنى إليك بلا أدنى مشقة" .

هدأ حسين بعض الشيء بعد أن حسم هذا الأمر مع نفسه ، ونهض من فوق القبر ، وذهب ناحية شاطئ النهر ورش على عينيه الدامعتين ماءً

نظيفاً طهوراً ثم توضأ ووقف فى محاذاة القبر وصلى عدة ركعات نافلة ثم جلس وأخذ يدعو لزمره بالمغفرة فى خشوع وسكينة ، وقرر أن يعيش فى هذا المكان طوال حياته .

لقد اختار حسين هذه الحياة بقوة بأسه ، وشعر بلذة وهو ينتظر الحور من الآخرة أو يدعو لنفسه بالموت ، ولم يعد يتذكر موطنه ولا حتى رغبته فى الحج ، وصار خيال زمرد قبلته ، وقبرها المشترك مسجده ، وكلأ الغابة قوته ، وكان أحياناً يعيش على صيد العصافير ، وظل ينتظر رسالة الموت فى كل لحظة ، وكان إذا ما غلبه الحزن والغم يعانق قبر محبوبته الفاتنة ، ويبكى حتى تنهر الدموع فتغسل الحزن من قلبه .

ظل على هذه الحالة ستة أشهر لا يبرح مكانه بجوار قبر موسى وزمرد ، وعاش فى تلك الجبال طوال فصل الشتاء حين كُسى قبر شهيدى الحسرة المظلومين برداء من الثلج لفترة من الوقت ، وتجمش برودة الجو القارس وتساقط الثلوج بصبر وشكر ، وحل فصل الربيع إذ ذاك فامتلات بالأزاهير المروج والأودية فى كل جانب ، وكان الهواء يتضوع دائماً بالمسك والعطر والطيب فتضاعف أمنيات القلب ساعة بعد ساعة حتى ازداد حزن حسين إذ ذاك حدة عن ذى قبل ، وكلما رأى الربيع وهذه الورد ازداد يقينا بقدوم الحوريات ، وبدأ يظهر عليه الاضطراب ونقد صبره وهو ينتظر الحور الظالمات ، وفى أحد الأيام أخذ يتحب ويقول " وأسفاه لقد أنجزت الحور مهمتها بالنسبة لموسى وزمرد فى يوم واحد ، أما أنا - ولسوء حظى - فقد مر على انتظارى ستة أشهر وكأنهن نسين الطريق إلى هنا ، وذات يوم نهض من نومه فى الصباح فوجد على غير العادة ورقة على قبر زمرد فجرى بشوق ودهشة والتقطها وقرأها ووقف لحظات مُسمرًا لا يتحرك من

أثر المفاجأة وأخذ ينظر مراراً إلى الكتابة ويقول: "إن العين لا تخطئ" لكنه كان يزداد ثقة لحظة بعد لحظة في أن هذه الكتابة بخط زمرد وكان مضمون الرسالة ما يلي " يا حسين أنا سعيدة للغاية في هذا العالم، فالمباهج هنا أسمى من ظنك وتخمينك وقياسك، أنا في تلك الجنة التي وعد بها القرآن وجميع الكتب السماوية كل مسلم يعرف الله، وقد حصلت على النعيم بفضل الله وكرمه ؛ فالزهرة والمشتري الذي كنت ترى شعاعهما من بعيد هما الآن جليساى وأنيساى لقد سمعت قصتهما، لا لكنك كم هي جذابة وفاتنة تلك النعم في عالم النور ومركز اللاهوت حتى إن قصة هاروت وماروت لا تخطر على البال ، ولكننى هنا متحيرة من أجلك ومشتاقة للقاءك، والملائكة والأرواح السماوية الأخرى يعلمون مثلى أنك تجلس مجاوراً لقبرى وقد جذبتنى النزعات المادية التى ظلت تتجه نحو عناصر عالم الروح لفترة من الزمن مراراً إلى قبرى ، ورأيتك تحتضن قبرى وتبكى وقد وقفت أنا نفسى أبكى معك لساعات، لكن للأسف لا يمكنك أن ترى صورتى بعينيك الماديتين ولا تستطيع أن تسمع صوت بكائى بأذنيك الدنسيويتين ، وأنت فى انتظار الموت الحق وبقاؤك فى الدنيا الآن لأيام معدودة، وقد نلت سعادة وصالك منذ زمن بعيد، والحديقة التى توجد فيها هى موطن الحور اللاتى لا يمكنهن المجيء هناك بسبب وجودك ولا يمكنهن أن يختطفن روحك ؛ لأن ميعاد موتك لم يحن بعد ، وهذه هى الأسباب التى بسببها لا يمكن لهن بأى طريقة أن يخرجوك من متزهن فاضطرون هن أنفسهن إلى هجر موطنهن ، لكنك للأسف لم تعمل بوصيتى حتى توقف الذين ألصقوا التهمة باسمى والذين أساءوا إلى سمعتى ؛ لأن كذبهم واقتراءهم يزعجنى ، ولهذا السبب فإننى أذكرك بوصيتى مرة أخرى ، وأقول لك بكل رجاء أن تذهب وتنفذ وصيتى.. المتيمة بك والبعيدة عنك.. زمرد".



قرأ حسين هذه الرسالة آلاف المرات ، وأخذ يحملق فيها بعينيه ويتمعن فى كلماتها وأسلوب كتابتها فلم يستوعب هذا الأمر بأى حال ولم يفهم محتوياتها، وفجأة قال مدعوراً هل زمرد على قيد الحياة ؟ ثم أجاب بالنفى قائلاً لا يمكن أن تكتب هذه الرسالة بنفسها فهى فى العالم الآخر، تنتزه فى الفردوس الأعلى، لكن كيف وصلت هذه الرسالة هنا ومن أحضرها ؟

ظل يفكر لفترة، ماذا يجب عليه أن يفعل الآن، فى البداية خطر بباله أن يعود إلى البيت بناء على نصيحة زمرد ، لكنه عاد فقال " لا ، فلا طائل من وراء هذه الفكرة، فكيف وبأى وسيلة أذهب إلى هناك، ولو افترضنا أننى ذهبت فمن يصدق هذه القصة؟ فالجميع سوف يكذبوننى ويسفهوننى.. لا.. لا يمكن أن أذهب ، وسوف أصبر وأحمل قدر طاقتى، طوال السنوات التى سأعيشها، لقد عاهدت نفسى أن أعيش الأيام الباقية لى فى الدنيا عند قبر زمرد ومع ذكراها، فزمرد تقول إننى سأعيش لمدة طويلة، فتحمل المشاق فى هذا المكان أفضل من التشرد ، وللأسف فإن زمرد ستحزن من أعماق قلبها ؛ لأننى لم أنفذ وصيتها ، ولكنى سأقدم لها اعتذارى وسأبلغها إياه عن طريق الملائكة الذين ينقلون لها أخبارى يوماً بيوم، ومن الممكن أن تكون واقفة فى ذلك الوقت، ترانى وتسمع كلامى ، ومن الممكن أن يكون المعنى قريباً للقياس (متطابق) تماماً ومن الضرورى أن تكون روحها هنا فى ذلك الوقت لتسمع الرد على رسالتى ؛ فلماذا لا أقول ما ينبغى قوله ؟

استحوذت هذه الفكرة على قلبه واتجه بنظره إلى قبر زمرد: وبدأ يقول "حبيبتى زمرد أنا هنا فى هذا القبر المنير حيث تسكنين، وليس عندى

تلك الورقة النورانية التي تحمل إليك رسالتى فى هيتها الترايبية فاستخدمى نورك ونورانيتك بعناية، واسمعى عذرى بلسانى يا حورية الوجه ومحبوبة الله الجميلة وغواصة بحر رموز الوحدة والكثرة! أى عجب فى أن تشاهدى بنور عينيك الآن مسرحية ظلمى أو يصل إلى مسامعك الروحانية صوت تأوى وأنى الذى يفتت الكبد، فلا ترسلينى يا زمرد عند هؤلاء الناس ؛ لأن قصة روحانيتك وعصمتك وقبولك أسمى وأنبل من فهمهم وإدراكهم، ولن يفقهوا قولى فأبعدينى بحبك لى عن هذه الذلة والمسكنة ، وإذا كان لصوتى أثر على البلاط السرمدى فحاولى أن تستدعينى عندك وأن ترسلى الحور، أرسلينهم بسرعة لكى يبعدونى عن متزهمهم، إن روحى تهفو شوقاً إليك كطائر ذبيح، وأتوق للخروج من هذا القفص المادى ؛ فىا حبيبتي الفاتنة لاتجعلينى أتجه إلى مكان آخر بل استدعينى عندك " .

تضاعف حماس حسين حين أبدى مثل هذا الرأى حتى سقط على الأرض بعد أن بلغ به الإعياء مبلغاً ، وبدأ يرتد على عقيبه وعندما زاد وهنه احتضن القبر وغاب عن وعيه، وقد ضاعفت هذه الرسالة من حماسه وقضى ذلك اليوم فى غم وحزن أكثر من ذى قبل ، وكانت الرسالة التى أرسلتها زمرد من موطن الحور قد زادت حنينه إليها ورأى فى المنام حبيبته ساكنة الفردوس، وعنت له فكرة جديدة وهى أنه ربما يتقصد عالم الآخرة من علم وإيمان أى مسلم إلى حد ما مثلما كان الحال مع حسين ، فكانت الدنيا فى نظره هباءً مشوراً وبالنسبة له فقد كان يوجد فى برزخ ما بين عالم النور والظلمة، وكان مع إنكار الذات وعدم صبره يريد بأى شكل أن يمزق ملابسه المادية والجسدية ويصل إلى عالم النور ، واستمر على هذه الحالة شهراً ينتظر فى كل لحظة رسالة جديدة من زمرد ،

وفى النهاية انتهى وقت الانتظار ووجد رسالة كان هذا مضمونها: "يا حبيس الظلمة يا من تعيش فى البحث عن التوحد معى ، وأنت لا تدري أن هذا الأمر لا يؤثر على أدنى أثر فعلاقتى بك باقية فى ثوب روحى ، ولهذا السبب يعم السرور والبشر كل مكان فى هذا العالم ، ويبت الله فى قلبى متعة وحلاوة خاصة بعيدة عن الفهم والإدراك، إننى لا أستطيع أن أمحو التفكير فىك، ولا يمكتنى أن أبعد عن قلبى الحزن على المتع الروحانية فى ذكراك.

حسنًا ، إنك نجحت الآن فى الاختيار ، وليس هناك أى شىء يستطيع أن يُخرج من قلبك حبى أو ذكراى.

فلا تيأس واستعد للقاءى ، تذكر أن ذلك ليس المكان الذى ستجدنى فيه ؛ فأنا قريبة منك وبعيدة عنك أيضًا ، لكن هناك مسافة كبيرة على تلك البوابة التى ستأتى منها إلى والوصول إلى يستلزم رياضة ومجاهدة شاقة، فمن أجل هذه المهمة ستكبح جماح نفسك وتمارس الرياضة الروحية وتمضى على طريق طويل ، وعلى هذا فلا فائدة من الاصطدام بالجبال بدون مرشد أو شيخ ولا فائدة قط من البكاء والعويل ؛ فلو كانت لديك رغبة صادقة للقاءى فدع عنك هذا الوادى ، وأخرج إلى غار كبير فى الشعاب الغربية لجبل الجودى(\*) والذى تحنث فيه كبار الصوفية لأربعين يومًا ، فالناس لا يعرفونه لكننى عندما جئت إلى هنا علمت أن

(\*) يطلق الجغرافيون الإنجليز فى العصر الحاضر على جبل جودى اسم "جبل الإرادة" ، ويقع عند نقطة التقاء الحدود الإيرانية والتركية والروسية (المؤلف) .  
- وهو جبل الجودى الذى استقرت عليه سفينة سيدنا نوح ، وورد ذكره فى القرآن الكريم (المترجم) .



إبراهيم عليه السلام عرف الله بفسخ العزائم من شروق الكواكب وغروبها ؛  
هذا الغار هو ذاك الغار ، ويذكر الناس اليوم أن هذا الغار فى أرض الشام  
لكن هذا كذب صُراح فلم يقض إبراهيم عليه السلام طقوله فى الشام بل  
فى تلك الأرض ؛ حيث كان موطنه ، وحيث سكن نسله بعد أن استقرت  
سفينة نوح ؛ فعليك أن تتعبد فى ذلك الغار أربعين يوماً وتجتهد فى تلك  
الفترة أن تعيش فى اليوم الرابع على بعض النبات فقط لسد رمقك ، ولا  
بد طوال فترة الأربعين يوماً أن تضع أمام ناظريك صورة واحدة فقط ،  
وأن تكون فى قلبك فكرة واحدة فقط ، أما الصورة فهى صورتي والفكرة  
فهى لقاء ذلك المرشد الذى يضمك إلى مريديه وحيث تخرج من الغار  
وتمضى فى الطريق ، وسوف ترانى أيام خلوتك فأدعوك إلى ، لكن  
حذارى أن تنخدع بهذه الصورة الخيالية وتتعثّر قدمك ولو مرة فتدرك أنه  
ليس هناك أى أمل للقاءى ، بعد الأربعين يوماً وفى الليلة الأخيرة اتجه من  
هذا الغار ومن شعاب جبل الجودي إلى أرض الشام وأذهب إلى مدينة  
الخليل بدون توقف حيث يوجد هناك فى الجُب المشهور ضريح سيدنا  
يعقوب وسيدنا يوسف ، وتجنب أن تقع أعين الناس عليك ؛ لأنهم  
سيحاولون منعك ، ولكن عليك أن تحاول النزول إليه دون أن يعلم  
المجاورون والحُرّاس ، ثم تتعبد مرة أخرى أربعين يوماً بعد أن تجلس بين  
القبرين ثم تخرج من هناك إلى مدينة حلب ، هناك ستجد مسجداً صغيراً  
خلف محطة رامنه (ارامنه) يسمى مسجد الشماتين فاذهب وقم فى  
المسجد ، وفى اليوم التالى سيأتيك شخص فى صلاة الفجر ، سيظهر  
مرتدياً ملابس صوفية ، شعر طويل ، يغطى جسمه برداء أسود ، غطى  
المشيب معظم شعر لحيته ، عمامته خضراء لأنه من سادات أولاد فاطمة ،  
ومع أن له فى عالم النور (الفردوس) لقباً آخر يذكر به إلا أن اسمه فى

عالم العناصر (الدنيا) "الشريف على وجودى" ، ومع أنه كما سيبدو لك من هيئته وحالته متواضع، ولكن النور يشع من عينيه بسبب العواطف الروحية الفياضة وكبح جماح النفس والرياضة الروحية، وتذكر جيداً ألا تذهب إلى "الشريف على وجودى" ما لم يأت إليك بنفسه ، وسوف تتعرف عليه بهذه العلامات الظاهرة واطلب منه الحقيقة ، فهذا الشخص هو الذى يستطيع أن يلاقينى بك ويحملنى إليك وفى يده مفتاح نجاحنا ؛ فإذا كنت متيماً بى وراغباً فى ؛ فعليك أن تكون فى حالة تسليم ومحبة للشيخ ما لم يتم مرادك، وإذا بقيت فى خدمة الشيخ "الشريف على وجودى" عاماً كاملاً فلا بد أن تسنح فرصة، وإذا ما كان فى حالة وجد وحماس ؛ فسوف يدعو الله لك بالتره فى الملأ الأعلى، فإذا سمعت هذا الدعاء فاركع على قدميه وأظهر له رغبتك الصادقة، فسوف يرضى عنك بلا شك، وعليك أن تتذكر أن كل أمر من أوامر الشيخ واجبة سواء استوعبت أو لم تستوعب الطاعة.

"لون سجادتك بالخمر، مهما يقل لك شيخ المجوس".

فإذا طويت كل هذه المراحل، وأظهرت حماساً وتفانياً كاملين فى طاعة الشيخ فسوف يحقق مرادك ، وإذ ذاك ستجد يدي مفتوحتين لك، وأغدو أكثر محبة لك فعجل بالخروج الآن من هذا الوادى واترك قبرى وأظهر حماساً ولهفة فى سبيل لقائى" .. المشتاقه إليك والمتيمة بك.. .  
زمرد".

لم يستطع حسين أن ينفذ وصية زمرد الأولى أو ما جاء فى رسالتها التالية بسبب كراهيته للحب والمحين ، ولم يكن من الممكن ذلك بعد أن يقيم لحظة واحدة فى ذلك الوادى وتذكر حب زمرد والوفاء لها ، وفى

النهاية ودع قبر زمرد بكبير حماس ولهفة ثم قبل الرسالة مراراً ووضعها على عينيه ثم دسها في صدره بالقرب من قلبه، وشمر عن ساعد الترحال. ومضى الممر الجبلى الضيق المظلم يتمهل وحذر شديدين حتى وصل إلى ذلك المكان الذى كان قد ترك فيه حماره وحمار زمرد مربوطين بالشجرة ؛ فوجدهما ميتين من شدة البرد والجليد بعد أن عجف لحمهما ، وكانت عظامهما ملقاة تحت الشجرة، لكنه وقف مشدوهاً حين رأى بدلا من الحمار الميت حماراً نشيطاً مربوطاً إلى الشجرة وعليه سرجه ، وعلى غير ما توقع وجد هذه الركوبة ؛ فشكر الله الكريم الذى أظهر له فى الدنيا كثيراً من رموز عالم النور سلك طريقه ، وكان كلما وجد الطريق وعراً وموحشاً يترجل ويمسك بزمام الحمار ، وكان إذا وصل إلى الأرض السهلة المنبسطة يمتطى الدابة التى منحها له الله ، ويتجه مباشرة شطر الغرب ؛ لأن هذه السلسلة من الجبال تتجه من الشرق إلى الغرب ، وهكذا بدأ يطوى البادية حتى وصل إلى مدينة تبريز بمنطقة آذربيجان بعد شهرين من جوب القفار ؛ حيث صار على مسافة عشرة أيام من جبل الجودى، وكانت تبريز مدينة ذات رونق وبهاء ؛ فخطر على قلب حسين أن يمكث فيها يومين للتمتع ، ولكنه تذكر تأكيد زمرد له، فلم يمكث فيها ساعة أو ضحاها حتى رحل منها، وبعد عشرة أيام من طى الفيافى وقف تحت جبل الجودى الذى تناطح قمته الفلك.

وجبل الجودى هذا هو جبل شاهق الارتفاع ، وهو أعلى من معظم جبال إيران وآسيا الصغرى بل وسلسلة جبل قاف، تجول حسين فى البداية جولة كبيرة ثم خرج من الناحية الشرقية للقلعة المنيعة المكسوة بالثلج ، وبدأ البحث عن هذا الغار الذى يُتعبد فيه مدة أربعين يوماً فعثر عليه بعد



أن ظل يبحث عنه عدة أيام يقطع الشعب والصخور، وكان معظم القرويين يأتون من أماكن بعيدة لزيارة هذا الغار فيصعدون إلى فتحته المعتمة التي يحكى عن بركاتها الكثير من القصص الشهيرة ، وينظر إليه اليهود والنصارى والمسلمون جميعاً بعين الاحترام والتبجيل ، وقد علم حسين قصة هذا الغار على لسان رائر من هؤلاء القرويين وعلم أن هذا المكان هو نفسه الذى سيؤدى فيه امتحانه الأول فى كبح جماح النفس وممارسة الرياضة الروحية ؛ حيث كان سيدنا إبراهيم قد عرف ربه فيه .

وعندما وصل حسين إلى فتحة هذا الغار كان عنده جمع من الزائرين الذين يعتقدون فيه من مناطق لبنان وجبل الجودى ، وبعد أن عادوا من هناك فى المساء غربت الشمس، سقى الله ثم دلف إليه وشغل بالرياضة بداخله ، وبدأ محاولة جعل صورة زمرد الخيالية مصباحاً فى الظلام الدامس هناك ؛ فوضعها أمام ناظره فى كل وقت ثم خرج فى الليلة الأخيرة لليوم الأربعين وقد حد من شدة جوعه بأكل العشب وأوراق الشجر ثم عاد وجلس فى تلك الخلوة .

فى النهاية رحل بطلنا المتحمس إلى الشام، وتراءت له مباني مدينة الخليل المقدسة بعد سفر ثلاثة أشهر، ودخل المدينة ، ووصل مباشرة إلى هذا الجُب (السرداب) الذى كان النزول إليه محفوفاً بالمخاطر ؛ لأن الناس يتزاحمون حوله فى كل وقت ، كما أن الخطورة كانت فى اعتقاد المجاورين بوجوب قتل كل من يرغب فى النزول إلى هذا الغار المقدس فأخفى حسين رغبته ، وحصل على الإذن منهم بعد أن أقام معهم صداقة بحيث يبيت بالقرب من مكان النزول ، وصلى مقيماً الليل لعدة ليالٍ ، لكن لم تسنح له الفرصة كاملة ؛ لأن معظم الناس يسهرون الليل عنده ،

ولن تسنح له الفرصة فى أى وقت إلا حين ينهك الناس فى العبادة والدعاء ، وبعد أسبوعين أو ثلاثة استيقظ ذات مرة فى الليلة الأخيرة فرأى الجسو قد خَلَا له ، ونام الناس من حوله فذهب بخطى وثيدة إلى باب الغار ، وأخذ ينظر حواليه ثم هبط إليه بسهولة بعد أن اطمئن إلى أن أحداً لن يراه .

لقد كان الذهاب إلى هذا المكان يتطلب جرأة وعزيمة أخذ الرعب يتسلل إلى قلبه حين تذكر الأنبياء العظام ، فكانت أقدامه ترتجف وقلبه يخفق ، ورغم هذا تغلب شوقه إلى زمرد على جميع تلك المخاوف القلبية التى كانت تتزايد باستمرار ، وقد شعر مراراً كأن الملائكة تمنعه وتقول لا تدنس هذا المكان المقدس بأقدامك ، لكنه تجاوز كل هذه الأفكار والخيالات ، وأخذ يتحسس يديه ورجليه الطريق فى الظلام الحالك المطبق حتى وصل إلى الغار ، اضطرب حسين بعد هبوطه ؛ حيث كان الظلام دامساً بحيث لا يمكن لأحد أن يرى يده ؛ فلم يستطع حسين النظر إلى قبور الأنبياء ، وظل واقفاً فى هذا المكان يفكر لفترة من الوقت ثم استعد بعد أن استجمع قواه وتحسس المكان ، ثم تقدم للأمام ، وفجأة وصلت إليه أشعة الصباح ، واستقرت كالنهار المضيء فاستأنس بها لعله يصل إلى المكان الذى يريده بسهولة أكثر ، وكان له ما أراد ، فقد قلل ضوء النهار من العتمة ووقع نظره على عدد من المقابر ، وكان بينها رفات يعقوب ويوسف عليهما السلام ، وكانا فى مصر عندما ماتا وتم تحنيطهما(\*) طبقاً

(\*) كان المصريون يدهنون جثث ملوكهم بنوع من الزيت وبخليط معين حتى لا تتحلل أبداً ولا زالت جثثهم التى تستخرج من مقابرها حتى الآن كما هى على حالتها ، وتوضع هذه الجثث فى متاحف باريس ولندن بعد استخراجها من مقابر مصر ويسمون هذا النوع من الجثث بالموميאות (المؤلف) .

لعادة المصريين القدماء ، وكان الجسدان فى تابوتين من الزجاج تبدو منهما الرهبة والجلال والرعب فى ذلك الظلام فارتعدت فرائص حسين بعدما رأى هذين الوجهين المقدسين ، ولم يجرؤ على أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام ، وظل واقفاً عدة لحظات خائفاً مشدوهاً ثم تجرأ ومضى قدماً إلى الأمام ؛ حيث جلس بين القبرين صامتاً يتطلع طوال الوقت إلى وجهيهما المهيّب وقد بلغ به الخوف مبلغاً بات معه من الصعب أن يتشكل أمام عينيه صورة زمرد ، لكنه كان فى أثناء عبادة الأربعين يوماً فى جبل الجودى يحاول أن يجعل صورة الحبيبة ماثلة أمام ناظريه وواضحة المعالم والقسمات ، وبعد قليل من الجهد ظهرت له صورة حبيته بين الوجهين المباركين .

الخلاصة أنه شغل هناك بالعبادة ، ولكن لم يكن من الممكن أن يخرج فى أى وقت لينال ما يسد به رمقه مثلما كان الحال عند غار جبل الجودى ، ولما كان على دراية بهذا الأمر ربط فى ردائه قليلاً من الجبن لوقت الضرورة ، وقد أكل منها فى اليوم الأربعين وشكر الله وأكمل عبادة الأربعين يوماً هذه أيضاً بعد جهد جهيد ، وفى الليلة الواحدة والأربعين أراد أن يخرج فى صمت وبخبطى وثيدة دون أن يعلم أحد به ، وسلك الطريق إلى حلب ، وكان الناس قد استيقظوا ؛ فرآه بعضهم فأحدثوا ضجيجاً ، وهجموا عليه وأخرجوه من الغار ، ووقع أسيراً فى أيدي المجاورين الذين اتهموه بالوقاحة وسوء الأدب وكادوا أن يفتكوا به ، لكن للصدفة أو لحسن حظه أن حاكم مدينة الخليل كان قد لقى حتفه على يد أحد الفدائيين الباطنيين ، مع أن الناس كانوا يخشون من الباطنيين إلا أن الأمر الأكثر خطورة هو الانتقام الذى يعقب ذلك ، وبينما كانوا يعدون العدة للهجوم على إحدى قرى الباطنيين قامت جماعة كبيرة من الباطنيين

بالحجوم ، وإذ ذاك باغتنت مجموعة كبيرة من الباطنية الأهالي بالهجوم ، وأعملت فيهم القتل وسفك الدماء ، ومات كثير من الناس ، وفى أثناء هذا الاضطراب والهرج والمرج تحرر حسين من قيد المجاورين ورحل إلى حلب .

دخل حسين حلب فى مساء اليوم الثامن ، سأل العابرين فى الطريق السبيل إلى حى رامنه ومسجد الشماتين ، وعندما وصل هناك ألقى عصي الترحال ، وبعد أن أكل وشرب فى أول الليل أدى صلاة العشاء ثم استلقى ونام ، وبالرغم من أنه كان متعباً إلا أن الشوق لوصال زمرد كان كل شيء ؛ فلم يكد أكثر من نصف الليل ينقضى حتى فتح عينيه وظل يتقلب ذات اليمين وذات الشمال حتى الصباح فى انتظار صلاة الفجر ، واستعد بالوضوء قبل الأذان ، وجلس على الباب ، وأخذ يطالع وجوه القادمين ، وقد تراءى له أصحاب البيوت المجاورة وقد اصطدمت أقدامهم وتعثرت بسبب الشعور بالنعاس عندما انصرفوا إلى الوضوء ، وانتبه على حسين أكثر الناس لأنهم كانوا على شاكلة الشيخ الشريف على وجودى ، وهكذا لم يكن واثقاً فى كل المرات ؛ لأنه إذا توفرت بعض العلامات فى أحد القادمين لم تكن تتوافر فيه سائر العلامات الأخرى ، وفى النهاية بدأ قلبه ينقبض وأخذ يحدث نفسه فى صمت : أنا لست متأكداً من أننى سألتقى بالشيخ ، وما أن نطق بهذه العبارة حتى جاء شخص له نفس أوصاف الشيخ موقف ووضع يده على ظهره وابتسم ثم قال بلهجة مطمئنة وبلطف وعطف : أنا أعرف يا حسين أنك جئت تبحث عنى ، وعندما سمع حسين هذا خرَّ على قدميه ، وبعد أن قبل أقدام الشيخ "الشريف على وجودى" بدأ يزرع الدموع عند أقدامه قائلاً : ساعدنى يا سيدى ، (أنت وحدك تستطيع أن ترشدنى إلى طريق الحق) فأنت وحدك الذى تعرف الصراط المستقيم الذى يستطيع الإنسان إذا سلكه أن يعرف الله وعالم الأرواح .



قال الشيخ: (فى جلال وحبور): ما هى عزيمتك وما مدى شجاعتك حتى تستطيع فهم الرموز المختلفة لهذا اللاهوت غير الموجود(\*) وأنت قطرة ضئيلة غير صافية بالنسبة لبحر الوجود ومحيط الوحدة.

حسين : لا غرو، فليس لى أى وجود، ولكن عندما تمسك بيد سباح بحر الوحدة فلا عجب فى أن أعبّر هذا البحر الفياض الزاخر ، وبعد أن قال هذا بكى ، وبدأ يلثم قدم الشيخ.

تناقص جلال الشيخ بعض الشيء فأمسك بيد حسين ورفعته إليه ثم ضمه إلى صدره وذلك صدره بصدره بقوة شديدة عدة مرات وقال: حسنًا اتبعنى ، وسأختبر صبرك وتحملك، وعندما أدرك مبلغ صدق طلبك سأضمك عندها إلى حلقة أتباعى.

وبعد أن سمع حسين هذا الكلام رفع رأسه شاكرًا وقبّل يد الشيخ وذهب معه وشاركه الصلاة وبعد الصلاة ، اصططحبه الشيخ على وجودى معه إلى الخانقاه الخاصة به، وكانت على مسافة قصيرة من المدينة فى مكان، تعجب حسين بعد أن راودته هذه الفكرة وهى أنه ليس لمسجد الشماتين ميزة حتى يذهب الشيخ إلى هناك لأداء صلاة الفجر، ولكى يستفسر عن هذا السر سأله بأدب هل حضرتكم تأتون كل يوم للصلاة فى هذا المسجد؟

(\*) يعتقد أصحاب الفرقة الباطنية أن نسب أى صفة إلى الله يعد كفرًا بالله، أما الصفات المذكورة فى القرآن فى الظاهر فهى الصفات التى منحها الله للمخلوقات فهى من هذه الناحية هى الصفات التى منحها الله للمخلوق يُقال لله نُور فهو منور وبصير فهو مُبصر، الله يمنح النظر .. وهكذا يقال الموجود ؛ فالمقصود منه الواجد ثم ينقون هذه الصفات بعد نسبتها إليه ؛ أى يقولون موجود وغير موجود (المؤلف).

الشيخ : (بلا اهتمام) لا . . ذهبت إليه اليوم فقط .

حسين : ربما ذهبتُم إلى هناك مصادفة لأمر ما؟

الشيخ : (بقليل من الغضب) ولا تتجسسوا ؛ لا يجب البحث عن المعنى الخفى لتلك الرموز، فلو توفر الشوق الصادق لا نكشف الأسرار من تلقاء نفسها فى وقت ما، والآن وقد خرج من فيك السؤال فسأخبرك، اسمع، إن الناس الذين تنعكس على قلوبهم أنوار الله السرمدية والأزلية، ينكشف عن أعينهم ستار الحجب ، و يُلقي نور الأنوار بأشعته لتصل أشعة عيونهم إلى هناك أيضًا ، فجسمى المادى كان فى تلك الخانقاه، لكن الأشعة القوية الحادة لتلك العينين كانت فى جانب عند جبل البرر عندما كنت تبكى محتضنا قبر زمرد ، وفى غار إبراهيم فى جبل الجودى حينما كانت أمامك صورة زمرد فيما كنت تبحث عنى فى قلبك ، كانت سهام تلك الأشعة فى الغار (الجب) ، وحين كنت ترى وجه زمرد بين وجهى سيدنا يعقوب ويوسف عليهما السلام رأيتك بلا حول ولا قوة ، ولما كنت أسيراً فى أيدي مجاورى مدينة الخليل أرسلت أصدقائى لكى يساعدوك ؛ حيث أغاروا على أهل المدينة فسنحت لك الفرصة للمجئء إلى هنا .

حينما كان الشيخ يتحدث كانت عيناه تلمع فى حدة لم يستطيع حسين أن يتحملها فوضع رأسه على قدمى الشيخ ، وبدأ يقول فى حماس المجذوب : أنت تعرف كل شئء، لا يخفى عليك أى سر، وتعلم كذلك ما آمل وأتمنى .

فقال الشيخ (فى حماس وحمية) أعرف كل شئء ، إلا أنه لم يحن الوقت بعد لإظهاره، فظهر هذه الرغبة على لسانك مرهون بوقت خاص

وحالة خاصة ، ولا بد أن تكون فى حالة صمت الآن. أصيب حسين بالرعب بعد أن سمع هذا الأمر وبدأت فرائضه ترتعد بعد أن سقط على الأرض، وبعد فترة قصيرة أخذ الشيخ بيده، ومسح بيده المباركة على صدره وعينه مواسياً ثم قال: "يا حسين ستظل فى صحبتى وتسكن الخانقاه الخاصة بى ، وسوف تصل سريعاً إلى هدفك بقدر ما تأخذ منى وتمثل لأوامرى التى هى فى الأصل أوامر إلهية ، وذلك بنشاط وهمة وبلا عذر، لكن عليك أن تعلم جيداً أن نفْسك وقلبك غير مؤهلين الآن للتنوعات الربانية والتحويلات الطبيعية ، ويمكنك فهم الأسباب و العلل إذا ما تمثلت دائماً قصة موسى والخضر ، وتأكد أن لكل ظاهر باطنا والنتائج دائماً تكمن فى الباطن، وأن أهل الظاهر لا يستطيعون فهم رموز القدرة، والروح تنال العقاب والجزاء وهو ما يظل يتصرف فى الباطن ، ويكون دائماً داخل القلب وحاكماً على الإرادة ، وستجد هذه الأعضاء و الجوارح الظاهرية فى هذا الجوهر وستظل فيه دائماً ، ولهذا فإن حركاتها ليس لها أى اعتبار ؛ فالقاضى والمفتى كلاهما جاهل وناء عن نور الأنوار الإلهية ، ويصدران أوامرهما فى ضوء الحركات والأفعال الظاهرية، فالألوهية فى قصة موسى والخضر لم تؤيد موسى فى حب الظاهر بل قضت لرأى الخضر الذى كان يفهم الرموز الباطنية والإرادة الصمدانية ، وهكذا فانظر إلى سيدنا إبراهيم عندما جعل زوجته أختاً له اضطرب أهل الظاهر كثيراً ؛ لأن عصمة الرسول قد اعتراها الخلل والنقص ، إلا أن هذا الشيء يدل على جهالتهم ؛ لأن الله ينظر إلى ما كان فى قلب إبراهيم.

الخلاصة يا حسين عليك أن تدرك جيداً أن لكل ظاهر باطنا ، وأن الله نصير للباطن ، ويجب عليك طاعة الشيخ والمرشد طاعة عمياء مثل امتثال موسى لرغبة الخضر.

حسين : (بعد أن وضع يده على صدره) لاشك أنتى سأمتثل مثله ،  
ولكن هل يجب ارتكاب المعاصى والأعمال الخارقة بلا فهم .

الشيخ : (فى غاية الجلال ويعد أن احمرت عيناه) أتظن أن المرشد  
سيأمرك بعمل كبير عظيم؟

حسين : (وهو خائف) لكن من الممكن أن يبدو هذا الفعل للمريد  
والمعتقد ذنباً .

الشيخ : نعم ، ممكن ، لكن باطنه ليس ذنباً ، والنتائج تكون مترتبة  
على الباطن فقط .

حسين : لكن ذلك الباطن يكون فى قلب الفاعل والمرتكب ، فأنا  
أرتكب فعلاً ستكون نتائجه مترتبة على هذه النية ؛ فالذى فى قلبى إذا  
عرفت أن جانبه الباطنى سيئ فستكون نيتى سيئة كذلك ، وعندما تكون  
نيتى سيئة فيجب أن تكون النتيجة مطابقة لهذه النية .

الشيخ : (بعد أن ثار وهاج واحمرت عيناه) فهل فى رأيك يمكن أن  
تشك فى نية الشيخ؟ وقبل هذا إنكار التسليم بالسر اللاهوتى؟

حسين : (بعد أن خر على قدم الشيخ) : مطلقاً ، ولكن حديثى  
هذا "ليطمئن قلبى" (\*) لن يأتى الله بذلك اليوم الذى أشك فيه فى نية  
الشيخ .

(\*) إشارة إلى الآية الكريمة فى قوله تعالى : (أولم تؤمن؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن  
قلوبى) .



بعد أن سمع الشيخ هذا الجواب رفع حسين وضمه إلى صدره ومسح بيد الرحمة على ظهره وقال: اسمع، لاشك أن الظنون ستأتى إلى قلبك، ولكن عندما تمضى قدمًا على طريق الباطن ستدرك أن قيمة المريد لا تزيد عن كونه آلة بلا روح، واعلم أن المريد مثل سيف فى يد الشيخ، ويمكنك أن تفهم أن السيف إذا انهال سيقطع برأس من يشاء، إلا أن المدح أو الذم لا يمكن أن ينسب إلى السيف، بل إن هذه الأشياء تنسب إلى من أمسك بالسيف، وتأكد أنه ربما زال شكك الآن وبدأت تدرك أن أفعال المريد تتعلق بالجانب الباطنى لنية الشيخ لا إلى إرادة المريد نفسه، وسوف يصقل فكره بعد طى (مدارج) الإرادة الإنسانية بعدما يبدى الطاعة والهمة، وعندئذ سيصل إلى درجة القرب، وتكون نيته حينذاك جدية بالاعتبار، لكنه مادام يطوى درجات الإرادة فإن نواياه وإرادته ليس لها أى اعتبار، وحتى ذلك الوقت يكون الشيخ والمرشد مسئولاً عن عمله.

حسين (بعد أن قبل يد الشيخ بحماس وحمية): صحيح ولا شك فى ذلك، لقد رفع حجاب الحقيقة عن عيني، ولن أبدى عنراً فى تنفيذ أى أمر.

الشيخ: يا حسين إن المريد ألقى على عاتقه مسئولية حساسة، فهل هناك أكثر من هذا كبحاً لجماح النفس بحيث ينفصل الإنسان كلية عن أفعاله بعقله وقلبه، ولكنك لو أمعنت النظر ستعلم أن هذه الأحكام الإلهية مطابقة تماماً لسرعة العصر؛ فالأعمال التى نفذها الخضر التى استبعد فيها موسى - كان جانبها الباطنى فى قلب الخضر فقط، وكانت فى رأى موسى معاصى حقيقية، لكن لا نستطيع القول إن موسى أذنب وشارك فى مثل هذه الكبائر، فلماذا كان هذا فقط؟ لأنه فى العالم الباطنى كان الخضر المرشد وموسى المريد.

فالتبيب يصف الدواء الشديد المرارة بل والسام فى الظاهر ؛  
والمريض ، مع أنه يجهل فوائده ، إلا أنه يتناوله بلا تفكير وتكون النتيجة  
واحدة فهو يفهم ما فى نية الطبيب ؛ والأم والأب مثلاً يضربان ولدهما  
على عمل ما، والولد يعمل هذا العمل ويعتبره من قلبه عملاً طيباً، لكن  
الأم والأب يضربانه على أساس أنه مضر طبقاً لرأيهما ، وتكون نتيجة هذا  
العمل طيبة عند كل واحد منهما .

كانت هذه الخطبة مؤثرة لدرجة أن حسيناً لم يستطع أن يتحمل  
سماع أكثر من هذا ثم انتابته حالة شديدة من فقدان الوعي ، وصاح  
قائلاً : " لا شك أن ما تقوله صواب ؛ فقد اطمئن قلبى ولن أعصى لك  
أمرًا " .

لقد جعل علم الغيب وهذه الخطبة المدعمة بالدلائل حسيناً مفتوناً  
بالشيخ على وجودى ؛ فلم يعد هناك أى شىء فى الوجود فى نظره إلا  
الشيخ ، فدوى صوت الشيخ فى أذنيه فى كل وقت ، ولم تتحول صورة  
الشيخ من أمام عينيه فى أى لحظة ، وكان قلبه ينتظر أوامر الشيخ فى كل  
لحظة ، ولم تعد أيضاً صورة زمرد ماثلة أمامه الآن بشكل منتظم ، فكان  
أحياناً يتجه بخياله نحو زمرد عندما يتمدد فى حجرة الخانقاه ويقول :  
" حبيبتى زمرد إلى أين أرسلتيني لقد بدأت أنساك " .

الخلاصة أن حسيناً نال درجة الفناء التام فى الشيخ تماماً ، وقضى  
أحد عشر شهراً فى خدمته بحب وإخلاص ، وفى تلك الأثناء غاب  
الشيخ ذات مرة لثلاثة أشهر حين سافر سراً إلى كان ما ، وقد ظل حسين  
أثناء غياب الشيخ فى تلك الخانقاه ، ولكن فى هذه الفترة عرف مريد  
الشيخ ، وعرف منهم مدى انتشارهم فى البلاد ؛ لأن العادة جرت على

أن يأتى هؤلاء لزيارة الشيخ مرة كل سنة بعد أن يسافروا مسافات طويلة ، فيعودون بعد أن يستمعوا إلى الأحكام الجديدة العجيبة والغريبة التى ينصاعون لها على الفور ، فمن ناحية يأتى مريدو خراسان ومكران وسيستان وفارس ورودبار وآذربيجان والعراق العربى والعجمى ، ومن ناحية أخرى يأتى مريدو عمان وحضر موت والحجاز واليمن وزنجبار ومصر وطرابلس الغرب والجزيرة وجميع بلاد أفريقيا وآسيا الصغرى ، ويأتى هؤلاء الناس بملايس وأزياء مختلفة ، يلتقون بالشيخ فى معظم الليالى خفية ثم يرحلون قبل انبلاج الصبح ، وكان حسين ينظر إلى هذا الأمر باحترام وتقدير بالغ ؛ فقد كان مريدو الشيخ والمغتربون من فضله منتشرين فى جميع أنحاء العالم يعيشون فى الظاهر حياة البساطة ونكران الذات مع مالهم من سطوة وتأثير بالغين ، وذات ليلة اجتمع حول الشيخ نحو عشرة مريدين ، وانتهى حسين ركنا بأدب جم ، وانفتح أكبر فيض للرموز الحكمية والروحانية على لسان الشيخ ، وقد حضر شخص من مصر قال بأدب فى لهجة يشوبها الشك : "لم أستوعب هذا فكيف يستمتع الإنسان بمتع الجنة بعدما يترك هذا الجسد الترابى؟ قال الشيخ مجيباً بقدر من الغضب "تماماً مثلما تتمتع بهذا الجسم فى الدنيا" .

فقال كيف هذا واللذة والآلم من متعلقات الجسم فقط؟

قال الشيخ : (بعد أن تحمس قليلاً) مع أن الروح بلا جسد ، لكنها تمضى كأنها فى الجسد .

قال الشخص : وكيف يمكن هذا؟ فما دامت المادة ليس لها كثافة ؛ فهل يمكن أن يكون له حيز؟

بعد أن سمع الشيخ هذا الكلام خف غضبه وطلب حسين وقربه منه وقال: 'عندما كنت في غيابة جُبُ مدينة الخليل وغار الجودي وشعاب وادي جبل البرز هل كنت تدرك وجودي هناك في ذلك الوقت معرفتي بكل أحوالك؟'

حسين : (بعد أن وضع يده على صدره) بلاشك، رغم أن عيني العاجزتين لا ترى إلا أن جلوة حضرة الشيخ موجودة بالضرورة وإلا لم يكن من الممكن أن تطلع على تلك الرموز هناك ، وبعد أن سمع الشيخ هذا الكلام اعتراه قليل من الفخر والاعتزاز ، وأخذ يجول بنظره بين الناس ، وركز نظراته الحادة من بينهم جميعاً على وجه ذلك الشخص الذي كان يشك فيه ؛ لأن قلبه لم يطمئن إليه حتى الآن. وعندما رأى الشيخ على وجودي على هذه الحالة من السخط والتبرم أخذ يداهنه ، وقال بصورة مباشرة : لاشك أن حضرتك ستكون موجوداً هناك وسترى حسين في كل أحواله، لكن روحك كانت حاضرة ولم يكن جسدك متشكلاً، ولو كان الأمر كذلك لرأى حسين بعينه أيضاً جمالك النوراني.

بعد أن سمع الشيخ هذا الحديث لم يقر له قرار وتحمس وهب واقفاً وتضاعف بريق عينيه ورق قلبه واغرورقت عيناه ونظر إلى ذلك الشخص وقال: هذا الجسد الكثيف جد متمرد، فلم يرد أن يفهم، ولم يحاول فهم شهود نور الأنوار مع وجودها ، كما لم يدرك أحد سر خلق الدنيا؟

ولماذا تبقى هذه الروح رهينة هذا القفص الترابي لفترة من الزمن؟ فلتسمع مني هذا السر أنا الذي جئت حالاً بعد أن تجولت للحظة واحدة في عالم اللاهوت ، واطلعت على تلك الرموز المكتوبة منذ الأزل على أطراف العرش الأعلى أو النور اللاهوتي، ففي النشأة لم تكن في الروح



المجردة قبل الحلول فى الجسد هذه الصلاحية وهذا الاستعداد ؛ أى لم تكن لتتمتع بالفرح والسرور المادى ؛ فقد كانت فى ذلك الوقت روحاً مجردة، غافلة تماماً عن كيفية الاستفادة من المتع والملذات ، وقد وضعت فى هذا الجسد الترابى فقط لتتعلم هذا الأمر لفترة زمنية محدودة وهى الفترة التى تطلقون عليها اسم الحياة، ولحصول أرواحنا على درجة الكمال فقط ، فإن الروح اللطيفة تنشئ روابط وعلاقات مع هذه المادة، وعلى هذا تنشأ معرفة بكل أنواع اللذات وبكل صنوف الآلام، وبعد الانفصال عنها، عندما تريد أن تتشكل وتتحيز يمكنها أن تتأثر باللذة والألم، وعلى نفس النسق يمكن لأى شخص أن يخطئ بهذه القوة وهذا الاستعداد بعد طى المداخل الروحانية ، وفى حالة بقائه فى جسده فإنه يغيب عن نفسه أو عن شكل الروح المجردة غير المتشكلة وغير المتحيزة ، وهكذا فإن الروح الإنسانية عموماً تتعبد عبادة الأربعين ليلة بعد أن تجس فى حجرة هذا الجسم الترابى وبعد مغادرتها إياه عندما تريد أن تظهر بنفسها فى شكل أو جسم ، وحين تصل إلى هذه الدرجة من الكمال تكون ظاهرة وواضحة فى الشكل الذى تختاره ، ولعلك سمعت عن كثير من الصوفية العظام والشهداء ؛ حيث كانت أجسادهم فى زوايا القبر بينما الروح ظاهرة أمام أنظار معظم الناس فى شكلها أو فى شكل آخر. وهذه مجرد روح قد جاءت بدون جسم لتحصل على هذا الكمال والمقصود منها جبريل ، والذى يظهر فى هيئة كلب أو فى أشكال أخرى أمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أنه ليس هناك أحد فى هذا العالم عارف بسره سوى ؛ أى كيف حصل جبريل على هذا الكمال الروحى ؛ ففى حديثه قال اسمع (لتعلم) أن ولادة المسيح ترتبط بهذا الرمز. لقد كان جبريل هو الذى حل فى جسد مريم الصديقة، وبعدها تشكلت صورة المسيح عليه السلام ثم

بلغ ذروة كماله الروحي في فترة زمنية وجيزة وقد انخدع المسيحيون بأنه كان الله ، لكنه لم يكن سوى روح فقط كانت من جسم موجود فيه روح أخرى ، وقد صعد إلى السماء بعد أن اكتسب المواهب الجسمانية ، لقد كانت روح المسيح روحاً أخرى كانت في جسمه ، لكن إلى جانب هذا فإن روح جبريل الآن قد حلت في صورته ، وقد ظلت عدة أيام ثم اختفت بعد أن ظهرت عظمة الألوهية في جسم المسيح ، فما كان إحياء الموتى من عمل المسيح ، بل كانت مجرد نتيجة مسلمة وعلامات للقوة الملائكية ، وقد تمت تجربتها للناس كذلك في عهد موسى (\*) عليه السلام ، لكن الذين لم يعطهم الله عيناً بصيرة لا يمكن أن يفهموا ذلك حتى اليوم ، وإنما يضطربون بمجرد ذكر معجزة المسيح ، وهكذا يمكن أن تكون مهارة التشكل والتحيز ، هي الهدف الذي يأتي كل روح إلى الدنيا لبلوغه ، ومن هنا فإنها تنال الثواب والعقاب على سلوكها بعد الرحيل فتكون في الجنة أو في النار طبقاً لكمالها .

فأنت جاهل بمواهبى وقدراتى ، أنا ذلك الشخص الذى هو أنا بنفسى لا كل شخص أستطيع أن أصل إلى الملأ الأعلى وأرى كل شيء هناك ، بمواهبى وقدراتى أستدعى أشكال الجنة الروحانية أمام هذا الجسم الترابى .

وبمجرد أن قال الشيخ هذا الكلام بكى حسين وانتحب وأخذ يتضرع أمام الشيخ ثم خر على قدميه ، وقال يا سيدى أنا لا أشك فى أى مسألة ،

(\*) ينكر بعض المفسرين أن سيدنا موسى عندما دخل بحر القلزم أراد فرعون التقدم ليعتقه ، إلا أن فرسه لم يتقدم ، وقد ظهر فى ذلك الوقت جبريل معتمياً صهوة جواد ، وأخذ يتقدم بينما بدأ فرس فرعون يهوى معه إلى قعر البحر ، وكان السامرى يرفع الطين تحت سنايك جواد جبريل ، وبإلقاء هذا الطين بدأ القول بالعجل الذى عبده بنى إسرائيل (المؤلف).

ولكننى أتمنى أن أدخل اللجنة وقد حان الوقت لكى أعلن عن رغبتى لك وأنا متأكد أننى لن أظل محروماً.

ظل حسين فترة من الوقت ساجداً عند أقدام الشيخ ، إلا أن الشيخ كان قد امتلأ بحماس جعله يقف صامتاً لعدة ساعات، ثم رفعه وأجلسه وقال: يا حسين ، لقد أفدت إفادة كبيرة من حماسى فى ذلك الوقت ؛ حسناً ، الآن جاء وقت التأمل وغداً الخلوة ثم الالتماس والطلب ، لا شك أن الوقت قد حان لكى تجنبى ثمار هذه المعاناة وتلك المكابدة وقد بقى أمامك الآن امتحان، وهو امتحان صعب، لأرى إلى أى مدى تسلم يدك بنفسك إلى المرشد، ولتعلم أن التأمل يكون بقدر امثالك لأمر مرشدك، ولعلك تتأخر فى الحصول على مرادك بهذا القدر.

انصرف المريدون جميعاً بعد أن استأذنوا من الشيخ، وانصرف حسين كذلك، وتعمد على فراشه ، لكنه قضى ليلته فى غاية القلق وضاعف الانتظار من نار الشوق ، وفى الصباح وبعد صلاة الفجر كان الشيخ على وجودى قد جلس بعد أن فرغ من أوراد الصباح فخرّ حسين على قدميه وصاح: الآن ليس لى مقدرة أكبر على الصبر، وأنت نفسك عليم بكل الأحوال ، ولست بحاجة إلى الإفصاح عنها، لكن بالله عليك أرجو أن تقابلنى بزمرد سريعاً.

الشيخ : حسناً سوف تلتقى بزمرد ، ولعلك تنجح فى وصلها ، ولكن عليك أن تستعد لذلك استعداداً جيداً.

حسين : مستعد بالقلب والروح.

الشيخ : انظر ، ولا تفكر .

حسين : مطلقاً .

الشيخ : ولا ينشأ فى قلبك شك أو فساد عقيدة .

حسين : لا ، قط .

الشيخ : هذا عمل من قبيل الجرأة والشجاعة .

حسين : سأجود بالروح .

الشيخ : وفيه مخاطر أيضاً .

حسين : حسناً ، فليكن .

الشيخ : فلتسمع .

حسين : سمعاً وطاعة .

الشيخ : ليس الآن ، ولتقوى قلبك .

حسين : قلبى قوى جداً .

الشيخ : إنى أعلم أنك قرأت الكتب الدراسية على الإمام نجم الدين النيسابورى ، وأنت من مريديه أيضاً .

حسين : (فى دهشة) لاشك ، لقد شاركت فى حلقاته لمدة خمس سنوات كاملة .

الشيخ : ما مدى احترامه وتقديره فى قلبك؟



حسين : اعتبره - بعدك - أكبر عالم وأعظم متصوف وأزهد الناس وأكثرهم تقوى من بين العالمين كلهم .

الشيخ : حسنًا ، فلتذهب ولتشتترك في مجلسه ، وعندما تسنح الفرصة اقتله .

وما أن نطق الشيخ بهذه العبارة حتى أطلق حسين صيحة وغاب عن وعيه .



## الباب الثالث

### السفر إلى الملاء الأعلى

كان الإمام نجم الدين النيسابوري من كبار أئمة ذلك العصر، اشتهر في زمانه بالعلم والكرم والتقى والورع، ولا يوجد مكان إلا وله فيه تلميذ تكون له إمامة إحدى جماعات المسلمين الكبرى، ولم يكن أستاذ حسين ومرشده فحسب بل كان عمه أيضاً، وكان موطنه الأصلي مدينة آمل، إلا أنه خرج من بيته في صغره شوقاً لطلب العلم، ووصل إلى بغداد بعد أن شارك في مجالس العلم الكبرى في العالم، وظل يتلقى العلم في المدرسة النظامية لفترة طويلة ثم انصرف إلى طلب العلم في البلاد الشرقية؛ حيث اشترك في المجالس العلمية في بخارا وهراة، وبعد أن اغترف من فيض مجالس العلماء هناك عاد إلى نيسابور، واستوطن بها، وكانت نيسابور في تلك الأيام من أكبر مراكز العلم والمعرفة ومعقلاً لأقطاب التصوف المعروفين؛ أما حسين فقد كان طيب النفس قريباً من الله؛ لذا تملكته الحيرة والدهشة والاضطراب بعد سماع الأوامر بالقتل، وسقط مغشياً عليه.

لم يحاول الشيخ على وجودى أن يعيد حسين إلى وعيه ، بل تركه هكذا ملقى على الأرض ، وظل منتظراً فترة من الوقت حتى يسترد حسين وعيه من تلقاء نفسه ، ويعدده بأن ينفذ ما أمر به ، ولكن عندما تأخر به الوقت فى استرداد وعيه تركه الشيخ وانصرف إلى حجرة أخرى ، وفى غضون ساعتين عاد لحسين وعيه فتذكر أمر الشيخ الواجب التنفيذ ، لكن حالته كانت أقرب إلى الغوص فى بحر الغفلة ، لكنه تماسك ونهض وأخذ ينظر فى كل صوب وحذب ، وكان الشيخ على وجودى غائباً ، وكان وحيداً فأخذ يفكر فى الأمور السابقة ووقع فى حيرة : ربما أخطأت فى فهم قصد الشيخ لاشك أنه يبدو كذلك ؛ فمثل ذلك الشيخ الطيب النفس المدرك للحقيقة ربما لا يأمر بهذا النوع من الظلم والإجحاف الشديد؟ أيكلفنى بالقتل العمد؟ وقتل من؟ الشيخ نجم الدين النيسابورى ، وليس على وجه الأرض فى ذلك الوقت من هو أعلم منه ، فمن المؤكد أننى سمعت خطأ ، ولكن فلنفرض أن الشيخ أمر بهذا فما عساي أن أفعل فهل أقتل إمامى ومرشدى وعمى الورع؟ (بعد أن اختلج قلبه) يبدو أن هذا أمر صعب جداً! ماذا ستقول الدنيا؟ أما فى القرآن فقد ورد قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) إننى لن أجنى من تنفيذ هذا الحكم إلا الخزي والعصيان فى الدارين ، ولا يبدو منه أى فائدة إلا "خسران الدنيا والآخرة" ولا شئ آخر ، لكن الشيخ كان قد قال إن لكل ظاهر باطناً فمن الضروري أن تكون فيه فائدة تذكر ، فهو فى الحقيقة يعرف رموز القدرة (الإلهية) ، أنا لا أستطيع المقارنة بين الإمام نجم الدين والشيخ على وجودى ، ولا أتخيل أن تكون نية الشيخ على وجودى سيئة ، فأى عجب فى هذا لو أمر بارتكاب عمل مكروه فى الظاهر من أجل مصلحة روحانية ، فإذا كان هذا هو الحكم فى الواقع فلا يجب على التفكير فيه ،



فهذا الامتحان الأول لى فلو اعتذرت إليه عذراً طفيفاً ساكون آثماً ، وسوف ظل محروماً من وصال زمرد ، ومن البديهي أن تكون هناك فائدة دينية من تنفيذ هذا الحكم ؛ لأن أمر الشيخ واجب النفاذ، وتبقى سوء السمعة الدنيوى ، ولن يكون لها وجود يعد ذلك ، وحتى لو بقى أى قدر منها إلا أن مكاسب جمّة ستعوّض ذلك حيث سيكون من نصيبى فى هذه الدنيا وصل حبيبتى زمرد.

بعد أن اختمرت هذه الفكرة فى قلب حسين خرج من الحجرة وأخذ يبحث هنا وهناك حتى وصل إلى الحجرة التى كان فيها الشيخ على وجودى ، ونظر إلى وجهه ووضع رأسه عند قدميه وصاح قائلاً: أنا لا أتذكر الحكم فأخبرنى به سريعاً حتى أذهب لتنفيذه.

الشيخ : انظر.. لا تفكر الآن، فأنا أعتقد أن قلبك قد اعتراه سوء الظن ، وأنتك قد أضعت كل جهدك هباءً، وعليك أن تتذكر جيداً أن لكل ظاهر باطنا.

حسين : أتذكر جيداً ، ولا أفكر فى ذلك ولو للحظة.

الشيخ : إذن فاذهب واقتل الإمام نجم الدين النيسابورى.

حسين : (بعد أن قوى قلبه) حسناً ، لكن ماذا لو ذهبت لقتله؟

الشيخ : لا بأس فى ذلك فسوف تلتقى بزمرد بلا صعوبة ، لكنى أعلم أنه ربما لا يكون الأمر كذلك.

حسين : أتأذن لى.

الشيخ : قُمْ (بعد أن أخرج خنجراً حاداً) خذ هذا الخنجر واخفه معك واستخدمه فى الوقت الذى تسنح فيه الفرصة لذلك.

إنه تخويل من المرشد، وهكذا أخذ حسين الخنجر واتخذ طريقه نحو المشرق ليقتضى على أستاذه، ووصل إلى بغداد بعد شهر ونصف ، وسار من هناك إلى أصفهان ومنها وصل إلى نيسابور بعد شهر ونصف ، وحضر إلى مجلس درس الإمام نجم الدين وكان قد خرج من حلب منذ أربعة أشهر، وقد عرفه الإمام المذكور فعانقه وعامله بشفقة ولطف ، وكان قد علم من المراسلات المحلية أن حسين قد رحل بفضيحة بعد أن اصطحب معه بستًا شريفة ، ويعد أن تذكر هذه الواقعة تأسف وقال: يا حسين لم أكن أظن أنك تنتهك المحارم بعد تحصيلك للعلم بشوق وشغف.

حسين : يا عمى أنا لم أخذها بنية سيئة ؛ فقد كنت أعزم العقد على زمرد ، وكانت هى فى غاية الشوق للحج، وكرهت منعها بسبب علمى بالدين ؛ فاصطحبتها معى بلا تفكير ورحلت.

الإمام : وأين هى الآن؟

حسين : قُتلت على يد الخواريات فى شعاب جبال طالقان.

الإمام : (بعد أن ابتسم) ما الفائدة من اختلاق القصة الباطلة التى لا أساس لها ؟ لن أقنع بهذا الكلام.

حسين : أنا لاأختلق هذه القصة ، وتستطيع أن تدرك أنه ليس فى وصفى أى افتعال.

الإمام : حسنًا ، لآى غرض جئت هنا الآن؟

حسين : للمشاركة فى حلقة درسك ، وقد أردت أن أترك العلائق الدنيوية حزنًا على زمرد ، وأرغب فى أن أكرس بقية حياتى فى تحصيل العلم.

الإمام : لو كان الأمر كذلك ، فإله يبارك وغبتك ويوفقك ،  
ولتخلفنى من بعدى على حلقة الدرس هذه .

والخلاصة أن حسيناً انضم إلى المغتربين من فيض علم الإمام نجم الدين النيسابورى ، ولأنه كان ابن أخيه ؛ لذا زادت مكاتبة فى قلب الشيخ يوماً بعد يوم ، لكن حسيناً كان يبحث عن الفرصة المناسبة لتنفيذ الأمر ؛ لأن الإمام كان يظل معظم الأوقات فى جمع من طلبته ومريديه ، وقد انقضى على هذا ثلاثة أشهر دون أن يجد الفرصة لإخراج الخنجر ، وكان قد مر من الشهر الرابع بضعة أيام عندما أصابة الحمى الإمام فتوقف عن الدرس والتدريس لعدة أيام متصلة ، وقد تفرق أكثر الطلبة هنا وهناك فى زمان هذه العطلة ، إلا أن حسين قد أبدى سعادة وحماساً زائداً فى تمريض الشيخ ، وظل ليلاً ونهاراً مشغولاً برعايته بأداء هذه الخدمة .

ولما كان اليوم السادس من أيام الحمى التى نزلت بالإمام ، كان الشيخ وحيداً فى حجراته ، وفى إحدى الليالى مصادفة كان معه حسين ، وكان قد انقضى هزيع كبير من الليل والإمام ممدد على فراشه يتحدث إليه بصوت واهن ، وكان حسين اليوم أكثر صمتاً خلافاً للعادة بينما كان من المفروض أن تكون أحاديثه مفعمة بالدموية لكن عدا هذا لم يخرج من لسانه أى لفظ آخر ، وقد تعجب الإمام لهذا عدة مرات بل وسأله (ذات مرة) قائلاً : لماذا أنت صامت اليوم؟ لكن حسيناً راوغ وقال " هكذا " ، وظل حسين ساكناً ثم خرج وأخذ يستطلع النجوم ليرى كم انقضى من الليل ، وحين انتصف واطمئن حسين إلى أن أحداً لن يأتى حتى الصباح تأكد تماماً من هذا الأمر فأحكم غلق باب الغرفة وذهب عند الإمام الشيخ فرأى أن عينه مغمضة فظل واقفاً لفترة من الوقت ينظر فى وجهه ، وكان

قد استبد به الغضب فأخذ يعد العدة للهجوم على أستاذه ومعلمه . لم تكن له دراية على الإطلاق بمثل هذه الأعمال الدموية وضغط على قلبه يريد أن يغريه بارتكاب هذا العمل ، لكن الأفكار كانت تتصارع بداخله حتى فترت همته مرارا وكانت الأقوال الوهمية تتراءى له فى كل جوانب الحجرة حتى تملكه الرعب والفرع ، وبدا كأن ملائكة أو أى نوع آخر من المخلوقات الغيبية تحرس الإمام ، وكانت عيون الإمام النوراتين تشفع له أحيانا وتبدو مفزعة مهيبة تُرعب حسينا أحيانا أخرى ، ولكنه سيطر على كل هذه الأفكار جميعا ، وبعد أن أخرج الخنجر الذى أعطاه له الشيخ على وجودى نظر إلى نصله ، وتشجع فجأة وجثم على صدر الإمام وانتبه الإمام وفتح عينيه وصاح ، لكن حسينا وضع يده اليسرى على فمه بينما نفذ الخنجر فى قلبه .

وقاضت روح الإمام فى لحظات ، وسالت الدماء فى أرجاء الحجرة ، وبينما كانت الجثة بلا روح ملوثة بالدماء ملفوفة فى الملابس وملقاة على الفراش ، وكأن الأمر تم فى بساطة شديدة ، ومع هذا فقد ارتعد قلب حسين بشدة فظل مضطربا ينظر فى خوف ورعب إلى جثة الشهيد المظلوم ، وفى النهاية ترك الغرفة على حالها وهو مشدوه من المنظر المخيف وألقى نظرة أخيرة على الحجرة ثم فتح الباب وخرج ، وأغلق باب الحجرة من الخارج وخطا خطوات صامته ثم مضى بعيدا ربما لم يستغرق وقتا لكى يبتعد عن خانقة المدينة وكان يحيط بنيسابور سور قوى محكم تغلق بوابته فى الليل ، ولهذا كان الخروج من المدينة فى ذلك الوقت مستحيلاً ، كنه خاطر بنفسه وخرج فى الظلام الخالك ، واتجه نحو الباب وهرب بسرعة ليبعد عن المدينة قبل أن يدركه الصباح فلا يقوى عليه أحد .



وفى اليوم الثانى حين كان يمضى بسرعة كأنه يطير يقطع الصحراء ويشق الفضاء الغربى لخراسان، كان ضميره يؤنبه قليلاً وتذكر ذنبه وظلمه الذى كان يطل عليه من كل جانب، فيحاول أن يبعد باستمرار عن نفسه فكرة الذنب، وكانت هذه الجملة تتردد على لسانه بآهة "أنا مذنب كبير"؛ وظل قلبه يلعنه، وظل إيمانه يوبخه، فكان صدى صوت اللعنة واللوم يتردد فى أذنه، وكان كلما انتبه قال "الشيخ على وجودى هو المسئول عن هذا الفعل"، لكنه كان يقول فى نفسه لقد قضيت على الإمام بيدى وأخذته بقسوة قلبى؛ فكيف تقع المسئولية على شخص آخر، وأوقع ذلك الشك فى قلبه فساوره الشك فى مبادئ الشيخ أيضاً، ورأى أن مكانة المريد فى يد المرشد هى مجرد آلة غير مسئولة، هى بلا روح وبدأ يقول: "لو أن مسألة علماء الدين هذه صحيحة وهو أن الثواب والعقاب اسمان لتلك اللذة والألم، وهى من نتائج أعمالهم، وتنشأ بنفسها من لوم القلب ومن الضمير الإنسانى فلا يمكن أن يكون عمل إنسان مسئولة إنسان آخر، افرض أننى قمت بعمل ما وهو طيب (جيد) فى رأى أى ناصح أو مشير لكنه فى رأى سىئ يستحق اللوم فسوف يلعننى قلبى على ارتكابه بالضرورة، وعندما عبّر عن ألم تلك اللعنة بالعذاب فى إصلاح الشرع فلاشك أننى لن أنجو من العذاب ومن جهنم، والخلاصة هى أن قلب حسين حدثه بهذا؛ فأخذ يندم ويتأسف على ما فعل وقد ابتلى بمشكلة دينية شائكة، ومع هذا فقد ظلت مكانة الشيخ على وجودى عالية فى قلبه وقد رأى العديد من كرامات الشيخ على ولا يمكن أن يسئ الظن بها بل إنه يخاف فى بعض الأحيان؛ لأن الشيخ يعرف الغيب من أحوال قلوب الآخرين، وسوف يغضب لو عرف شكوكى هذه، وسأرحل من هنا ومن هناك كذلك؛ فبعد ارتكاب مثل ذلك الجرم العظيم أظل محروماً من وصل زمرد وعندئذ ستملكنى الحسرة.

اعتمل هذا النوع من الأفكار والتصورات فى قلب حسين فأغرقه فى بحر الندم وتحسر على ما اقترفه من ذنب ودخل مدينة حلب وذهب أمام الشيخ وخر على أقدامه حتى رفعه وضمه إلى صدره ، وقال له فى حماس رائد : يا حسين لقد نجحت فى امتحانك نجاحا منقطع النظير وزمرد الآن فى شوق إليك يفوق شوقك إليها ؛ إن نور الأنوار للأنوار الأولية انعكس فى قلبك انعكاسا كاملا ، وهذه الحفنة من تراب جسمك جعلت لديك استعدادا وصلاحيه تمكثك من تحمل تجليات عالم الأنوار.

حسين : لكن يا سيدى إن هذا الفعل الظالم يشير الريب والشبهات فى قلبى باستمرار.

الشيخ : (بعد أن تملكه الحماس) لاشك أنه سوف يشير ذلك ويمكن فصل الروح عن كثافة هذه المادة بصعوبات جمة ، وهذا فقط هو الذى يمكن أن يشير الشبهات والشكوك ، وهو المركز الإشراقى ونسج الحياة السرمدية على الرغم من كونه غير حى ، وهذه الروح الجسدية المقيدة فى الجسم يمكن أن تتجلى صور عشقها بصعوبة.

حسين : لكن هل مثل هذه الطمأنينة وتوجيه النصائح تزيل الشبهات من القلب.

الشيخ : اسمع يا حسين ، إن القوة هى التى ستبعد شكوكك بشرط أن تشغل نفسك فى محاولة رفعها ، ولكنى أقول لأطمثتك إن اسمها فى الدنيا تكميل النفس وهى ذاتها المشيئة الإلهية إن علاقات الروح منفصلة عن الجسم وتعود الروح على تغيير الأفعال الجسمانية ، وهى لا يمكن أن تؤدى أى عمل بدون مساعدة المادة ، وهذه الأرواح قد وقعت فى ورطة

الماديات فى الوقت الذى كانت تغادر فيه الجسم، وهى فيما بعد أيضا توجد فى الظلام الحالك لغبار مادتها فى كل وقت، وهذا الشيء ذاته هو جهنم فى اصطلاح الشرع ، وهكذا ينبغي السعى للنجاة فى الحياة عن طريق التخفيف من روابط الروح بالجسم وإن بداية هذا السعى تكون بأن يُستخدم الجسم فى ما لا تكون للروح فيه علاقة، فبعد أن تضطرب الروح يجب التوجه ناحيتها ومنعها بالإكراه بقوة الإنسان وشجاعته، وهذا هو التعليم الأولى للإلهيات، أما الثانى - أى التعليم المتوسط - فهو أن تقوم الروح بمثل ذلك العمل الذى لا يكون له علاقة بالجسم، ويؤثر فى أرواح الناس فى المدن البعيدة، ويجب فهم علاقتهم حيث يطوون الدرجة الوسطى لعالم الروحانيات. وبعد أن تحصل الروح على الانفصال عن الجسم إلى الحد الذى تكون فيه مبرأة ومرتزة عن المادة فى البحث عن انكشافات نور الأنوار، وتترزه الملكوت وعالم اللاهوت تكون هذه هى الدرجة الثالثة. أما مَنْ يموت فى وقت البحث الأعظم فإنه يودع الجسم الترابى، وهذه النقطة الأولى التى تلتقى بعلة العلل وواجب الوجود تنال فى ذلك الوقت أعلى الكمال الروحى وهى تحصل عليه عن طريق رفع قيد العالم المادى ، وقد كان مبتلى بمصائب عالم العناصر الأربعة (الدنيا) ، والآن فإن حالته هى أنه من ناحية حين تظهر لديه هذه الصلاحية من التعليمات المادية للعلاقات الجسدية يستطيع أن يُشكّل نفسه كما يشاء أمام هذا العالم، ومن ناحية أخرى تصل إلى هذه الدرجة من التجرد والروحانية الكاملة بحيث يلتقى بالمركز الأول لنور الأنوار وينقطة الأزل إذا شاء ؛ لهذا يا حسين فإنك فى الصف الأول من مدرسة الروحانيات، وتُدرب الآن على هذا الأمر أى تلك الأفعال والحركات الصادرة عن جوارحك وأعضائك التى تنسب إليك، وهذه اللعنة واللوم من جانب

روحك ونفسك اسمها العلاقة الروحية ، والتي يجب عليك السعى للانفصال عنها وعندما تصل إلى مرحلة معينة ولا تهتم الروح بأى فعل لأعضائك عندئذ تصل إلى الدرجة الثانية للتوحيد.

حسين : إذن لا أكثرث بتلك التهم وذلك اللوم والتأنيب الذى يتوارد على قلبى .

الشيخ : لا: مطلقا ؛ لأن تدرييك على هذا الأمر والعناية بنور الأنوار هو أول السلم .

حسين : يا سيدى لماذا تقول نور الأنوار على الله جل وعلا فلا أستطيع فهم رمزه ، فرب العزة تعالى بلا شك نور ، لكن لماذا الأنوار؟

الشيخ : (بعد أن تملكه الغضب) هو(الله) نقطة الوحدة ونبع التكوين وهو منزّه تماما عن هذا، فنحن ننسب إليه صفاتنا المادية وهو هكذا "ليس كمثله شيء" .

حسين : لكن عندما ينسب الله جل شأنه هذه الصفات لنفسه فأنى لنا أن نفكر ؛ كان الشيخ وجودى لا يزال غاضبا ؛ فنظر إلى حسين وحدث فيه بعينين حمراوتين مشوبتين بالغضب وقال : لاشك أن الإنسان خلق ظلوما جهولا فهذا مالا يدركه خيالك ، ونحن كذلك ننسب إليه تلك الصفات بموجب إرشاده وتوجيهه ونطلق عليه اسم "نور" ، ولكن لأنه منزّه فى خيالنا عن النور ؛ لهذا نقول عليه كذلك "الأنوار" .

حسين : هذا صحيح لا ريب وقد اطمئنت الآن وإن شاء الله لن أندم على أفعالى ، ولكنى أمل الآن أن ترينى تلك اللجنة حيث جلست "زمرد" متألقة بجوار الأجرام الفلكية.



الشيخ : حسنا..

بعدها نهض الشيخ وفتح خزانة كتيبه وأخرج منها كتابا صغيرا وقلب في أوراقه وأخرج رسالة وأعطاهما لحسين وقال: خذ هذه الرسالة واحتفظ بها تماما واحملها معك عندما تسافر إلى مدينة أصفهان وتذكر أن هناك خارج هذه المدينة مسجدا آيلا للسقوط متهدما ستجد في هذا المسجد فقيرا يتسول في الظاهر ، ولكنه في الباطن صوفي كبير وهو يرتدى جلد خروف طول الوقت ويستجدي من المارة وينادي في انكسار" من الأفضل أن تضع لقمة في فم الكلب" واسمه كاظم جنوبى فسلمه هذه الرسالة وإقرئه السلام وسوف يأخذك في الليل إلى غار تلتقى فيه بأحد كبار العالمين بالأسرار السرمدية، وستبدأ في ذلك الوقت طي الدرجات للوصول إلى الجنة وفي غضون عدة أيام تعيشها في هذه الحياة التي هي غالبا مجرد حلم ، وسوف تصل إلى أعلى الدرجات حيث الفردوس الأعلى.

أخذ حسين هذه الرسالة وقبّل يد الشيخ ثم قبّل قدمه مودعا وقام متجها ناحية أصفهان، كان سفره إذ ذاك أكثر اطمئنانا وقد محت خطبة الشيخ على وجودى من قلبه كل أثر للوم أو لندم على الذنب، وتمثلت أمام عينيه حديقة الأمل والرغبة وكأن رمرد أقبلت تريد أن تعانقه.

دخل بغداد وهو فى هذه الحالة من الطمأنينة والسرور وحين وصل أصفهان، ووقف مترددا على باب المسجد خارج المدخل الشمالى، فإذا بهذا الصوت يناديه "من الأفضل أن تسد فم الكلب بلقمة" فأسرع فوراً ودخل المسجد وأخرج رسالة الشيخ ووضعها في يد "كاظم جنوبى" والذي كان يجلس مرتديا جلد خروف ويصيح في حلبة وضجيج.

نظر كاظم جنوبى إلى حسين نظرة استعجاب وحيرة وصاح فى لهجة قوية مخيفة " حذار من الناس حذار " ، ولكنه عندما قرأ الرسالة قام على الفور وعانقه ، وقال لم أكن أعرف أنك فرع من شجر المعرفة ، تعال اجلس تناول طعامك واسترح ، وفى الليل سأأخذك عند شيخ الجب ، حيث اختار غيابة الجب ، ولما كان النهار مظهرا للنور ؛ لهذا تنعكس فوقه أنوار اللاهوت طوال النهار ، ولأن الليل مظلم وموحش ، ونموذج للظلمة ، لهذا ينشأ نوع من العلاقة بين الصور المادية فى هذه الظلمة .

حسين : لكنى لا أعلم هل تفضل لقاء المذنبين وذوى الأعمال الشريرة كذلك؟

كاظم جنوبى : من المؤكد أننا سوف نلتقى ، فأنت فرع من شجرة المعرفة .

ظل حسين فى المسجد طوال النهار وفى المساء ، ويعد أن (مر من الليل ثلثه) اصطحبه كاظم جنوبى واتجه ناحية منطقة جبلية بعيدة ، ويعد أن طويا مسافة كبيرة بين مرتفعات ومنخفضات ، ومرا على العديد من الممرات الجبلية توقف كاظم أمام فتحة غار كبير ثم صاح بقوة " شيخ الجب فراشة تتلألأ فى الظلمة المادية " ، لكنه لم يتلق الرد فصاح كاظم جنوبى قائلاً " أرح الستار من على المرأة ، أريد أن تنعكس منها تجليات الأنوار اللاهوتية " لم يتلق جوابا عندئذ صاح " أسير هيكل العناصر الأربعة ليس لديه صبر للذهاب إلى الخلوة " وفى النداء الثالث جاء صوت مهيب من بين الظلام ، وتجاوب صدى الصوت بين الصخور بداخل الغار " مرحبا بالشاب الأملى مرحبا " إن إحدى حوريات الجنة لا تصبر على فراقك منذ عامين ، وقد رأيتها أثناء سفرى اللاهوتى حيث كانت هذه

الخورية تبكى فى أركان الفردوس الأعلى وتسعى إلى معرفة الطريق إليك ،  
والآن سوف تحصل على متاع الخلوة من هنا، تعال وشاهد معجزات  
القدرة .

صاحب هذه الجملة نور بدا من قاع الغار، وقال كاظم جنوبى  
لحسين : " كفى لا أستطيع التقدم للأمام، ليس لى طاقة على ذلك " .

حسين : لماذا؟

كاظم جنوبى : إن ضياء التجلى يحرق جناحى لو تقدمت قيد  
أنملة فلو تقدمت خطوة لاحتترقت ؛ فاذهب واعلم أنك فرع من شجر  
المعرفة .

بعد أن سمع حسين هذا ترك " كاظم جنوبى " وهبط إلى الغار،  
وقلبه متحمس لأن يرى حلم القلب، وهو فاقد لوعيه، وظل لفترة من  
الوقت يتعثر بالصخور هنا وهناك ، لكنه عندما وصل إلى النهاية التى كان  
النور ينبعث منها وجد على يمينه سلما فهبط مستخدما هذا السلم، وخلافا  
لما توقع وجد أمامه بيتا واسعا فخما بين هذه الهضاب المخيفة ومساكن  
الضواري والوحوش تضاء كل جوانبه بشموع كافورية ، وكان العود  
واللبان والأبواب والحوائط مطلية باللون الذهبى وعليها النقوش والزخارف  
على هيئة بيانات ، وكانت مرصعة بقطع من الزجاج والأحجار الكريمة  
الملونة انعكست فوقها صورة الشموع المضيئة مما أوجد جوا عجيبا فى كل  
اتجاه وناحية ، وقد أصيب حسين بالجنون وبهت بعد أن رأى كل مظاهر  
المتعة هذه، وصاح فى حماس وقد نفذ صبره " هل هذا هو الفردوس  
الأعلى " فانبعث من مكان قريب صوت فى لهجة ممزوجة بالطمأنينة " ،

لمكن هذا هو المنزل الأول للمستترهين فى الخلوة ، والتى يمكن أن تكون كفوًا للبقاء فيها، ويجب ألا تصاب بالذهول فجأة بعد أن ترى متع الجنة .

حسين : لكن من أنت؟ وأين تكون؟ حتى أحضر لك وأودى لك الشكر.

صوت : أنا قريب منك.

وفجأة جاء صوت وسحبت الستائر المزركشة التى كانت تبدو أنها جدار فغاب عن النظر بعد أن سحبت الستائر، وظهر رجل طاعن فى السن قوى البنيان تبدو طلعتة نورانية بهية متكئ على أريكة مطعمة بخيوط الذهب ، والعجيب أنه كان يجلس فى حالة استغناء وعدم اكتراث ، وكان وجهه نورانيا صافيا كالمرآة ، بينما كانت الشموع التى تتلأل كالشمس تلقى بنورها على رجاج الحائط والباب من جميع الجهات ، كانت لحية الشيخ بيضاء كثة تخدم (الناظر) إليها ، وتبدو كأشعة الشمس أو سجاج مصنوع من خيوط الفضة والذهب.

وعندما رأى حسين هذه الصورة النورانية جرى إليه كالفراشة ، وجثا على قدميه وقال: من فضلك من أنت؟ لعل اسمك رضوان؟

الشيخ : لا، فأنا لازلت حتى الآن فى إطار الجسد المظلم لكن الحجاب الأول قد رفع عن عينيك، فأهل الدنيا يطلقون على اسم "شيخ الحب" بينما أدعى "طور المعنى" بلغة المتصوفة أهل الحقيقة.

حسين : (فى حيرة) لعل "طور المعنى" فى الحقيقة هو نفس النور الذى تجلى لموسى على جبل الطور؟



طور المعنى : لكنك ترى من خلال سبعين ألف حجاب .

حسين : بالله عليك ارفع عنك كل هذه الحجب .

طور المعنى : أنت الآن بعيونك المادية البحتة لست جديرا بهذا ، لكن اصبرا وسوف تنال متاع ذلك ، وسترفع كل هذه الحجب .

وفجأة حضر غلام جميل وأعطى " لطور المعنى " كأسا من الشراب ، فرفعه " طور المعنى " بيده ناحية حسين وقال : اشرب من هذا الكأس وستقرب درجة أخرى من الملكوت ؛ فشرب حسين الكأس فورا وشعر معها بأن رأسه بدأت تدور ، وغفل بعد أن التصق بطور المعنى وقد فتح عينيه عدة مرات فى نوم الغفلة فكان يجد نفسه فى كل مرة فى مكان جديد ، فمرة يكون فى مروج خضراء نضرة ، ومرة أخرى فى عمارات جبلية وعرة موحشة ، وكلما عاد إلى وعيه لا يظهر له ملاك أو إنسان بل نوع من الناس غير العاديين فى هذه الخلوة يؤكدون له قربهم من هدفه أكثر فيتأكد له ذلك ، وفى النهاية فتح عينه فإذا بشاب يقف أمامه يرتدى ملابس حريرية بيضاء مطرزة بالذهب ، على رأسه تاج ثمين مرصع بجواهر كريمة ، وعندما وقعت عيننا حسين على هذا الشاب الوسيم الذى كان يرتدى ملابس ملكية ويلبس تاجا على رأسه بدأ يقول له فى لهجة متضرعة عاجزة " الآن ليس لى صبر على الانتظار و الأمل " .

الشاب : أيها الجسم الترابى لقد طويت مراحل الحيرة ، ألا تعلم أنك الآن قريب من السماء وعلى باب الفردوس الأعلى ، فلا تضطرب ، الملائكة المقربون فى انتظارك والخور العين تترين لك الآن .

حسين : ومن أنت ؟

الشاب : أنا ذلك البروخ الذى يتوسط اللاهوت والناسوت ، وهذا هو جسمى الذى كان يتحول أحيانا إلى نور يتجلى على طور سيناء وهو نفس النور الذى أظهرته العظمة الإلهية فى جسم المسيح ، وكان يضىء مصباح الحياة فى الموتى وهو ذلك النور الذى يومض فى صدر رسول آخر الزمان من عظمة الإشراف المجرد، وهو نفس ذلك النور الذى يغير أجسام المعصومين بعد أن يضىء مشعل الإمامة.

حسين : فانت إذن جبريل؟

الشاب : إن جبريل كذلك شمعته صغيرة من تجلياتى.

حسين : لعلك وحي لا تموت؟

الشاب : لست وحيًا لا يموت أو وحي لا يموت ، لكننى لا أستطيع أن أدعى ذلك مع هذا التشخيص، ومن الضروري أن أقول: "أنا خالق الأرواح"، "أنا خالق الإصباح"<sup>(١)</sup> لكننى فى هذا الوقت شكل فى غير ثبات ، يظهر فى شكل إمام يجب على كل مكلف أن يؤمن به.

حسين : (بعد أن ضرب كفا بكف) وأنا أيضا أبايك بإمامتك وعلى نقطة الوحدة هذه.

الشاب: اسمع يا حسين لقد وصلت إلى هدفك المنشود وطويت درجات الصعود ولعلك تناله قريباً وهو مفتوح لك منذ ستين، ومع أنه سقطت عنك فرائض العبادات الدنيوية ، لكن ينبغى عليك لكى تخرج من قلبك الأثر الباقي من الدنس الأرضى أن تجلس أمام بوابة الخلوة لتؤدى

(١) هكذا فى الأصل .

طقوس عبادة مختصرة، يجب عليك أن تردد هذه الكلمة فقط على لسانك لمدة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً.

وهي : "يا مركز النور أغرقني في بحار أنوارك"<sup>(١)</sup>. ولكن هناك شرط هو أن تأكل قليلاً ، ولا يجب ألا يتزل حلقك قطرة ماء في تلك الأيام الثلاثة.

وبعد أن قال الشاب المتوج هذا الكلام ترك عدة أرغفة ورحل. وبذهابه غلقت في وقت واحد جميع أبواب المكان فجأة ، وفي البداية شعر بالاضطراب بعد أن صار وحيداً ، لكنه تذكر على الفور نصيحة المرشد والإمام الأخير فشغل نفسه بالرياضة الروحية والتسبيح وظل يردد تلك الجملة بشكل متواصل، وجن جنونه في اليوم الثالث من جراء العطش وجف كل حلقه من شفثيه حتى صدره ولم يكن يصدر عنه أى صوت سوى همسات خافتة ، لكنه لم يمنع لسانه من الأوراد شوقاً إلى زمرد، وكان يدعو بذلك وهو في هذه الحالة من الاستغناء وإنكار الذات.

وفي اليوم الثالث كان لسان حال حسين يصبح من العطش فإذا بالشاب المتوج الذي يرتدى ملابس ملكية قد جاءه وقال له: "هيا الآن استعد للسفر إلى الجنة، لقد أكملت رياضتك وطويت جميع المراحل ولم يتبق أى شيء يقف عقبة في هذا الطريق ، لكن حسناً أنت عطشان بعد قليل سوف تستعيد نشاطك وهمتك" ، ولم تكد هذه العبارة تخرج من لسان هذا الشاب حتى ظهرت امرأة غاية في الجمال والحسن، وقد أمسكت في يدها كأساً مرصعاً بالذهب، وممثلة حتى آخره بنوع خاص من

(١) هكذا في الأصل .

الشراب، له لون جميل فأخذ هذا الشاب الكأس من يد الحسناء ورفعها ناحية حسين ، وقال: " خذ هذا الشراب الطهور الموجود على الدوام في الفردوس الأعلى، وسوف يزول عنك التعب والإعياء والعطش وكل الأمور المقلقة ، وسوف تدخل الجنة وأنت في غاية السعادة الروحانية والنورانية.

أخذ حسين الكأس بسرعة وأفرغه في فمه ، وكان العطش قد اشتد به فزال عنه بجرعتين فقط، وما إن مرت لحظة واحدة حتى بدأ يشعر بثقل في رأسه صاحبه نشوة سكر ؛ فأخذ يغفو وفقد وعيه تماما حتى لم يعد يدرى ما يدور حوله.

## الباب الرابع

### الفردوس الأعلى

لم يدر حسين كم قضى من الوقت فى هذه الغفلة، لكن ذهوله بدأ يزول قليلاً ، وبينما بدأت نشوة الغفلة تتلاشى إذا بأنغام جذابة طربة تصل إلى مسامعه، وبدأت أمامه كأنها مجموعة أشكال فاتنة ساحرة بمصاحبة المزامير والآلات الموسيقية الغربية والعجيبة تبارك بهذه الترنيمة بأفواهاها التى تنبعث منها البهجة وحناجرها النورانية "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين"<sup>(١)</sup> فاضطرب وفتح عينيه تلقائيا من فرط سعادته، وحيثما جال نظره وجد هذا المنظر يخيم على كل مكان "فالمعجزة تشد طرف القلب ؛ فالمكان هو هذا المكان"<sup>(٢)</sup> . فى هذا الوقت وجد حسين نفسه يركب سفينة مرصعة بالذهب ، وكانت السفينة قد رست من فورها على شاطئ قناة ضيقة لكنها جذابة بعد أن سحبا صبية أجسامهم رقيقة على درجة كبيرة

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) هكذا فى الأصل .



من الجمال ، وكان الماء الصافى الطاهر يتحرك ليقبل هذا العشب الناعم البديع ، وفى بعض الأماكن تجد الأشجار الكثة الظليلة مثل الضفائر الملتوية المتشابكة تنحنى على ضفتى قناة ؛ فتلامس سطح القناة أحيانا وتغوص بداخلها أحيانا أخرى ، ولكن السفينة قدمت على الشاطئ من فروج فسيحة ، وبناء على أوامر الملاحات الحسناوات نزل من على السفينة وبدأ يتنزه على العشب فزادت حيرته ، وبعد أن ترك شريط العشب الضيق الممتد عند الماء بدأت سلسلة الورود المتفتحة ذوات الألوان البهيجة الممتدة على مسرحى البصر على ضفتى النهر ، وبالرغم من أن الورود كانت فى حالة من النضارة والألوان الزاهية ، والتي كانت تبدو فقط من عارض الأراهير لكن إلى جانب هذا الربيع الطبيعى كان هناك هذه المتعة أيضا وهى ترتيب وتنسيق الحدائق بعلم وذكاء فوق العادة بل فى غاية الذوق ، فبعض صفوف الحدائق يحمل نوعا واحدا ولونا واحدا من الزهور ، وتبدو كأنها شعب واحد وملابس رسمية واحدة مقسمة على معسكرات الجيش المختلفة وتمتد حتى حدود الرؤية ، لكن معظم الحدائق التى تم فيها تنسيق الزهور مختلفة الألوان بها رخارف على الأرض يتحير لها العقل الإنسانى ، فكل الروضة وكل الوادى الذى يمتد لأميال بعيدة فى جمال متناسق وتتعلق حولها الجبال الخضراء النضرة ؛ فكانت تلك الرياض ممتلئة بالأراهير فى كل جوانبها ، وكانت الأنهار المختلفة تنزل من الجبال بعد أن تتكون صفائح الماء من خلال الشلالات فتساب من بين الأراهير والرياض ، وسواء كانت مياهها مشبعة بشذا الورود أو بسبب آخر كانت تثبت شجيرات الورود والرياحين ، وكان لسان حال هذه الأنهار يصيح ويقول نحن تسنيم وسلسيل ، أما الطرق والممرات فقد ظهر إعجاز فى إعدادها وترتيبها على ذلك النحو ؛ بحيث يكون هناك نهر صاف فى أحد جوانب كل روضة ،

وفى الجانب الثانى شارع صغير رائع يعانقه ؛ فكان هذا الشارع يظهر كمال الصنع أكثر من الروضة ، وقد استخدم فى تمهيد تلك الشوارع والطرق مختلف أنواع الحصى والحجارة والألوان ، وقد رصف كل شارع بلون خاص من الحجارة الكريمة فُرشُ أحد الشوارع الفيروز والآخر بالزمرد . والثالث من الياقوت والرابع من أحجار النيل ، وكان هناك نوع من الجمال فى التنسيق بحيث يبدو تناسب وانسجام بين لون أزهار الروضة والشارع الضيق الأنيق الذى يمر بجوارها والطيور المغردة الصداحة تطير وتتشرب فى أرجاء تلك الرياض وتخط قرب الورود تحكى قصص الحب والعشق ، ويعلم الله على يد أى أستاذ بارع تعلمت ، كما أن أكثر الذاهبين والغادين فى النواحي الأخرى يسمعون نشيد الترحيب من حناجر الحور النورانية ، وهناك جوقة طيور صداحة تردد كلمة الترحيب هذه على أرغونها الطبيعى: "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين" (١).

وقد تعجب حسين وازدادت دهشته عندما رأى أسرة ذهبية وفضية منتشرة فى كل مكان على شواطئ الأنهار فى تلك الحدائق وعليها فُرش من الحرير المشجر بالورود ، بينما الناس يسندون ظهورهم على أرائك كبيرة والفتيات الصغيرات الفاتنات يجلسن فى ركن من الأركان يستمتعن بالجنة فى طمأنينة .

فى أحد الأماكن يقف أمامنا فتية غاية فى الجمال والحسن يتشرون فى كل مكان يقومون بأعمال السقاية بحركات غاية فى الرقة واللطافة ، والشراب يدور ، وللنشوة والمتعة كانت الطيور الملبدة تقطف الفواكه من

(١) هكذا فى الأصل .

الأشجار المثمرة تحضرها وتضعها أمامهم وتطير، وكانت المتعة الكاملة بالشراب والمحبوب متوفرة لهؤلاء الناس، وكان أكثر ما أثار انتباه حسين هو أن كل الناس يستمتعون بتلك اللذات باطمئنان ودعة، بلا تعب أو نصب ولا يدرى الواحد منهم أيضا من يمر بالقرب منه ولا إلى من ينظر فلا أحد يحسد أحد، ولا أحد يخفى سعادته عن أحد: الجنة هناك حيث لا تعب ولا أذى حيث لا يكون لأحد شأن بالآخر تولد الحماس في قلب حسين بعد أن رأى هذا العالم فصاح بصوت عال: لا شك أن هذا هو الفردوس الأعلى، هو بعينه، وهنا يأتى المؤمنون والصالحون لكى ينالوا جزاء أعمالهم الطيبة، لكن وآسفاه أين أنت يا زمرد؟ ولم يكذبته من هذه الجملة حتى قال شخص ما بصوت جذاب صدر من ناحية الورود بالقرب من الروضة "أنت الآن تراها فى رياض الجنة فارفع ناظريك قليلا وانظر فى القصور والمنازل".

لم يكذب يسمع هذا الصوت من ناحية حتى ظهرت أمامه حسناء فاتنة رقيقة الجسد، حنت رأسها وابتسمت وقالت "أنا أيضا لك" فاستحى حسين قليلاً وابتعد عنها، وبعد أن نظر إلى وجهها بتمعن قال: "لكننى لا أريد غير حبيبتي زمرد".

الحسناء: سوف تجدها أيضا؛ إن كأس سعادتك ضيق، فانظر قليلاً إلى تلك المباهج والمسرات ومن ثم ستلتقى بها، انظر إلى قصر اللؤلؤ الذى أمامك حيث تقيم زمرد، إنه لك.

رفع حسين نظره فشاهد القصر المنيف، ووقعت عيناه على القصور الأخرى أيضا فرأى أن هذه القصور أكثر فخامة وبهجة من الحدائق؛ فبعضها يبدو من الذهب الخالص وبعضها من المرجان وبعضها من اللؤلؤ

ويطلقون عليها جميعا بكلمة " كشك " و " قصر " و " محل " حسب أهميتها من بين هذه القصور قصر من الفيروز وآخر من الزمرد وثالث من الياقوت ورابع من الماس ، وكان قصر اللؤلؤ بلونه الأزرق مخصصا لحسين باللون ، ويظهر أنه مطعم باللؤلؤ من أسفل إلى أعلى كما رُصعت أجزاء منه بقطع من الصدف الأصلي المتلألئ ، وعلاوة على لون جميع القصور الذى يشير إلى القصر المذكور ؛ فإن جميع الأبواب والحوائط قد حُشيت إطاراتها بقطع من الزجاج والبلور ، وكانت هذه المرايا تتلألأ بقدر هائل فى ضوء آلاف الشموع الكافورية ليلاً ، وفى نور الشمس نهاراً .

بالإضافة إلى هذا رصعت تلك الحوائط من الداخل والخارج بالجواهر فكانت أشعتها المتلألئة تخلق جواً عجيباً من السرور ؛ على كل حال فإن مجموعة القصور الملونة الذهبية والفضية ومراياها قد نشرت نورا فى جميع الجوانب الأربعة ؛ بحيث لو وقع النظر عليها يتولد الحماس والحمية فى قلب الإنسان . بعد أن رأى حسين تلك القصور ظل واقفاً مبهوراً لفترة من الوقت لكن عقله اتجه ناحية هذا القصر الخاص الذى كان قد سمع من الحورية أنه خاص به ، والذى كان يأمل أن يلتق فيه حبيبته زمرد ، عندئذ اتجهت عواطفه القلبية بقوة نحو زمرد فلم يعد يرى السعادة فى أى متعة ولا ينظر ناحية أى شيء قط فوصل مباشرة إلى بوابة هذا القصر ، وكانت زمرد قد خرجت من القصر لاستقباله أيضاً ، كان نظرها غير عادى ، لكنها فى شكل أخذ جذاب كانت تقف مكشوفة الشعر جدائلها مسترسلة على الظهر والأكتاف تلاقى ، وتواجهت العيون ، وفى حماس تلقائى نطق كل منها باسم الآخر وأسرعاً يتعانقان ، وكان حسين فى سعادة غامرة ، وكان وجه زمرد ينطق بالبشر والسعادة غير العادية ، وانخرط حسين فى

البكاء تلقائيا من فرط حبه، وراثة زمرد ييكي من نفسه فانتحت به جانبا  
وقالت : " يا حسين البكاء هنا حرام فجفف دموعك الآن " .

حسين : (بعد أن جفف دموعه) هل هذا هو الفردوس الأعلى  
يازمرد؟

زمرد : هو بعينه.

حسين : لقد جئت إلى هنا وتركتني في ذلك الألم والعناء.

زمرد : لم يكن الأمر باختيارى، لقد جئ بى إلى هنا فى استشهاد  
مفاجئ، لكنك بقيت على قيد الحياة ، وكان ضروريا أن تأتى إلى هنا بعد  
أن تطوى ما طويت من مراحل ودرجات، لكننى أقول لك صادقة إنه لم  
يقر لى قرار فى هذه اللجنة بسبب فراقك، فماذا أقول؟ عن الصعوبات التى  
واجهتنى لكى أحصل على إذن لأخبرك بكيفية المجيء عندى.

حسين : لقد كانت مثل تلك الأعمال التى ربما لا يستطيع أن أصل  
بها إلى هنا بالموت ، ولكن حبك فقط كان هو الذى أحضرنى على طريقة  
الحضر.

زمرد : حبيبى.

حسين : نعم حبك.

زمرد : لكنى ماذا عساي أن أفعل لو لم يكن فى قلبك صدق الطلب؟

حسين : لكننى بهذا الطلب تمكنت من الوصول إلى هذا الفردوس  
الأعلى ، وقد عقدت العزم على أن أكون عند هذا القبر وأمام هذا الحجر  
المحفور عليه اسمك المحبب حتى ألفظ أنفاسى.



زمرد : حسنا ، هذه أمور تحدث وستحدث ، فادخل الآن واجلس  
بهدهوء واشرب كأسين من الشراب الطهور ، وانظر كيف أن الله - جل وعلا -  
قد هيا لى سبل الراحة والمتعة ، بعدها أخذت زمرد حسين إلى الداخل .

كان الوقت الذى نزل فيه حسين من السفينة على شاطئ النهر بداية  
المساء ، والآن حلّ الليل ، فأضاءت الشموع الكافورية كل جانب ، وكان  
هناك قسم خاص من النور البارد لا يعرف من أين ينبعث وكيف يتولد ،  
أما فتحات ضوء السقف والنوافذ العالية والبوابات فكانت تتلألأ ويبدو  
منها آلاف الأقمار قد أُطلق سراحها فجأة ، وفى هذا النور الساطع تسقط  
الشموع فيها ، وكان الحبيبان فى لقاء حميم ينظر كل منهما إلى وجه  
الآخر نظرة حب والمجذاب ، ورأى حسين فى حيرة هذا النور الغيبي وأدرك  
كنها ؛ فكان يخرج مرارا من الباب ، ويسترق النظر ، لكنه لم يستدل على  
شئ ، كل ما عرفه هو أن مركز هذا النور ومصدره قمم الجبال المحيطة به ؛  
حيث ينبعث الضوء ويتلألأ أكثر فتنبعث أشعته من هناك لتتير كل مكان ،  
ورأى الضوء يسطع بشكل كامل ، ويصل إلى ذروته ، وسمع أناسا  
يتصايحون من كل جانب قائلين هذه العبارة " هذا الذى وعدنى ربي " (١)  
ترددت هذه العبارة ؛ ترددت على لسان حسين عدة مرات كذلك مع  
أولئك الناس فى حماس غير إرادى ، وعندما لم يستطع حسين أن يحل  
لغز هذا النور سأل زمرد قائلاً : " ما هذا النور ؟ " .

قالت زمرد : ألا تعلم أنه هو النور الإلهى الذى كان قد تجلى لموسى  
فى الوادى الأيمن ، وقد قرأت فى القرآن والحديث أن الله ربما يتجلى فى  
الجنة ، وهذا نور من الله .

(١) مكذا فى الأصل .

حسين : إذن ، هذا هو الله جل وعلا؟

زمرد : لا أستطيع أن أقول هذا ، ولكنها إرهابه .. أولى وهي أكمل وأصدق صورة له .

بعد أن سمع حسين هذا الرد خر ساجدا أمام هذا النور ، لكن زمرد أنهضته وقالت : "أنت غير مكلف بالعبادة هنا ، فلا هدف من هذا النور سوى إدخال ينشأ الطمأنينة والسرور في قلوب الناس .

الآن وقد رأى حسين فرش القصر وجميع الكماليات ، تأكد له أن كل هذا المتاع نوراني ، ولا يخطر على قلب بشر في الدنيا ولا يمكن لأحد أن يقدر ذلك ثم أشارت زمرد بيدها قائلة هنا ترى جميع الأشياء العجيبة تدور ، وقد اعترف حسين وآمن من كل قلبه بحماس برحمة الخالق ذي الجلال والإكرام وقدرته على كل شيء ، وفي نهاية الجولة منع من دخول أحد الأماكن فعاتق زمرد بعاطفة ملتهبة وقال : مع جميع هذه المتع وكل هذا السرور والهناء إلا أن زمرد بالنسبة لي لا تعادلها نعمة .

زمرد : إن هذا الحب قد أتى بك إلى هنا ؛ لأن هذا المكان لا يمر به أى إنسان حى إلا نادرا ، وهذه هي فضيلتك الكبرى ؛ فقد وصلت إلى أرض النور بالرغم من هذا الجسد الترابي .

تجول حسين في الجنة وتمتع بحسن زمرد وجمالها ، وقضى على هذا الحال أسبوعا يستمع إلى أصوات النغمات الحاملة المنعشة للقلب التي كانت تدوى وتهدر في كثير من الأذان ، وكان الكثير من الحوريات يحضرن في خدمته ، لكنه كان زاهدا في جميع الحوريات الجميلات ، ولم تكن له أى علاقة بأحد غير زمرد ، فكان يتأبط زمرد كل الوقت يتجولان معا ويتزهران

فى تلك الروابى المنعشة والأودية الخلابة الساحرة، وقد ظلت زمرد تتجول معه وتتتزه حيناً من الدهر حتى جعلته يشاهد جميع المتزهات والأماكن الخلابة هناك ، وقال حسين ذات مرة: لقد سمعت يا زمرد أن الوقت فى اللجنة دائماً هو وقت الصبح ، لكننى عندما جئت إلى هنا رأيت أن التغيرات الدنيوية موجودة هنا أيضاً.

زمرد : لقد أخطأ الناس فى فهم هذا الأمر، فما يقال أن كل وقت يظل كوقت الصباح هنا ليس معناه أن الإنسان هنا لا يمكنه أن يستمتع بأى وقت آخر، كذلك فإن الهدف الأصلى من الاستمتاع الكامل بالجنة هو أنك لابد أن تجد مثل ذلك المكان هنا فى كل وقت حيث يتمتع الإنسان وقتما أراد.

حسين : كيف؟

زمرد : هذا الأمر لا يتضح مشافهة، فهيا نمشى لتراه بعينيك، واصطحبته معها بعد أن قالت ذلك ، وخرجت من القصر الدرى قائلة : انظر هنا فالجو يبدو مثل الظهيرة، (ولستقدم الآن قليلاً) وبعد فترة وجيزة وصلا إلى دوحة كثيفة من الأشجار الخضراء الياضعة التى تمنع أشعة الشمس من الوصول ، وكان الظلام يخيم على كل مكان إلا من ضوء خافت بارغ هناك من الجبل الذى يطل على القلاع الشرقية، وبعد أن وصلت زمرد هناك قالت: انظر فهذا هو وقت الصباح.

حسين : لا شك فى ذلك.

زمرد : تقدم إذن.

وبعد أن غادرا ذلك المكان بفترة وجيزة وصلا إلى وادٍ صغير تحيط به الجبال من كل جانب بين الأشجار تبدو ظلمة غير دامسة وعلى مسافة

قصيرة منها يتصاعد دخان خفيف من فوق القصور ، وكانت المصابيح مضاءة في بعض الأماكن ، ويعلو صوت تغريد الطيور ، وتبدو أشعة غروب الشمس على القلعة من ناحية الغرب ، وهنا توقفت زمرد قائلة : "وهكذا يكون وقت المغيب" .

حسين : لا يمكن الشك في هذا .

زمرد : لقد شاهدت وقت النهار ، ورأيت المساء كذلك ، ولم يتبق غير رؤية وقت الليل فيها بنا لأريه لك .

بعد أن عادا من هناك أخذت زمرد حسين ودخلت في غار في أحد الجبال به طريق منخفض ممهّد في غاية الجمال ، ولم يكن به سلم بل جزء الأرض المرصوف والملون يهبط لأسفل لحظة بلحظة ، وكانت هذه الأرض تتشعب في طريقين ، وفي النهاية وصل الاثنان إلى منطقة مليئة بالفخامة والنعيم حيث كانت أضواء الشموع الكافورية تملأ المكان ، والشريرات والمصابيح الكثيرة مدلاة ومعلقة ، وكانت هناك قطع ذات ألوان مختلفة من الزجاج على الأبواب والحوائط ، وكانت ذوائب تلك الشموع تتلألأ بنور عجيب لا مثيل له يستلب النظر .

زمرد : انظر هذا هو الليل ، وكم هو ليل محجب .

حسين : حبيبتى زمرد مادمت معى فكل شيء محجب .

وبعد أن رأيا كل هذه المتعة عاد إلى قصرهما ، وبدأ يتحدثان معا في أمور الحب وإن بدت زمرد في البداية حزينة بعض الشيء ، وكان هذا الحزن واضحا على وجهها وإن كانت تحاول جاهدة أن ترسم على وجهها البشاشة رغم ما بقلبها من حزن .

وأدرك حسين هذا الأمر مندهشا فقال : يا زمرد تبدين اليوم حزينة أيضا رغم وجودك فى هذا الفردوس الأعلى .

زمرد : لا .. لكنتى قد أكتئب شئت أم أبيت عندما أتذكر من آن لآخر المفارقات السابقة .

حسين : لكن الله قد صرف عنا هذه المصيبة ، وآمل الآن أن نكون هكذا دائما ويستمتع كل منا بوصول الآخر .

زمرد : هكذا إرادة الله ، لكنتى لا أرغب فيها يا حسين .

حسين : (بدهشة) لا ترغبى ، هذه هى اللجنة التى تكون فيها المتعة الأبدية السرمدية ، وهنا لا يمكن للمرء أن يفكر فى العداء ، ولا يحسد أحد فما هو سبب اليأس والقنوط ، " لا تقنطوا من رحمة الله " (١) .

زمرد : لا شك فى ذلك ، ولكنك يا حسين جئت إلى هنا قبل الأوان وأولئك الناس الذين جاءوا للمتعة الأبدية السرمدية سيأتون بعد الموت بعد قطع علاقتهم بالدنيا ؛ فأنت حتى الآن لم تقطع صلتك بهذه الدنيا المادية وأحضرت معك هذا الجسم المادى ، والذي من أجله لابد لك من العودة إلى ذلك العالم للتركة هناك فى عالم الدنيا ، فانظر لقد جاء السيد المسيح إلى هنا حيا ، ومازال كذلك لكنه لم يتمتع بأى متعة كاملة ، ولهذا ندرك أن عليك العودة إلى الدنيا ذات مرة لترك هذا الجسد ، ففى حقيقة الأمر لا يمكن للمادة الكثيفة أن تبقى فى موطن هذا النور .

حسين : وآسفاه! متى سأذهب؟

(١) هكذا فى الأصل .



زمرد : عندما يصدر الأمر ، لكتنى أعلم أن ذهابك سيكون قريبا ،  
ولهذا فسوف استدعونك لعدة حاجات ملحة هناك ، دمعت عينا حسين  
بعد أن سمع هذا ، وزفر آهة باردة من قلب ملئء بالحرقه وقال : " انتهى  
الربيع ولم نشبع من وجه الوردة" (١).

فأنا الآن لم أحصل على متعة وصالك ، ولكنك يا زمرد لن  
ترحلى معى ، ومن الآن سوف أضع يدي فى يدك دائما فلا يفرقنى عنك  
أحد أبدا.

دمعت عينا زمرد بعد أن سمعت هذا الكلام وقالت : يا حسين هذا  
الأمر خارج عن نطاق قدرتك ؛ فحينما يحين الوقت لن يكون لديك علم  
به ، وسيأخذونك إلى عالمك فى طرفة عين .

حسين : (بعد أن بكى) إننى لن أتحمل مصيبة فراقك ، وسوف أقتل  
نفسى ولن تمر ساعة واحدة إلا وقد وصلت عندك .

زمرد : لا تغضب إلى هذا الحد ، فلو انتحرت ستحرم عليك الجنة ،  
ومن ثم لن يكون هناك أمل فى لقائك حتى يوم القيامة .

حسين : (بعد أن ضرب ييده على صدره بقوة) : لماذا إذن سأتبقى  
حيا؟

بالله عليك يا زمرد أخبرينى بحيلة وإلا سوف أعجز عن الفهم إلى  
الأبد ؛ لأننى بعد أن أذهب إلى الدنيا لن أستطيع الحياة ، فهناك آلاف  
الموانع ، وسوف أغرس خنجرى فى صدرى ؛ حسنا . . إن لم يكن الأمر  
كذلك فامش معى .

(١) شطر من بيت شعر .

زمرد : هذا مستحيل بأى حال من الأحوال ، ألا تدرك يا حسين أن لا حول لى ولا قوة ، بدأت تضطرب بينما تنطق بتلك الكلمات ، ونهضت ونظرت هنا وهناك خشية أن يسمعها أحد ، وعندما لم يظهر لها أحد أطمأنت وجلست ، وقالت : يا حسين هل من فائدة من هذه الأحاديث الآن ، لقد حان وقت عودتك .

صاح حسين : (صاح بعد أن نفذ صبره) : ماذا الآن!! لن أذهب الآن ، ثم أمسك يدي زمرد وتثبت بهما .

زمرد : لا فائدة من هذه الأفعال ، لأنك ستزداد سوءا بقدر ما تبدى من عدم تحملك ، لقد سنحت لنا الفرصة للحوار منفردين ، فاغتتم الوقت واستمع لما أقوله ؛ لأنه لو جاء أحد فسوف تفلت هذه الفرصة من أيدينا ونظل طول العمر نتأسف حسرة عليها ، وستخبط فى أنحاء الدنيا ، ولن نصل إلى هدفنا .

حسين : (بعد أن تماسك وتحامل على نفسه) أسمعك جيدا ، حبيبتي زمرد أخبريني عن حيلة لكى أتصرف على أساسها ، ولم يكذبك هذه الجملة حتى اغرورقت عيناه بالدموع ؛ وبدأ فى النحيب والعيويل . فقالت زمرد : (بعد أن وضعت يدها الرقيقة على فمه) هل تضايقت؟ بالله عليك تماسك وابك بعد أن تعود إلى الدنيا فلدى أمر هام أريد أن تسمعه بعد أن تسترد كامل وعيك و تستعيد حواسك .

حسين : (لم تفلح محاولة منعه من البكاء) : أخبريني يا حبيبتي زمرد ، فأنا أستمع إليك بقلبي وروحي .

زمرد : بعد رحيلك من هنا عليك أن تعمل جامدا مع أولئك الناس الذين ساعدوك فى المجيء هذه المرة ؛ لأنك بطاعتك لهم تنال رضاهم

عندها تحين لك الفرصة للمجىء هنا مرة أخرى، فمن أجل هذا ولكي تحقق رغبتك لا ترفض لهم أمرا ، وإذا لم يعدوا بإرسالك إلى هنا ثانية وضاعت عليك السبل فلتعد أدراجك إلى ذلك الوادي ولتقم هناك عند قبري حتى أرسل لك رسالة أخبرك فيها بحيلة أخرى للمجىء إلى هنا.

حسين : جبل طالقان!!؟

زمرد : نعم هناك ؛ فلو أنك أقمت هناك شهرا فساخبرك بحيلة، وحذار أن تخبر أحدا.

حسين : لكن يا حبيبتى زمرد لماذا لا تخبريني الآن بهذه الحيلة لكي أبدأ تنفيذها ؟

زمرد : للأسف لم تستطع أن تفهم، فما عليك إلا أن تفعل ما أخبرتك به ، ولن أخبرك بهذه الحيلة الآن.

حسين : انظري كم من الأيام همت فيها على وجهي؟

زمرد : اصبر واعمل بقوة وتقان ، وحذار أن تكشف هذا الضعف والجبن حتى لو أزمعت على الانتحار.

حسين : أنا أخشى من هذا يا حبيبتى زمرد إن حبك يجعلني أحيانا أفقد الوعي فلا أميز بين الخير والشر، لقد قتلت عمي الشيخ نجم الدين نيسابوري من أجلك.

زمرد : أعلم ذلك لكن لا تشركني فيه(بعد أن سمعت وقع أقدام) قالت: اصمت الآن.

وفجأة حضر نحو سبع حوريات فى جمال ودلال، وتقدمن إليهما وبدأن فى مخاطبة حسين فى نغمة عذبة: هيا بنا نخرج الآن لتتزه لتري منظر الأرائك النورانية الواقعة فى الجنان ؛ فهذا الوقت جدير برؤية الربيع ، كما أن للشراب الطهور مذاقا خاصا فى الكتوس.

حسين : إتنى أفضل البقاء هنا وحيدا.

زمرد : ما الحرج فى ذهابك هناك، امضِ وسأرافقك أيضا.

حسين : نعم لو يرضيك ذلك فبماذا أتعلل وتمثل قول الشاعر:  
(لقى الحبيب بأغلاله حول رقبتى، وسوف ينزعها حينما يريد)

أمشى... وبعد فترة قصيرة جاءت بقية الحوريات بينما اصطحبت زمرد حسين إلى خارج القصر الزمرد، وذهبن جميعا وجلسن على الأسرة الذهبية وسط الروضة حيث يوجد حوضان من المياه على جانبي السرير وتأكدت لحسين الحقائق بلا كلام، فالحوض الأول هو الكوثر، والحوض الثانى به الشراب الطهور، جلست بعض الحوريات أمامه بدأن فى الغناء وعلى شفاههن طرب وأثر عجيب ، بينما كان بعض الغلمان يقفون بالأباريق والكتوس الذهبية وهم يدورون بمصاحبة الألحان والغناء، وبعد عدة كتوس غاب حسين عن وعيه، وتبدت له حقيقة الأمر وبينما كان يرى بعينه الناعسة الفاقدة الوعى ذلك العالم النورانى تراءت له زمرد تعانقه بإحدى يديها وتسقيه فى فمه من الكأس المملوءة باليد الأخرى، وقد تمتع حسين متعة كاملة بهذه الصحبة اللطيفة، لقد شرب من الكأس ثم بدا له كما لو أن الدموع كانت تتقطر من عين زمرد مثل اللؤلؤ ؛ فقال دون وعى: يا حبيبتى الجميلة هونى على نفسك، ولا تكثرى ثم سقط مغشيا عليه ، وبعد ذلك لم يدر شيئا عما كان يدور حوله.





## الباب الخامس

### العودة إلى الدنيا مرة أخرى

بعد وقت قصير من فقدان الوعي والغفلة بدأ حسين يسترده وعيه قليلاً، ووصل إلى مسامعه صوت يقول: "أيها الجسد الترابي انهض وقبّل يد البررخ الأكبر الذى هو أمامك ؛ فهذا هو قد اختار الشكل المادى المحض المجرد من أجلك أنت فقط" ، فتح حسين عينيه بلا تكلف أو عناء فوجد أمامه بدلاً من الجنة وجوار زمرد ذلك الشخص المتوج بنفسه، الذى كان قد بايع على يديه وقد لقيه فى المنزل الأخير من رحلته إلى الفردوس الأعلى، فرك حسين عينيه ونهض ثم جلس تأدباً وخر على قدميه وبدأ يقول: "اللهم لا توقظنى من هذا الحلم".

فقال رجلٌ: لا ينبغي عليك الذهاب إلى العالم الأرضى، وحاذر إذ لا يجب الهروب مطلقاً من شيوخ الباطن، هاهى يدى فيها إلى جانب النور جزء مادى قليل جداً وقد تلاقت يديك وستظل دائماً فى يد أولئك الناس الذين عن طريقهم تصل إلى هذا الملاء الأعلى.

حسين : لكننى الآن أريد البقاء فى الجنة عدة أيام أخر.

شخص : لا يمكن لك العيش في هذا العالم المادي لكن يمكن لك ذلك في تلك الدار الروحانية فاذهب ، عليك أن تنتظر وقتا تحاول فيه مرة أخرى أن تشرب من كأس الفناء بأمر من المرشد والإمام.

حسين : أنت إمامي ، فاسقني من كأس الفناء وأوصلني إلى الفردوس الأعلى.

شخص : الآن نحن على حدود الملا الأعلى وليس هنا فناء ، وفي تلك الأثناء جاءت نفس الحورية الخسقاء التي أخذت من يدها الكأس المملوءة من قبل ، وما إن رآها هذا الرجل حتى قال : كفاك الآن ولا تتعلل أكثر واحتس هذا الكأس الأخير من الشراب الطهور ، ثم رفع الكأس بيده إلى حسين .

لقد أدرك حسين الآن أن هذا الشراب الطهور شراب لا يترك أثر السكر عليه ، وكما أن نشوته كانت قد سمت به في بداية أمره إلى عالم النور ، وسوف تنزل به الآن إلى حضيض الظلام ، إلا أن مشقة اليأس قد ضاعفت عطشه حتى جعلته لا يتجرأ على الرفض فأخذه وشربه بهدوء ، وبعد فترة وجيزة فتح عينيه فبدأ يترأى له منظر مختلف أمام عينيه الحائرتين ؛ إذ كان أمامه صحراء أحيانا ، وجبالاً عالية ومنخفضة أحيانا ، وفي النهاية وفي ليلة من الليالي فتح عينيه فإذا بشيخ الجب أمامه ، وفي أول نظرة له ربت بيده على كتفه وقال : " يا حسين لقد عدت مرة ثانية إلى دائرة الجسد المظلم وقد رأيت بهاتين العينين الأنوار المحضة والمجردة ، وها أنت الآن ترى نور سيناء هكذا من خلال سبعين حجابا " .

فقال حسين (بعيون دامعة) : لكنني لم أكن أريد المجيء إلى هذه الظلمة الترايبية.

طور المعنى : لا شك أنك لا تريد، وأن عواطف نور الوحدة تجذبك هكذا إليها، لكن كيف يمكن لهذا الجسم الترابي المعيب أن يقيم دائما في موطن النور هذا.

حسين : بالله عليك حاول أن تأخذني إلى ذلك الملاء الأعلى بعد التخلص من هذا الجسم الترابي.

طور المعنى : إن الشيخ على وجودي يمكن له أن يطمئنتك في هذه الأمور فاذهب إليه وافعل ما يأمر بك به.

حسين : (بعد البكاء والنواح ويقلب متحمس) وأسفاه!! أبعد رياضتي هذه وبعد أوقات طويلة من الأمل لا أنال غير هذه المدة الوجيزة! فماذا أفعل حتى يكون وصل زمرد من نصيبي مرة أخرى؟!

ويعد هذا بدأ حسين يجهش بالبكاء والعويل حتى وصل ببكائه إلى النحيب.

طور المعنى : يا حفنة التراب العالية الهمة إنك بعد أن تخرج من خلوتي وتذهب إلى صفحة الوجود وتكمل هذا الأجل المحدود ستكون حبيسا في هذه الأرض المظلمة لبضعة أيام.

حسين : (في حيرة من أمره) يا ليت "حفنة التراب" هذا يدرك إلى متى سيظل حائرا هائما على وجهه في هذا العالم.

طور المعنى : إن حل تلك الرموز بالنسبة لك هو من عمل الشيخ على وجودي ؛ لأنه مرشدك، لكنني أريد أن أخبرك بسر وهو أن ريارتك لعالم النور ثانية ستكون برغبة هذا الإمام فقط، وهو الذي بايعت على

يديه وهو البروخ اللاهوت والناسوت ، وهو ذلك التجلى الذى يظهر فى الإمامة والنبوة بأشكال مختلفة.

حسين : ولكن كيف الوصول إلى ذلك؟ ولماذا أرمى فى قعر الظلمة هذا بعد أن كنت فى الملأ الأعلى.

طور المعنى : مع أن مكانه المحدد هو فى أرض النور الأعلى ، إلا أنه بسبب هذا النوع من العلاقات البسيطة يغير كثيرا من ملامح الإمامة وينجذب إلى أرض العناصر هذه فى كثير من الأوقات ، ولكنك لا يمكن أن تنال النجاح فى قصيدك هذا بدون مرشد، لو أصبرت على ذلك فإن مرشدك الشيخ على وجودى سوف يساعدك فى هذا الأمر، فقط عليك الآن أن تترك خلوة النور هذه ، ولتذهب لكى تقبل قدمى مرشدك ؛ إننى لآمل بهذه المقولة أن أضئ المصباح المظلم فى صدرك مرة ثانية ؛ حيث إن نوره سيخرجك من ذلك الغار ، إلا أن حيرته لم تنته بعد ؛ فقد رأى كاظم جنوبى واقفا على مدخل الغار (الجب) فى هذا الوضع وهذه الحالة التى كان قد تركه عليها، وعندما رآه كاظم جنوبى قال: "لعلك قد اطمأنتت إلى أنك أيضا فرع من شجر المعرفة.

حسين : متى جئت إلى هنا؟

كاظم جنوبى: الآن.. جئت معك.

حسين : الآن!

كاظم جنوبى: نعم الآن.

حسين : لقد مرت عدة أسابيع منذ أن ودعتك.

كاظم جنوبى: (مبتسما) هناك فرق كبير بين هذا العالم وذلك العالم، فالיום هنا يعادل سبعين سنة.

حسين : لعلها ساعة واحدة، ولكن لماذا تقف هنا؟

كاظم جنوبى: كان هذا بأمر الإمام قائم القيامة.

حسين : من هو الإمام قائم القيامة؟

كاظم جنوبى: هو نفسه الذى بايعت على يده فى سفرك لعالم النور.

حسين : لكن كيف تصل أوامره إليك؟

كاظم جنوبى: بوساطة ذلك المرشد ، وأنا واسطة بينهما من أجل طى طريق الحقيقة.

حسين : لعل مرشدك سيأتى إلى هنا؟

كاظم جنوبى: لا حاجة له فى ذلك ؛ فبنظرة واحدة منه تظهر أفكاره فى قلبى.

حسين : للأسف.. فقد أخرجت بالقوة من الجنة.

كاظم جنوبى: عليك ألا تشتكى من هذه الرموز الإلهية ، وأن تبحث عن مغزاها، فاذهب إلى مرشدك الشيخ على وجودي، لكن تذكر أنك جئت الآن بعد نزهة فى عالم النور، وعليك أن تذكره بذلك اللقب (الدينى) المشهور به فى هذا المكان.

حسين : هل له أيضا لقب آخر ؟ لم أسمع عنه.



كاظم جنوبى: نعم، هو الذى تعرف اسمه فى هذه الدنيا، لكنهم يطلقون عليه "الوادى الأيمن" فى عالم النور.

حسين : (متعجبا) الوادى الأيمن (بعد برهة من التفكير) لاشك أنه يجب تسميته بالوادى الأيمن، فقد تراءى لى من جانبه الشعاع الأول لنور الحقيقة.

كاظم جنوبى: كفى واذهب الآن ولترغب فى الطلب.

حسين : لكن من الضرورى أن أخبره عن إمكانية مرورى مرة أخرى فى عالم النور.

كاظم جنوبى: لاشك فى أنه يستطيع هذا الأمر، فالمؤكد أن مرشدك إذا اهتم بذلك فإن كل الأمور تكون ممكنة.

بهذه الجملة أشعل كاظم جنوبى مصباح الأمل فى صدر حسين إلى حد ما وفى النهاية تركا المسكن الموحش وقدما إلى مدينة إصفهان، وبمجرد أن وصل كاظم جنوبى إلى باب مسجده صاح قائلاً: "من الأفضل سد فم الكلب بلقمة"، وبعدها ودعه حسين وسلك طريقه إلى مدينة حلب.

فى هذه الرحلة أخذ حسين يفكر فى الجنة وحورها فى كل وقت، ومع أن جسمه كان فى هذه الدنيا، لكن أفكاره ومعتقداته وروحه كانت تستمتع باستمرار بالعالم الآخر، عالم النور، وكان يقول فى خاطره؛ لقد اتضح لى الآن وبعد كل هذه التجارب ما معنى "موتوا قبل أن تموتوا" أو مهما كان البقاء فى هذه الدنيا، لماذا يقضى الإنسان فى عالم الملكوت شطرا كبيرا من حياته؟ بعد قطع علاقته بأرض العناصر هذه أو الدنيا والآن وفى هذه المرة عندما كان يتجه من أصفهان إلى حلب تراءى له

شئ جديد عليه تماما أوقعه فى حيرة من أمره وهو أن أكثر الناس فى القرى والمدن التى كان يمر بها كانوا يعرفون تلقائيا بأنه رجع بعد أن طاف بالجنة ، فأخذوا يأتون عنده ويباركون له فكان قلبه يضطرب ، فما سر هذا الأمر؟ وأي علامة تلك التى بسببها يعرف الناس حالته؟ لقد استفسر عن هذا السر من بعض الناس ، ولكن لم يخبره أحد بشئ ، وزمرد الآن قد ملكت عليه عقله وقلبه أكثر من ذى قبل ، فى النوم واليقظة ، فى الجلوس والنهوض فى كل حالة كانت تراءى له صورتها الفاتنة أمامه ، فكانت تستدعيه إليها أحيانا ، وتؤكد له على الصبر والتحمل أحيانا أخرى ، وكان يراها فى الحلم مضطربة ، ووصل إلى مدينة حلب وذهب إلى الشيخ على الوجودى ، وخر على قدميه فأنهضه الشيخ وقبل جبينه وربط على ظهره ثم أجلسه بجواره ، وقال : يا حسين لقد جئت بعد أن تنزهت فى اللاهوت الأكبر .

فقال حسين : أيها الشيخ لقد رأيت عالم النور بكل تجلياته ، فيا أيها الوادى الأيمن إن التجلى الذى ظهر لى من جانبك كأنه اشتياق موسى للسؤال وتلقيه الرد بـ " لن ترانى " ، لكن ماذا أقول وبأى حشرات تركت أرض النور هذه؟

الشيخ : يا حفنة تراب! أخبرنا ماذا رأيت هناك؟

حسين : ما رأيته هو كل ما تتمناه العين .

الشيخ : لقد كان ذلك بسبب جاذبية النور ؛ فهل لاقيت زمرد؟

حسين : (بعد أن قبّل قدم الشيخ) قابلتها ، ولكنى حتى الآن لم أشبع منها (واغرورقت عيناه فلم يعد قادرا على الرؤية) .

الشيخ : ولكن جسمك الترابى هذا لن يستطيع البقاء كثيرا فى موطن النور، فمع أنك تقول إننى متأكد بأننى رأيت عالم النور بعينى، إلا أننى أقول لك يا حسين إنك لم تراه.

حسين : لا.. إننى رأيته أيها الشيخ الوادى الأيمن ، وأعتقد أننى أراه بعينى الآن.

عندما سمع الشيخ هذا الجواب من حسين أخذته العزة واشتاط غضبا واحمرت عيناه وهب واقفا فجأة فى حماس ، أما حسين فقد ارتعدت فرائصه من الخوف من رأسه حتى إخمص قدميه.

وبدا الشيخ يقول: أيها المتكبر المغرور يا حفنة من تراب أى طاقة لديك بحيث يمكنك أن ترى بعينيك القاصرتين هذا النور الأزلى، لقد رأيته بعينيك الماديتين، فإن الأشعة الساطعة للأنوار الأزلية لا يمكن لها أن تلمع وتومض فى الضوء الخافت ؛ فإن هذا النور غير المتحيز كان ظاهرا أمام جسمك ، ولا يمكن أن تتضح أطواره الحقيقة أمام عينيك بأى طريقة ، نعم إنك سوف ترى هذه الأنوار ، وسترى حالتها وشكلها الحقيقى، ولكن متى؟ بعد أن تترك هذا الجسد الترابى ، وتصبح متجردا منه ، عندئذ ستذهب إلى منطقة النور ، وفى ذلك الوقت سوف يتراءى لك أنك أيضا مصباح فى هذا النور الأزلى.

حسين : (بصوت مرتعد) ولكننى الآن لا أريد المضى من هناك.

الشيخ : لاشك أنك ربما لا تريد ، ولكن كان هذا مستحيلا، فلا يمكن للنور أن يتحمل كثافة المادة.

حسين : لكنك أيها الشيخ الوادى الأيمن لو أردت فإنك تستطيع الرجوع إلى عالم النور، آه أنا كثير الاضطراب من أجل زمرد.

الشيخ : (بعد أن استشاط غضبا) إذا كان هناك حب فيكفى هذا القدر ، لا يمكنك تحمل مشقة قبول عدم رؤية موطن السرو هذا، فإنك إذا ألقيت بشيء مادي في النار فإنها بعد أن تتعامل معه تنحى الشوائب المتبقية، وهكذا موطن النور فإنه يقذف بجسمك بعد أن يخرج منه الخير.

حسين : إذن فحررتني من قيد هذا الجسم الترابى بيديك حتى أذهب بعد التجرد والصلاحية وأخذ حبيبتى زمرد فى أحضانى فأى عجب فى هذا وهى حتى الآن بأسطة يديها شوقا لى .

الشيخ : الآن يستطيع الإمام قائم القيامة مساعدتك فى الوصول إلى هناك.

حسين : مع أننى بايعته فى هذا البروخ الأكبر وقت وصولى فى بلاطه إلا أنك ساعدتنى، وعونك لى مقدم على الجميع.

الشيخ : حسنا ، لا تقنط فإننى سأمتحنك مرة أخرى ، ولو نجحت فى هذا الامتحان فإننى سوف أوصلك مع توصية منى إلى بلاط الإمامة .

حسين : فلتأمرنى سريعا فأنا مستعد للتنفيذ، فالموت أعظم أمنياتى ولو كان الموت من نصيبى فى هذا الامتحان ؛ فأى حظ سعيد لى أكثر من هذا.

الشيخ : أسلك الآن الطريق إلى مدينة دمشق واقتل الإمام نصر بن أحمد الذى يلقي خطبه ضدنا نحن معشر الباطنية ثم ارجع..

حسين : سأرحل الآن ، ولكن أخبرني هل نحن أولئك الباطنية الذين يذكّرهم الناس أحيانا باسم "الملاحدة" ، وأحيانا أخرى باسم "القرامطة" .

الشيخ : لا شك ، نحن نؤيد إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ، ولأن الإمامة ظاهرة لهذا فإنه من الواجب علينا أن نبليغ بها في الخفاء وبالطرق السرية الباطنية ، لقد فصلت الأنوار الأولية في هذا الأمر منذ القدم وهو أنه ما دامت الإمامة ظاهرة فإن التبليغ بها يكون في الباطن ، وعندما تكون الإمامة سرية وباطنية عندئذ يبدأ التبليغ بها علانية .

حسين : لكن أسباب ذلك أسمى من أن يدركها عقل القاصر .

الشيخ : لاشك أنها أسمى (وحدق فيه بقوة) إلا أن شكوكك الجاهلة أسمى بكثير ، فاتجه بخيالك إلى الله جل وعلا ترى أنه خفي ، ولهذا السبب فإن التبليغ والدعوة تكون علانية .

حسين : أيها الوادي الأيمن إن النبوة ظلت ظاهرة ، وكانت الدعوة بها علانية باستمرار منذ زمان ظهورها .

استشاط الشيخ على وجودي غضبا ، وصاح بلهجة شديدة الغضب "الشیطان حتى الآن مستقر في قلبك ، فقد أغواك ويعوق رغبتك في الذهاب إلى عالم النور ، أنصت ، إن الإمامة فقط هي المرتبطة بهذا النظام ، أما النبوة فستظل ظاهرة دائما وظلت الدعوة إليها علانية منذ وقت ظهورها ، ولكن إلى أي شيء يتجه الناس في دعوتهم إلى الرسالة والنبوة؟ إلى الله وناحية الفردوس الأعلى وكلاهما مخفي عن الدنيا !



حسين : (مرتعدا) ولكن الإمامة أيضا تدعو إلى مثل هذه الأشياء .

كان الشيخ قد بلغ به الغضب مبلغا ، وانتفض فجأة وهب واقفا وقال : أنت تشك في التنزه في عالم النور وتتجاهله ، إن الجنة ونور الأنوار لم تكن ظاهرة في عصر النبوة بهذا القدر الذي عليه الآن في عهد الإمامة ، فالرسالة لم تبعث مطلقا إلى موطن السوء هذا في شكل مادي ، في حين ظلت الإمامة تبعث باستمرار ، وعلى هذا تكون النتيجة الحاسمة والنهائية أن الفردوس الأعلى والنور الأزلي كانا مخفيين في البداية ، وهما الآن ظاهران ؛ ولأنهما ظاهران الآن لذا يجب العمل على الدعوة لهما بطرق خفية وسرية .

حسين : يا أيها الوادي الأيمن لقد هدأت من روعي الآن ، وكان من الضروري أن ترتفع شكوكي ؛ لأنني سمعت كثيرا من الإشاعات والتهمة التي لا أساس لها تنسب لهذا المذهب ، وكنت قد سمعت أن الناس في ضمن حلقة الموت تعرضوا لكل أنواع الدسائس للدخول في هذا المذهب .

الشيخ : هذا محض افتراء من الأعداء والجهلاء ، ومثل هؤلاء الناس ليس لهم عين بصيرة ، وليس لهم قيمة أو اعتبار ، وليسوا أكثر من خفافيش أمام تلك الأنوار الأزلية ، فهل هناك أي اعتبار لأقوالهم ، من المؤكد أنه بعد طي هذه الدرجات سوف يتراءى لك في أي ملا أعلى نكون نحن؟ وبأي سهولة نتنزه في موطن السوء؟ وهم في أي قعر من الجهالة يسقطون؟ وكيف ينحدرون تحت الثرى يوما بعد يوم؟

حسين : أعلم ذلك ، نطق حسين بهذه العبارة ثم ودّع الشيخ وسلك طريقه إلى دمشق ليقبض روح الإمام نصر بن أحمد .

كان حسين الآن أكثر جرأة لمثل هذه الأعمال ؛ فالشكوك التي نشأت في قلبه في أول مرة لم يعد لها مكان فيه ، وكان قد تأكد أن اللجنة في أيدي هؤلاء الناس الذين يعتقد بهم حقاً وبإشارة منهم ينجو من أفعال الخير والشر ؛ فبالرغم من قتله لعالم جليل القدر إلا أن قلبه لم يتردد قيد أنملة ؛ لأن صورة الشيخ وزمرد قد شجعاه، ووصل دمشق لتنفيذ الحكم على المرشد بوحشية ويقلب غاية في القسوة ؛ فانضم إلى أنصار الإمام نصر.

وكان قد رأى في هذا السفر ما حيره، فبعض الناس في أثناء سيره في الطريق يتعرفون عليه، ويعانقونه، ويؤكدون له وحدة التفكير والأخوة ، وقد بدا له من هذا كم أن المتجانسين معه في الرأي والعقيدة منتشرون في الدنيا بكثرة؟ ولحسن حظه وبسبب اضطراب قلبه سنحت له الفرصة لتنفيذ هدفه بعد شهر، ففي نهاية إحدى الليالي وعندما كان الإمام نصر مجاوراً المسجد يؤدي صلاة التهجد وحيداً في الظلام ومختفياً عن الجميع غرس حسين الخنجرة في قلبه، بعد أن أغلق فمه بإحدى يديه ، وبعد أن قتله صرعه على الأرض وجثم فوق صدره وجلس فوقه بعد أن ضغط عليه ، وهكذا لم يصدر عن الإمام نصر صوت ولم يتعلمل، وعندما صارت اللجنة باردة تماماً خرج من المسجد في صمت الهزيع الأخير من الليل وفي سكونه ورحل، وفي الطريق جلس على شاطئ أحد الأنهار وغسل ملابسه واتجه صوب حلب.

وقد أثنى الشيخ على وجودي على خدماته وقوى من عزمه وقال إنك يا حسين تطوى مراحل اليقين بسرعة فائقة وتنجح في أهدافك.

حسين : أيها الوادي الأيمن إني متحير من أمر ما حيرة كبيرة فحيثما أذهب وأينما أتوجه فإن المتجانسين معي في الفكر والعقيدة ينظرون إلى هيتي ويعرفونني ، لكنني لا أستطيع معرفتهم.

د أن سمع الشيخ هذا أخرج مرآة من أحد الصناديق ، وبعد أن  
أ قال : انظر إلى صورتك ألا تبدو على وجهك علامة ما .

سين : نعم هناك وسمه على الجبهة ولا أعرف أى وسمه هذه ربما  
سقطت فى مكان ما فى مرحلة الطفولة .

شيخ : (مبتسما) لا هذه علامة قبلة الحور ، وهذا هو الشيء الذى  
ثما على أن الإنسان يمكن له أن يستتره بجسده فى الفردوس الأعلى

سين : إذن فأولئك الناس الذين عرفونى غالبا ما تكون علامة قبلة  
وجوده على جباههم .

شيخ : لاشك ، ربما تكون ، وانظر يا حسين إنها موجودة على  
أىضا .

سين : (بعد أن رأى نفس هذه العلامة على جبهة الشيخ) لاشك  
سام طى مدارج اليقين .

شيخ : يا حسين هذا شيء عظيم جدا ، فبعد الموت سيذهب جميع  
إلى الجنة ، لكن الناس الذين تنزهوا فى الحياة الدنيوية فى مركز  
لذا فإنهم سيفتخرون به هناك ، فإن هذه العلامة ستظل تلمع كالنور  
بباهم هناك وهى بالنسبة لنا ستكون تأكيدا على التميز .

حسين : لكن هذه العلامة عزيزة عندي فى الدنيا ، يا ليت شفتى  
أن تصل إلى جبهتى لكى أقبل هذه العلامة ويتسلى بها قلبى ، فلا  
أن تكون هناك علامة لقبلة أحد آخر على جبهتى سوى لزمرد ولو  
على قبلة فتكون فقط من شفتيها الياقوتية .

بوسمى أنا الفقير لورق الحناء لكى أقبل كف القدم ذلك بالرسالة

لكن للأسف فكما أن زمرد فى قلبى ولا أستطيع أن أنالها هكذا فإن علامة قبلتها معى فى كل وقت لكن ليس من فرصة أستطيع أن أوصل بها شفتى المشتاقتين إلى هناك.

الشيخ : أبعد عنك الآن الأفكار الشاعرية ، واستعد لتقبيل أقدام أمام القيامة.

حسين : لبيك، ولكن أيها الوادى الأيمن ردى لماذا تطلقون عليه أمام القيامة؟

الشيخ : هذا أيضا رمز من الرموز الربانية، ولعلك لا تعلم أيضا أسماء أولئك الأئمة حتى الآن ، والذين يعدون أشعة النور الأزلى ويظهرون فى أجساد مختلفة ، وفى أوقات مختلفة ويظل هؤلاء دائما الناسوت الأكبر ، وهو نفس النور الذى كان يشع فى الأجساد الطاهرة لسيدنا آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، ثم ظهر فى النهاية فى جسد سيدنا على المرتضى ، ولأن النبوة قد خُتِمت الآن لهذا فإن هذه الروح الواحدة بدأت تتقل فى الأجساد المختلفة ثم سرت فى أجساد الحسين وعلى زين العابدين ومحمد باقر عليهم السلام ، وهى ذلك النور الذى حل فى الجسد المنير لحضرة جعفر الصادق وهو حى حتى تركت صورتها الجسدية وحلت أولاً فى إسماعيل ثم فى محمد المكنوم بن إسماعيل وفى غضون عدة أيام ظل هذا النور يشع فى الخفاء فى الأجساد الطاهرة بالترتيب الإمام منصور بن محمد المكنوم وجعفر الصادق وحبيب بن جعفر ، وظلت الإمامة مخفية . . فى ذلك الوقت عن إسماعيل.

والآن فإن هذا النور ظهر فجأة في ذات عبيد الله مهدي ، وأظهر أنواره الكاملة ، وصارت الإمامة ظاهرة ، وظل هذا النور من بعده يتبدل في الأجساد الظاهرة المختلفة باستمرار وبشكل علني ، فأعلى درجات اللاهوت الأكبر توجد في أجساد القائم بأمر الله ومنه إلى منصور ثم المعز لدين الله ثم العزيز بالله فالحاكم بأمر الله ثم الظاهر لإعزاز دين الله ثم المنتصر بالله حيث تشع من جسده ومن بعده إلى نزار ثم حسن بن محمد عليه السلام ثم حلت هذه الأنوار الأزلية في الحال عند ركن الدين خورشاه حاكم قلعة الموت وهو إمام قائم قيامة البرزخ وهو تجلي اللاهوت والناسوت الذي ظل يصدر عن الأجساد المختلفة للإمامة والنبوة .

حسين : (في حيرة) وهو نفسه الذي بايعته على يديه في عالم اللاهوت .

الشيخ : هو نفسه .

حسين : ولكنك تقول إنه هو حاكم التمنت<sup>(١)</sup> .

الشيخ : بلا شك لكن هذه العلائق الدنيوية وتجرده ونورانيته قد نالها من عالم الإلهام الغيبي ، ولا يمكن له أن يخدع ، وهذا هو الفرق بين الإمام الديني وعامة الناس ، فالشيء الذي لا نستطيع أن نحصل عليه بالعمل والرياضة الروحية يمكن أن يحصل عليه كاملاً بالفطرة ، ولهذا يطلقون عليه بروخ العالمين .

حسين : ولماذا يدعى إمام القيامة؟

(١) هي قلعة الموت وأحياناً ترد هكذا في النص وهي خطأ وقع فيه النساخ .  
(المترجم) .



الشيخ : (بعد أن هدا قليلاً) نعم أنا لن أذكر لك سره الآن ، ففي عهد الإمامين المستنصر وتزار كان يوجد في الأنوار الأزلية شمع مضيئ جديد وغير عادي ، ويقال إن هذا الشمع هو انعكاس لنور الإمامة الجديدة والقديمة ، لكنه انعكاس كامل وضخم إلى الحد الذي أضاء بتجلياته جميع بمالك الأرض ، ومنه كان مصباح نور المراد الذي سطع في الجسم الصافي لحسن بن الصباح ، ولقب إمام القيامة كان من شعاع مرآة النور الإلهي ، والتي وصلت فجأة من حدود الدرجات العلى وأرض النور ، فمثل هذه الطرق الصحيحة التي تنشأ في الإنسان ويحصل بها أقل الناس على الكمال ، والتي كانت في العهود القديمة مقصورة على الأنبياء والأئمة ؛ فمن قبل لم يكن أحد يستطيع أن يفكر في الذهاب إلى الفردوس الأعلى ، لكن الآن وبعد ظهور الشعاع الإلهي الأسمى عرضت لي هذه الحالة وهي أنني أغمض عيني وفي لحظة تجدني أتره في عالم النور ، ومن الممكن لك أنت ومئات المؤمنين أن تذهبوا إلى هذه الجنة وتتمتعوا بمعانقة الحور ، إن معنى القيامة عند أهل الظاهر هو ذلك الوقت الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا ، لكن القيامة عند أهل الحقيقة والصوفية هي فقط هذه الحالة أو اسم ذلك الوقت الذي ينال فيه المخلوق القرب من الخالق أو شعاع النور ، ولأن حسن الصباح نال درجة القرب هذه في عهده ؛ لذا يطلق عليه إمام القيامة أي الإمامة التي عن طريقها يقترب المخلوق من الخالق ، ونتيجة لهذا الجوار فلإنه في غضون عدة أيام ؛ فإن الإمام على ذكره السلام هو صاحب الإمامة القديمة التي كانت تثقل جيلاً بعد جيل من سيدنا على المرتضى ، وهو أيضاً الإمامة التي كان مصباحها يضيئ في البداية في نفس حسن بن الصباح .

لقد جمع بين كلتا الإمامتين<sup>(١)</sup> ، وفجأة ثارت الأنوار الأزلية ، ومنذ ذلك اليوم رفعت عن العباد جميع التكليفات الشرعية ؛ ففي يوم ٢٧ رمضان ظهر شعاع النور والحظوة أى عليكم أيها المؤمنون أن تتحرروا من القيود الشرعية ، ولهذا السبب فإن ذلك اليوم بالنسبة لنا عيد وفى ذكره يتردد على لساننا كل وقت :-

انشرح الصدر وزال الحقد بتأييد إلهي ، إمام الزمان "على ذكره السلام" .

حسين (بعد أن تملكته الحيرة) : ولكنتى أراك مُنهمكا فى الرياضة الروحية ليل نهار ، ومثلك مثل العديد من مرشدى هذه الفرقة الناجية الذين لاقيتهم يبدو جميعهم غاية فى التقوى والورع وفى غاية الحيلة ومرتبطين بالشرع.

الشيخ : لاشك أن من يريدون طى درجات التصوف والعرفان عليهم طيها بالعبادة والرياضة ، لكن لم يفرض على المؤمنين الآن أى عبادة وخاصة المختارين منهم الذين يتقربون من الإمام قائم القيامة.

حسين : ولكن أيها الوادى الأيمن إن قلبى فى حاجة إلى هدايتك واهتمامك ، ورفع التكليفات الشرعية أحد الأشياء التى تبعث الشكوك فى قلبى .

(١) هكذا تم الجمع بين الإمامتين، أما إمامة إمام القيامة فقد ورثها حسن بن الصباح والإمامة الثانية القديمة فإن "على ذكره السلام" قد زعم بتفويلات وإرشادات عظيمة أنتى لست ابنه الذى ينسب إليه بل أنا فى الحقيقة ابن من أبناء نزار بن المستنصر الفاطمى الذى كان مختبئاً فى قلعة التمون، وهكذا يلتقى بأبناء فاطمة(عليها السلام) فى سلسلة النسب ، وكان قد أعلن أنه سيد بنفسه ، وأنه وارث للإمامة.

الشيخ : (بغضب) أتشك أيضا فى طى مثل هذه المنازل! أبعد السير فى عالم النور واللجنة هناك شك، الآن ليس هذا شك بل وقاحة؛ اعلم أن جميع عبادات الله عز وجل لنيل القرب منه، وعندما يتم هذا القرب لا يكون هناك ضرورة لأى عبادة، لعلك سمعت أو رأيت أيضا أنه ليس هناك أى شخص مكلف بالعبادة فى الجنة، وهذا هو أصل الفكرة ومنشأها؛ فالعبادة تكون للتقرب من الأنوار الأزلية وهناك يحصل عليها كل فرد.

حسين : بلا شك هذا هو الهدف المقصود والعبادة هى الطريق إليه وبعد الوصول إلى الجنة لا يكون هناك أهمية لأى عبادة فى الحقيقة، لكن الناس الذين لا يزالون حتى الآن خارجها لا يمكن القول إنهم وصلوا إلى الهدف المقصود أو أنهم يسيرون إليه أو هم فى الطريق لهذا؛ فالعبادة ضرورية لهم كذلك.

الشيخ : (وقد غضب غضبا شديدا وغاب عن وعيه) إن هذه الشبهات والشكوك تخرب هذا الهيكل الترابي (الجسد)؛ فهذا شك باستمرار والشك عقبة كبيرة، اسمع يا حسين إن إمام القيامة قال بنفسه إنه فى عالم النور هذا خارج عن الجسد ومعناه مع أن جسده يبدو فى هذا العالم المادى فى الظاهر إلا أنه فى الحقيقة بعيد عن هذه الماديات وفى الفردوس الأعلى، وأن ما يعنيه البقاء بالقرب منه والالتقاء به هو أن الإنسان بعد أن يخرج من هذه الأرض المظلمة ويصل بالقرب من اللاهوت الأكبر كيف تكون العبادة بعد أن يصل إلى هناك؟

حسين : حسنا، لقد ابتعدت شكوكى، إن كلامك يزيل دائما الشكوك من قلبى، ولنيل هذه الطمأنينة فلننى أعرض عليك دون تردد ما قد يساورنى من شكوك.

الشيخ : حقا ، لقد اجتزت هذا الامتحان بنجاح ، وسأرسلك فى خدمة الإمام عليه السلام ، فاذهب إليه وأطع أوامره طاعة كاملة واليوم العشرون من صفر والسابع والعشرون من رمضان هو عيد إمام القيامة ، وسوف أحضر هناك فى هذا التاريخ أيضا ، وسوف يكون الشيخ (طور المعنى) موجودا هناك كذلك ، ولو تأثرت تأثرا كاملاً بطاعة إمام القيامة فسوف أشفع لك ، وسيفعل طور المعنى كذلك ، وفى ذلك الوقت سوف تنجح فى لقاء زمرد ، لكن عليك أن تعلم فى هذا البلاط الأعلى ترفع عن كاهل الإنسان كثير من التكاليف الشرعية حيث يكون الانقياد هو الطاعة والعبادة ولو حدث تقصير فليس له علاج عندى ولا عند أى شخص آخر فيحرم المقصر للأبد من الرحمة الإلهية ويصير مطروداً أبدا وملعوناً لهذا البلاط .

حسين : إننى لن أعصى أى حكم .

الشيخ : إنه يختلف عن هذا المقام ؛ حيث تظهر شكوك قلبك هكذا بلا تكلف مثلما تفعل معى .

حسين : مطلقاً . لن أشك فى أى أمر .

الشيخ : لو أنك متماسك إلى حد ما ؛ فاذهب من هنا فى صباح الغد واتجه إلى قلعة الموت ، وسأحملك رسالة تأخذها وتمثل بين يدي الإمام ولا تغادر هذا البلاط مادام لم يصدر أى أمر منى أو من هناك .

حسين : لن أغادر قط . (قال هذا ثم قبل قدمي الشيخ) .

وفى صباح اليوم التالى أخذ رسالة التوصية من الشيخ على وجودى وودعه وولى وجهه قبل المشرق ، وبعد عدة أيام وصل إلى أصفهان قادما

من بغداد ثم وصل إلى منطقة رودبار ، وكان في هذا السفر يتعرف على من هم على مذهبه دون عناء من علامة قبيلات الحور ؛ حيث يجدهم في كل مدينة وقرية ، وكانوا يخلصون له النية عندما يعترضهم ، وكان في قرية ديلم شخص باطنى يُعرف من علامة جبهته قد أتى لتوه من جنة الفردوس ، فأخذ حسين إلى بيته بصفاء قلب وإخلاص عظيم ، حيث حل عليه حسين ضيفاً عدة أيام ، وكانت هناك صحبة من الناس في منزله ، فقد اجتمع جمع من الباطنية الذين كانوا قد طعموا من الجنة في خلال عام أو عامين ، وكانت صحبة هؤلاء الناس خالية من الغرياء وقاصرة على من هم على شاكلته فبدأوا يتذكرون الجنة فيما بينهم ، وفي أثناء الكلام قال أحدهم : "لكن ظلت لى أمنية في الجنة" .

الثانى : (بدهشة) وما هى؟

الأول : هناك أمر (بالجنة) يبدو فائق وخلاب حتى إنه يجعل القلب يتملص بلا سلطة ، لكن يعلم الله ما هذا الأمر؟ وقد حاولت آلاف المرات إلا أن الحورية الفاتنة لم تجب عن هذا الأمر.

الثانى : هذا موضع تعجب حقيقى ، فمثل هذا يجب ألا يكون فى الجنة فعندما يميل قلبك ناحية أية حورية ولم تلتفت إليك فإن جميع المتع سوف تذهب هباء حقا.

وبعد أن سمع هذا قال شخص ثالث فى الحقيقة : إن هناك بعض العيوب من هذا النوع تبدو للإنسان ، وكنت قد طرحت هذا الأمر على الشيخ الذى طمأننى بدوره بسهولة كبيرة ، حيث قال بحماس وحمية عظيمة وكأنه لا يزال يقول فى أذنى الآن: لقد ذهبت إلى عالم النور بعد



أن اصطحبت مع هيكلك المادى آلافا من الدنس ، ومن ثم آمل أن تنظر إلى الجنة بشكل مجرد وصافٍ مثلما تراها بعينك غير الماديتين ، فهذا فى حد ذاته عيبك وعجزك المادى ، ومن ثم يبدو لك هذا النور شائن وبه عيب .

الأول : وأنا هناك كنت قد سمعت بهذا أيضا أن هذه الحورية لم تحصل على هذا التجرد الذى حصل عليه الآخرون ، ولهذا لم تنقطع عنها التعلقات المادية كليةً .

الثانى : لاشك فى أنه ربما يكون هذا هو السبب ؛ ففى البداية كان يوجد عيب شخصى فى هذه الحورية ثم نظرت إليها بعينيك الماديتين فتضاعف القبح .

حسين : (بقدر من الاهتمام) ألم تعلم اسم هذه الحورية؟

الأول : نعم علمت ، اسمها زمرد ، وأنا لن أنسى حوريتى التى كنت أستمتع بها فى حضنى ، وقد علمت أنها متعلقة بأحد الهياكل الترابية بحيث لا تلتفت ناحية أى من المتزهين فى الجنة .

وفى اليوم الثانى مضى حسين قدما بعد أن ودعهم ، وظل لعدة أيام واقفا على باب قلعة آلوت .



## الباب السادس

### المطروود الأزلى

مُنع حسين على باب قلعة الموت ؛ لأنه لم يستطيع تقديم تصريح الدخول إليها ؛ لذا أرسل إلى المسئول عن القلعة بالرسالة التى كان قد كتبها له الشيخ على وجودى ثم قدم طلبا إلى ركن الدين خورشاه وكان إماما لجميع الباطنية فى تلك الأيام وكان حفيدا لعلى - على ذكره السلام - وكان خورشاه آنذاك فى عنقوان الشباب ، ولكن عندما يظهر الإمام فى عقيدة هؤلاء الناس يكون هو الإمام ، ولهذا لا يوجد أى فرق فى تقديسه ومهابته بسبب حداثة عمره ، ففى رأيهم أنه مادام حصل على منصب الإمامة فهو معصوم ويتساوى فى ذلك طفل فى السادسة من عمره مع عجوز فى السبعين من عمره ، وأحكام كل منهما واجبة التنفيذ على قدم المساواة ، وكان حسن ابن الصباح قد أسس هذا المذهب وهذه المملكة بعد جهود خارقة ، وقد انقضى عليها الآن مائة وخمسون عاما ، وبالرغم من الثورات الكبرى التى حدثت فى العالم إلا أن هذه الأسرة ما تزال تبسط سيطرتها ، وقد أضربمكاتها السياسية بعض الأبطال المغامرين والغزاة مرة

أو مرتين ، إلا أن أثرها الديني انتشر أكثر من ذي قبل واستمرت قلعة  
آلموت هكذا محصنة وفي مأمن ، وبالرغم من الاعتراض والمخالفة فلا  
أحد يستطيع أن يمسه بسوء .

إن تاج الإمامة الدينية كان قد بدأ من هنا على رأس هؤلاء الملوك ،  
ولكن منذ بداية عهد على ذكره السلام ؛ فإن هؤلاء الناس بدأوا يطلقون  
على أنفسهم لقب الإمام والأسرة الخالدة لبنى فاطمة ، ولهذا فإن على  
ذكره السلام قد زعم أنه عندما كان طفلاً استبدل بطريقة سرية بحفيد نزار  
بن المستنصر الفاطمي ، ومن ثم فقد ادعى هؤلاء الناس المطالبة بالإمامة  
علانية آنذاك ، وهم الآن يظهرون بأنفسهم برزخ الناسوت واللاهوت  
والنور المحض ، وهؤلاء الناس هم الذين يمثلون للأوامر بعد أن يغضوا  
الطرف عن أوامر الملك أو الإمام بلا عنر أو سبب ، والتي ترتعد  
الدنيا بأثرها من خنجرهم يسمون بالفدائيين وطريقتهم التضحية بالنفس  
بأمر الحاكم والإمام ، وهم يعتبرون الانتحار وسيلة للخلاص والنجاة ،  
وبسبب أولئك الفدائيين كان ذلك الرعب والرهبة في بلاط ركن الدين  
خورشاه ، وربما لم يدانيه في ذلك في عهده بلاط ملك آخر ، وليس لأي  
شخص هنا طاقة على المعارض ، كما لا يخطر على باله سوء الأدب أمام  
الملك .

وعندما رأوا خطاب الشيخ على وجودي سمحوا لحسين بالمثل بين  
يديه فقد أخذه فدائي قوى البنية ، مهيب الجانب ، واصطحبه إلى خورشاه  
وعندما ، مثل حسين أمامه ورأى صورة حاكم آلموت أسرع فتعثرت أقدامه  
وصاح "هذا إمامي ! هذا إمامي" ، وتردد ركن الدين في رفعه إليه فقام  
بعض من كبار القوم من أهل البلاط برفعه ثم أوقفوه فقال : لاشك في أنه

إمام الزمان والنور المحض ، ولكنى أستعمل الصبر والأدب وأقدم التماساً إليه .

خورشاه: أيها الشاب الأملى ماذا من أمرك؟ فالوادي الأيمن يشني عليك ثناءً جميلاً ، ويمتدح فيك علمك وفضلك وشجاعتك وتضحيتك .

حسين : (بعد أن قبل الأرض بأدب) فقط بسبب أننى لم أقصر لحظة فى أداء خدمته ، ولم أتجراً مطلقاً وأحيد عن أمر بحر الحقيقة .

خورشاه: والآن لآى سبب أرسلك الشيخ إلى هنا؟

حسين : يا إمام القيامة ، إننى أريد رؤية الفردوس الأعلى وأنظر إليها مرة أخرى .

خورشاه: (بعد تفكير) إن ومضات الأنوار الأزلية لا يزال ينبعث منها هذا الصوت ردد "لن ترانى" .

حسين : لكن اهتمام إمام القيامة شفع لى فليس من الصعب التحقق أمنيتى .

خورشاه: أيها الهيكل الترايى المجنون ، إننى الآن لا أستطيع أن أعدك بأى نوع من الأمنانى فيما يتعلق بذلك .

وبعد أن قال خورشاه هذا التفت إلى أحد الأشخاص بينما قال حسين بصوت مفعم بالألم واليأس ، بعد أن دمعت عيناه : "لو أذن بلاط الإمامة لهذا الفدائى الحقير بأن يقف على هذه العتبة انتظارا لذلك الوقت مادام هذا سوف يحقق أمنيتى وبمناسبة العيد القادم لإمام القيامة سوف يحضر الوادى الأيمن إلى هنا أيضا فأى عجب فى ذلك اليوم عندما يجتمع



الإمام وقائم القيامة فى مكان واحد ويقترب المخلوق من الخالق والشعاع من النور ، فلتقبل دعائى " .

خورشاه: حسنا . قف .. لكن عليك أن تعلم أن الاختبار هنا صعب للغاية .

حسين : أنا مستعد لتأدية جميع أنواع الاختبارات .

وبعد هذا اتجه خورشاه ناحية شخص ثان وسأله : متى جئت يا ديدار؟

ديدار : (بعد أن طلب العفو) اليوم فى الصباح .

خورشاه: وهل أنجزت المهمة التى ذهبت من أجلها؟

ديدار : إن خنجرى لا يخطئ الهدف قط؛ فمع أن المهمة كانت مستحيلة ، لكننى أنجزتها بنجاح كبير شوقا للجنة والذهاب إليها ولأمر الإمام .

خورشاه: حسنا ، صف لنا كيف قتلت جغتائى خان .

ديدار : يا إمام القيامة كان فى تركستان فدائى اسمه متقى نشأت بينه وبين فدوى صداقة قوية بعد أن شارك فى جميع المجالس واللقاءات حتى بدا لدى منقو خان الابن الشجاع لجغتائى خان رغبة قوية للقاءى ؛ فدعانى للإقامة فى بيته واستمرت على هذه الحالة لعدة أشهر ولم يكن يميل إلى أى أمر، ما لم أكن معه وعرفنى بأبيه وعندئذ صار جغتائى خان أيضا شغوفًا بأحاديثى ، وظل الأب والأبناء لعدة أيام ليس لهم أنيس ولا جليس غيرى، وكان جغتائى خان بنفسه مهيب الجانب قوى البنيان حيث لاح استحالة نجاح الهجوم عليه ، ولهذا السبب لم تسعبنى الشجاعة رغم

أن الفرصة سنحت لى عدة مرات ، وفى نهاية الأمر وفى مساء أحد الأيام كان هولاكوخان قد جاء لأمر وذهب متقو خان للقاءه فوجدت جغتائى خان ينام وحيدا ، ولم اكن أتوقع فرصة سانحة أنسب من هذه فالتحمت معه أولاً وقيدت يديه ورجليه بالحبال ثم جثمت على صدره وقضيت عليه وبعد قتل جغتائى خان عدت ، ولكن كانت الأوامر عندى أن أخبر هؤلاء الناس أن جغتائى خان قد قتل ومن أجل هذا الغرض كتبت كل هذه التفاصيل فى رسالة واحتفظت بها عندى فى البداية وبعد ذلك أخذت هذه الرسالة واتجهت ناحية مقر هولاكوخان ، ومن حسن حظى أننى لاقيت ابن جغتائى خان فى الطريق ، وكان عائدا لتوه إلى بيته بعد لقاء هولاكوخان ، وفى ظلام الليل وضعت تلك الرسالة فى يديه وهربت واختفيت فى إحدى الغابات القريبة ، وفى صباح اليوم الثانى علمت أن المأتم معد فى قراقورم(\*) وكل شخص يبحث عنى بعد هذه الحادثة ؛ فأويت إلى غار وبقيت فيه مختبئا ثمانية أيام كاملة ، وفى اليوم التاسع تبين لى أن الساحة خالية منهم فخرجت من الغار واتجهت إلى هنا ؛ ولأنال بعد ثلاثة شهور الآن شرف تقبيل العتبة.

خورشاه: لاشك يا ديدار أنك قمت بعمل عظيم ، وتستحق أن تتزده فى الجنة اليوم.

بعد أن سمع ديدار هذا خر على قدمى الملك ، ولكن خورشاه نفسه رفعه بيديه واصططحبه معه بينما حسين الذى غاب عن وعيه قال بحماس: أيها الملك الظالم أنا أحق الناس بالذهاب للجنة وأنا مشتاق لها وإلا فامتحنى ، اختبرنى بأن أقتل شخصا ما؛ آه فأنا لا أصبر على فراق زمرد.

(\*) كانت قراقورم عاصمة التتار القديمة وهى قريبة من كاشغر (المؤلف) .

خورشاه: الآن لا يمكن امتحانك ، وليس لك حق فى الذهاب إلى  
جنة الفردوس .

حسين : (فى صباح وجلبة) ليس هناك أحد أحق بها منى فقد  
أطفأت مصباح حياة الإمام نجم الدين النيسابورى وخضبت يدى بدماء  
الإمام نصر بن أحمد ، أبعد هذا يوجد أحد أحق منى؟ أنا لا أستحقها  
فقط من أجل عدم صبرى ، ولكن هناك حورية مضطربة وحائرة من  
أجلى . انتبه الجميع بعد سماع هذه الجملة الوقحة وتسارع البعض للهجوم  
على حسين ، وكان بالقرب منه فدائي قوى البنيان كاد أن يفتك به ،  
ولكن الجميع توقفوا بإشارة من يد خورشاه الذى نظر إلى حسين بحدة  
وقال: أقول لك إن جزاء هذه الوقاحة وسوء الأدب أن تطرد فوراً من  
القاعة ، ولن يسمح لك قط أن تطأ بأقدامك غير الطاهرة الأرض الطاهرة  
للفردوس الأعلى، كان جزاؤك القتل، ولأسباب عدة رأيت أن قتلك غير  
مناسب ، ولكن الآن لا يمكن لك أن تلبث ساعة فى القلعة، وفكر حسين  
فى وقاحته وخر على الأرض ذاهلاً عن نفسه وبلهجة عاجزة وخاضعة بدأ  
يبكى ويتحب ويقول: لا يا إمام القيامة أعف عن خطاى ؛ لقد جعلنى  
حماس الحب بلا وعى وذاهلاً عن نفسى لكننى لم أقصد ما قلت تماماً،  
فاضطحب خورشاه ديدار إلى قصره وذهب ، وبمجرد أن ذهب أمسك  
الحراس بقوة بتلابيب حسين وأخرجوه من القلعة ، وأخذ يسترحمهم  
ويستجدي عطفهم ولكن لم يرق له أحد ، بل قال له بعضهم إنك  
محظوظ لأنك تطرد خارج البلد وإلا فإن القتل هنا جزاء الوقاحة .

حسين : إذن ماذا أفعل الآن؟ وأين أذهب؟

الحراس: نحن لا نعرف؟ فهذا شأنك .

كان اليأس قد بلغ بحسين مبلغاً في ذلك الوقت، فلم يكن قد يش من وصال زمرد فحسب بل كان قد ابتعد بنفسه عن الأبدية والرحمة، كان في اعتقاده أنه ما دام قد طرد من هذا البلاط فإنه لن يجد له مأوى، فأخذ يندب حظه في الجبال خارج قلعة الموت ويضرب رأسه في الصخور، وحده قلبه بأن يذهب إلى الشيخ على وجودي ويطلب منه العفو، ولكنه ظن أنه بعد أن طرد من بلاط الإمامة هذا فلن يجد له ملجأ هناك، ولكنه استبعد هذه الفكرة ورأى اليأس محققاً به من كل جانب، وفي النهاية تذكر نصيحة زمرد وإلى جانب هذا تراءت أمام عينيه صورة زمرد والممر الجبلى لجبل "البرز"، وفجأة قال بلا تفكير يجب على الذهاب هناك؛ فلم يعد لى الآن أى ملاذ ألبأ إليه سواه، ولكن مع هذا خطر على باله أنه لا أمل كذلك فى النجاح هناك مادامت علاقته قد قطعت تماماً بالقلعة والجنة، ومن ثم فلن ترضى عنى كذلك ولو افترضت أنها سترضى وذلك الحب القديم مستقر فى قلبها أمن الممكن أن تساعدنى بأى نوع من المساعدة خلافاً لأمر المرشد والإمام؟ والآن لم يعد لديه أمل، أيمكن لها أن تدلنى على طريق لنجاحى مثل ما وعدتنى من قبل؟! وانخرط فى البكاء بعد هذه الفكرة، وكان يخطر على قلبه مراراً أن يضرب رأسه فى هذه الجبال ويتحجر، ولكن من المؤكد أن اليأس سيكون مضاعفاً، وفى النهاية قرر أن يذهب إلى قبر زمرد ويجلس عنده، فماذا يمكن أن يقلل من اليأس فسوف يضاعف ذلك من اضطراب القلب، عندئذ سوف أحتضن قبر هذه الحورية.

وبعد أن قرر هذا طأطأ رأسه وأخذ يركى، ذهب أولاً إلى قزوين ثم خرج من قزوين إلى جبل البرز، ووصل إلى ذلك الممر الجبلى القديم

حيث أقام هناك ، وبعد هذه الثورة وتلك الحيرة صار مجاوراً لقبر محبوبته الفاتنة ، وهكذا ظل مشغولاً بقراءة الفاتحة والعبادة ليل نهار ، كان يمكث عند القبر لساعات يتحدث مع طيف زمرد ويكي مراراً ويقول : "أيها الفاتنة يا من تسكنين الفردوس ، بالله عليك اتجهي ناحية قبرك وانظري كم أنا حيران ومضطرب ، آه فلا صبر لي على فراقك وحبك ، وقد خسرت العالمين فلا أنا هنا ولا أنا هناك ، فلم يبق في هذه الدنيا ولا في ذلك العالم غير رضاك أنت أيتها المحبوبة الوفية يا بلاطى الأزلى فانظري يا حبيبتي إلى حالتى المزرية ، واشفعي لي ولا تتركيني يائسا من وصلك ونيل صدقة لحبك .

كانت هذه المشاعر التى يظهرها أمام القبر ، وكان مثل هذا الدعاء هو الذى يردده كل وقت ، وفى النهاية تحققت أمنيته فى أحد الأيام حيث فتح عينيه فى الصباح الباكر فرأى على القبر رسالة من زمرد ، لم تكن رسالة بل رسالتين إحداهما فى مظروف مغلق والثانية مفتوحة ، وأخذ حسين الرسالتين وقبلهما ووضعهما على عينيه وبدأ يقرأ الرسالة المفتوحة :

"يا حسين إنك قد أخطأت خطأ جسيماً ، فقد أسأت الأدب فى حضور الإمام قائم القيامة ، وإنه لكسب لأنك قد نجوت ، وآسفاه فأنا لم أستطيع أن ألتفت إليك بقلبي ، وجئت إلى هنا عدة أيام ، وسوف أرجع مضطربة ، ونتيجة لهذا الاضطراب أكتب لك هذه الرسالة ، وبما يؤسف له أننى لم أكن أرغب فى العمل الذى ارتقصيت ، ولكنى كنت مضطرة فلماذا تركت الأمر الذى كان ينبغى أن يكون ، حسنا الآن أنت مستعد لتنفيذ خطتى ، لكن عليك أن تفهم أن هذا العمل خطير للغاية ويجب أن تؤديه بصبر ودقة ، وإذا عملت خلافا لرأى ولو قليلاً فسوف



يلحق الضرر بك وبى أيضا ، ومن ثم سوف لا نستطيع اللقاء مطلقا فهذه آخر حيلة وأخطرها وأنا مضطرة لتنفيذها فى هذا الوقت بعد أن تأكدت الآن أن جميع أبواب الأمل والرجاء قد أوصدت دونك . أما هذه الرسالة الثانية التى ستجدها مع هذه الرسالة فاحتفظ بها مغلقة هكذا وخذها واتجه ناحية الشرق واذهب مباشرة إلى مدينة قراقورم القريبة من كاشغر حيث الملكة بلغان خاتون وهى إحدى ملكات الأسرة الملكية المغولية ، وحاول اللقاء بها منفردا وأعطها رسالتى هذه ولا تحاول أن تعرف بها ولا تسأل بلغان خاتون عن أمرها ، عليك فقط أن تجيب إجابة صحيحة على سؤالها لك ، ولو وافقت الملكة بلغان خاتون على هذا الأمر فسوف تساعدك وإن رغبت فى المجيء معك فأحضرها هى ومن معها إلى قبرى وانتظروا ، سوف تظهر لك بلغات خاتون كرمها فى الغالب ، ومن المؤكد أنها سوف تصمم على المجيء إلى هنا مع جيش من قومها فعلى الرحب والسعة ، وترقب ماذا يكشف عنه الغيب " حبيبتك زمرد " .

قرأ حسين هذه الرسالة ووضع الرسالة الثانية فى صدره بحذر وهب واقفا واتجه ناحية قراقورم على الفور ، وفى الطريق كانت هذه الفكرة تخطر على قلبه مرارا وهى ما الغرض الذى من أجله أرسلتنى زمرد إلى هناك ، ولكنه كان يبعد عنه هذه الفكرة ، ويقول إن زمرد قد منعتنى من التجسس على هذه الأمور ، ومع هذا كان الفكر قد استبد به فى هذا الأمر وهو أن زمرد قد نصحته بأن يجيب بصدق على أسئلة الملكة . لقد انتهيت من مثل هذه الأعمال وعند إفشائها أفكر فى نفسى ، فهل أخبرها أننى قتلت الإمام نجم الدين النيسابورى بلا ذنب أو جريرة ، وسلبت روح الإمام نصر بن أحمد وهو يصلى ، وكل هذه الأفعال ممنوعة فربما أصدرت

أمرنا بقتلى لو علمت أن لى علاقة ما بالفرقة الباطنية، وفى الأشهر العديدة التى كنت أطوى فيها منازل السفر كانت هذه الأفكار تأتىنى ويخامرنى هذا النوع من الظنون، وفى النهاية وصلت إلى هراة ودخلت حدود تركستان ثم وصلت بعد عدة أيام إلى مدينة قراقورم الخاصة التى كانت مركز التتار وعاصمتهم، وبعد أن وصلت إلى قراقورم انقضت عدة أشهر كذلك دون الوصول إلى الملكة بلغان خاتون، التى كانت قصص حسناتها وجمالها مشهورة فى كل المدينة، ويقال إنها اعتزلت جميع الملذات الدنيوية بسبب صدمتها فى موت أبيها، وكان لها حديقة خارج المدينة مجهزة بها موضع للصيد واسع وممتع، لكن الحزن على أبيها جعلها هكذا كئيبة، فلم تعد تأتى إلى هذه الحديقة، وذات يوم كان حسين واقفاً فى وسط المدينة وفجأة حدث ضجيج وجلبة الملكة بلغان خاتون قادمة "؛ فوقف بجانب الطريق، لم يطل انتظاره فقد قدمت الملكة مع عدد من صويحيباتها يمتطين ظهور الخيل ثم مضين سريعاً. ربما تجرأ حسين وخاطر بروحه وأعطاهما الرسالة فى يدها، إلا أن زمرد كانت قد أكدت عليه أن يعطيها لها حين تكون بمفردها؛ فظل واقفاً صامتا وقد أصابه اليأس، وعندما مضت الملكة قال فى نفسه يبدو أنه من المستحيل وصولى إلى مخدع هذه الملكة الجميلة.

انقضت عدة أيام آخر فإذا به قد سمع أن الملكة تعتزم بعد فترة من الوقت الذهاب إلى مكان الصيد والحديقة فدب الأمل فى حسين؛ لأنه قد يجد الفرصة سانحة هناك، ومن أجل هذه الفكرة فإنه فى البداية ظل مختبئاً فى موقع الصيد، وهناك جاءت الملكة بلغان خاتون ومضت لكن الفرصة لم تسنح لحسين، فقد التقى بالملكة عدة مرات ولكن فى كل مرة كانت معها صديقة من صديقاتها.

حين استبد بحسين اليأس فكر فى حيلة أخيرة وهى أن يطلب وظيفة ، وهكذا يصل إلى مقر الملكة ، وكان بعد إقامته فى قراقورم هذه الفترة قد نشأ له أصدقاء عدة فزكوه لديها حتى نال بصعوبة شرف رئاسة اصطبل الملكة ، بعد شهرين من تسلمه لهذه الوظيفة لم تسنح له الفرصة للقاءها بمفردها ، وفى النهاية عندما نهضت الملكة من فراشها الوثير ذات مرة فى الصباح الباكر ذاهبة إلى الحمام كانت بمفردها تماما فقابلها وصافحها بعد أن تعلم ، وبعد أن رأت بلغان خاتون أن حسين يعترض طريقها بشكل غير عادى ، توقفت وسألته : لماذا؟

حسين(بعد أن قبل الأرض أمامها) : الجميع بخير ، لكننى أحمل للملكة رسالة حصلت عليها منذ أشهر ، ومنذ ذلك الوقت أقيم فى قراقورم ولم يكن مسموحا لى تقديم هذه الرسالة بدون أن تكونى بمفردك ، وبسبب ذلك كان هذا الحد من التأخير ، واضطرت أن أقبل وظيفة الملكة ، وبعد سلسلة من الفشل الذريع ولحسن حظى سنحت لى الفرصة الآن لتقديم هذه الرسالة ، بعد أن قال هذا أخرج رسالة زمرد وأعطائها للملكة .

لم تكن الملكة بلغان خاتون مثل نساء التتار بل كانت عكس ذلك كذلك من أمراء التتار ، ملكة على قدر كبير من التعليم والتحضر والثقافة فكانت تتحدث الفارسية بطلاقة ، ليس هذا فقط بل كانت تستطيع أن تنقد شعر شعراء فارس بشكل جيد وتفهم أصعب ما فى الفارسية وأبلغها على أكمل وجه ، فأخذت الرسالة ونظرت فيها بتمعن ، وكان غلاف الرسالة بسيطا وبلا رخارف فنظرت إلى حسين بتعجب وسألته : من الذى أرسل هذه الرسالة؟

حسين : ستعلم الملكة ذلك بعد قراءتها ، وفى حدود علمى فإن هذه الرسالة لم يخطها إنسان بل هى من إحدى الحوريات التى تسكن فى ذلك الفردوس الأعلى فى النور الأبدى ، تملك الحيرة بلغان خاتون بعد أن سمعت هذه الإجابة ونظرت إلى حسين وسألته : " إذا كانت هذه رسالة إحدى حوريات الفردوس الأعلى فكيف التقيت بها وما هى صلتك بها؟ " .

حسين : كل ما يربطنى بها هو الحسرة على ذكرها فقط ، وأحيانا تصلنى منها رسالة بإحدى الطرق الروحانية .

زادت حيرة الملكة الترية بعد أن سمعت هذا ، وأمعنت النظر فى حسين ثم فكرت وقالت : " حسنا ، اذهب أنت الآن ، وسوف أقرأ هذه الرسالة بروية واطمئنان ثم أستدعيك " .

حسين : (بعد أن وضع يده بأدب على صدره) : حسنا ، ولكن على الملكة إن أرادت الاستفسار عن الأمر أن تستدعينى بمفردها فأنا لا أستطيع أن أبوح بسرى بشكل جيد أمام شخص آخر .  
بلغان خاتون : سوف ألتقى بك بمفردى .

كانت هذه الرسالة إلى جانب وصف حسين من الأشياء غير العادية حتى إن الملكة بلغان خاتون نسيت الاستحمام ، وقفل حسين عائدا بينما انقلبت هى إلى مخدعها ، وبعد أن جلست بمفردها فتحت الرسالة وبدأت قراءتها باهتمام وتدبر شديدين ، فكان مضمونها كما يلى :

" أيها الملكة الحزينة الطيبة ، لقد ابتليت بالحزن على أبيك الذى قتل بخداع مكر على يد فدائى الباطنية ديدار ، إتنى أواسيك فى الملك وحزنك ، ولهذا فلإتنى - خلافا لوظيفتى - أخبرك بأن ديدار يجلس هنا فى قلعة

آلموت يستمتع بالجنة فلو أردت الانتقام لأبيك ورغبت فى القضاء على إحدى الفتن الكبرى فى هذه الدنيا، فتعالى مع حسين، الذى حمل رسالتى والذى بسبب الشوق إلى زيارة الجنة فقد العقل والحواس بل حتى الإيمان والدين، تعالى إلى قبرى فى وادى جبل البرز، وبعد أن تأتى ألقى أحجار القبر وسوف تجدان أسفلها رسالتى الثانية التى سترشدك إلى ما ينبغى عمله فإلى جانب انتقامك لأبيك ستكتشفان لغزا كبيرا، وتفشيان أكبر أسرار الدنيا وستعلمان الفرق بين الدنيا والملا الأعلى، وتستطيعان أن تسألى حسين عن أحواله وسوف يتضح لك أى أثر للفردوس الأعلى - حيث أكون - على قلبه، وسوف أجعلك تشاهدين هذه الجنة بدون صعوبة، ولعل المجرم يقع فى يديك؛ لذا تعالى وأسرعى بالمجىء.

لكن تذكرى أن تكونى موجودة على قبرى فى صباح السابع والعشرين من رمضان، إلى جانب هذا من الضرورى أن يكون أحد الجيوش التتية موجودة بأعداد كبيرة بالقرب منك، ولكنك يجب ألا تحضرى معك على قبرى أكثر من أربعة أفراد.

ساكنة الفردوس.. زمرد.

لم يكن تأثير هذه الرسالة على بلغان خاتون بأقل من تأثير السحر؛ فكانت وهى تقرأها تغضب غضبا لا حدود له، وأحيانا تسيطر على قلبها أفكارا خاصة بشكل كبير؛ فلا يقر لها قرار ولكن حيرتها ودهشتها بلغت مبلغا لا حد له، لقد قرأت الرسالة عدة مرات من أولها حتى آخرها وتفكر قليلا ثم تقرأ وتمعن فى التفكير ثم تفكر ويمتلكها الغضب وتبدأ فى التفكير بعد أن تضع يدها على الحدود الذهبية الرقيقة، وفى النهاية وبعد كثير من الاضطراب والتردد استدعت حسين ويادرتة بالسؤال:



أتعلم ماذا كتب فى هذه الرسالة؟  
حسين: لا ، لا أعلم حرفا مما جاء فيها.  
جعلت هذه الإجابة بلغان خاتون تحقق فى حسين وتنظر إليه بعين  
الشك ثم سألت:  
- هل أنت باطنى؟  
حسين: (فى رهبة): نعم.  
بلغان خاتون: هل تزهدت فى الجنة؟  
حسين: رأيتها مرة واحدة وأطمع فى رؤيتها مرة ثانية.  
بلغان خاتون: حسنا، سوف تحقق هذه الرغبة، ولكن أخبرنى هل  
تعد من القدائين كذلك.  
حسين: لا شك فى ذلك.  
حملت بلغان خاتون فى حين بعد أن سمعت هذه الإجابة ثم  
قالت: كم من الأنفس قتلت؟  
حسين: فقط شخصين ، لكنهما من الكبار ، وقد ندمت على  
قتلهما.  
بلغان خاتون: ألم تخف أثناء أعمال هذا الخنجر فيهما.  
حسين: حدث ذلك، لكننى لم أكن أستطيع أن أحيى عن أمر  
المرشد.

بلغان خاتون: (بدهشة): ألم تفكر فى الخير والشر عند ارتكابك لمثل هذه الكبائر بأمر المرشد؟

حسين: متى يخطر على بالنا الخير والشر ونحن ننظر إلى كل شيء فى الظاهر، والشيخ تقع عينيه على الباطن- أو كما يحلو له القول - الحقيقة الأصلية.

بلغان خاتون: لو قال لك المرشد ألقى بنفسك فى البئر هل تفعل؟

حسين: بلا تفكير ؛ لأن ذلك هو أول عقائلنا ورياضتنا الروحية الأولى ؛ فالمرشد يأمر بعد أن يرى الخير ولا يكون أمامه أى وجود للشر أو الضرر.

بلغان خاتون: كيف افترقت عنك زمرد؟

حسين: لقد منعته، لكنها لم توافق وسلكت هذا الممر الجبلى فى جبل البرز حيث يمر به الخور أحيانا، وفى أثناء سيرنا وصلت الحوريات وقتلوهما على الفور وأعدوا لها قبرا هناك وهو الذى أخذت أبكى وأنوح عليه فترة من الوقت.

لقد أوصلت الشهادة زمرد إلى الفردوس الأعلى وجاورت أنا القبر فى انتظار الموت، فإذا بزمرد ترسل لى رسالة من الفردوس الأعلى تنصحنى فيها بالدخول فى الفرقة الباطنية الناجية، وتخبرنى بطريقة الوصول لها وطبقا لنصائحها هذه حظيت بشرف رؤيتها مرة واحدة، لكن للأسف لا أمل فى لقائها مرة ثانية.

والآن فإننى أسعى ثانية لزيارتها و (سييدا) ذلك عن طريقك ، لكن نظرا لأنك لم تسمح لى بالسؤال لذا لا أستطيع أن أتمنى شيئا فى حضورك.

اندهشت بلغان خاتون من سذاجة حسين، فابتسمت قليلاً ثم قالت :  
لا شك . . . سأحقق أمنيتك وتنال ما تتمنى، لكن عليك أن توصلنى إلى  
ذلك المكان حيث قبر زمرد وإلى ذلك الموضع الذى (تطلق) عليه مقر  
الخوريات.

حسين: أمرك!!، عندما تتفضل الأميرة بالرحيل سيكون هذا الخادم  
فى ركابها.

بلغان خاتون: يا حسين لو قلت لك اقتل أى شخص فهل ستقتله؟

حسين: بلا شك بشرط ألا يكون هناك صعوبة فى قتله.

بلغان خاتون: وهذا الشرط يرتبط بالمرشد.

حسين: لا ، إن (علاقة) المريد بالمرشد نوع آخر من الارتباط، فمعه  
يجب أن يكون المريد كآلة بلا روح.

بلغان خاتون: حسناً، الآن سأعد العدة للسفر ، وعليك أن تستعد  
أنت كذلك.

حسين: أنا مستعد فى كل وقت.

ودعت الأميرة حسينا وذهبت إلى حمامها وهى فى دهشة متزايدة،  
وكان الناس قد وجدوا نوعاً من التغير غير العادى فى مزاجها، فأخذ كل  
شخص يسأل عن سبب ذلك لكنها ظلت صامته ومندهشة أيضاً، وفى  
صباح اليوم الثانى حمل إليها رسول رسالة ثم اتجه إلى مكان ما ، وبدأت  
هى كذلك تعد العدة للرحيل لكن كان من الضرورى بالنسبة لها أن تحصل  
على إذن من أخيها منقوخان ملك التركستان ، وكانت مترددة فى ذلك.

## الباب السابع

### سفر بلغان خاتون

بعد أسبوع من ذلك اليوم الذى سلم فيه حسين رسالة حبيبته زمرد ساكنة اللجنة إلى بلغان خاتون، ذهبت الأميرة التتية إلى أخيها منقوخان فى الصباح حين كان فى بلاطه عدد من زعماء الأسر التتية وساداتها فجلست صامته وخائفة لم تنطق شيئاً أمامهم لفترة من الوقت، فقال منقوخان بعد أن رأى الأخت صامته:

لماذا هذا الصمت غير العادى يا أختاه؟

أحد رجال البلاط: إن الأميرة لم تنس الحزن على والدتها حتى الآن.  
منقوخان: بنخ ، بنخ يا بلغان ، دعى عنك هذا الحزن الآن، فإن بقاءك حتى هذه الأيام فى الألم والحزن يتعارض مع طبيعتنا وشجاعتنا القومية.

بلغان خاتون: حقاً يا أخى، نسيت هذا الحزن (وبعد قليل من الصمت): حسناً ستمضى الأمور ، لكتنى حضرت الآن لأنجز عملاً مهماً.

منقو خان: ما هو؟

بلغان خاتون: يا أخى لقد انتصرت فى معارك كثيرة، لكن الآن  
أرغب فى أن أخوض إحدى المعارك بنفسى.

تملك الجميع الحيرة بمجرد أن سمعوا هذه الجملة، وحملق فيها  
منقو خان متسائلاً:

"حسنا يا أختاه، أى معركة هذه؟ وهل تستطيع أسلحتى أن تؤدى  
المهمة؟ أخبرينى برأيك واذكرى لى اسم أى شعب أو دولة، وليس من  
الضرورى ذهابى بنفسى بل سيذهب جيشى الشجاع هناك ويدمر كل شىء  
فى لحظة.

بلغان خاتون: هذا صحيح، ولكننى أريد أن أدير هذه المعركة بنفسى  
بشكل خاص.

منقو خان: فى النهاية أية معركة تلك؟ وعلى من ترغين الهجوم؟  
رداً على تساؤله وضعت بلغان خاتون رسالة زمرد أمامه وقالت:  
اقرأها أولاً ثم اسأل.

قرأ منقو خان الرسالة من أولها إلى آخرها، ولكن قبل الانتهاء منها  
بدأ الشرر يتطاير من عينيه ومط شفتيه وتطاير الشرر من عينيه واهتز  
حاجباه، وبعد أن انتهى من الرسالة قذف بها بغضب وقال: "حسنا،  
فلتطمتنى يا أختاه وليهدأ خاطرك، سأكتب غدا إلى هولاكو خان".

بلغان خاتون: لا - هذه معركتى.

منقو خان: ماذا ستفعلن بذهابك؟ ليس عملك الحرب والضرب.



بلغان خاتون: بعد أن أمحو هذا المذهب من الدنيا، أريد التأكيد على أن النساء أيضا يتميزن بالشجاعة مثل الرجال فلو أعطين الفرصة فإنهن لن يكن أقل من الرجال فى أى أمر ، والآن أنت تدرك هل الحرب هناك ضرورية أم لا؟

منقوخان: لا شك أنها ضرورية، ولا يمكن النجاح بدونها، يبقى بعد ذلك شجاعة النساء فأنا أوافق على أن النساء يتفوقن على الرجال فى الحكم، فهن اللواتى أعيتن شجعان الدنيا بأسرها ودمرن عروش الملوك العظام والأبطال الكبار ، وعليه فإن المرأة هى التى تحكم ولكن أسلحة المرأة أسلحة أخرى، فهى لا تحارب بالخنجر والسيف ولا بالسهم والنصل، بل تنصرف على أعدائها بخنجر الرموش وسيف الحجاب ونصل الدلال وسهم النظر، إلا أن أسلحة المرأة هذه لا يمكن أن تكون مفيدة فى ميدان الحرب، ففى ذلك الميدان الذى تريدان الذهاب إليه يكون النصر فى مثل هذه الميادين باسم أسلحة الرجال ، طأطأت بلغان خاتون رأسها خجلى من هذه الإجابة ، ولكنها أبدت صلابة وقوة من خلال نظراتها وقالت: "يا أخى لا تظن الأمر بهذا الشكل فإننى ساحارب هكذا بفدائية وشجاعة كما يجب أن تحارب أى فتاة تترية شجاعة.

منقوخان: أنا أعرف ذلك ، ولكن مادمتنا موجودين أحياء فلا يمكن أن نشق عليك أيتها الجميلة بوضع قدمك فى ميدان المعركة، وفى نهاية الأمر ما هو أهمية ذهابك؟

بلغان خاتون: هذه فقط معركتى وهى واجب ، وأنا الآن أريد الآن تحمل المسئولية.

منقو خان: حسنا فاذهبى بمثل هذه الرغبة، لكننى سأذهب معك ،  
فلا يطيب لى أن أستسيغ تقدم إحدى أميرات الأسرة المغولية المعززة إلى  
ميدان المعركة وحيدة :

بلغان خاتون: لكن يا أخى لا أمل فى أى قتال هناك وسنكون بضعة  
جنود وسنتنصر .

منقو خان: أنت لا تدركى ذلك ؛ فالناس الذين يستعدون للتضحية  
بروحهم بإشارة واحدة من القائد ينبغى الخوف منهم .

بلغان خاتون: لكن رهبة التثار مستقرة فى القلوب ؛ للدرجة أن  
هؤلاء الناس يلقون بالسلاح بدون حرب و قتال ، وهذا ما أفهمه  
وأدركه .

منقو خان: لا شك فى ذلك ؛ فالرهبة والخوف منا أمر واقع ، ولكن  
ليس من السهل عليك أن تقتلى أسرة دينية وملكية قديمة قدم مائة  
وخمسين عاما من جذورها وتلقى بها جانبا .

ظل منقو خان مصرا على رأيه لفترة طويلة إلا أن الأميرة بلغان خاتون  
لم تستسغ مشاركته بأى حال من الأحوال ، وعندما رأت أن أخاها الملك  
لا يوافق مال عليها وقال لها شيئا فى أذنها بعدها أخذت تفكر لفترة قصيرة ،  
وفى النهاية وبعد بحث وتشاور قرر أن تتوجه الأميرة التترية الشجاعة وفى  
ركابها خمسمائة فارس ، ثم نهضت واستعدت بلغان خاتون فى طريقها  
للعودة وتوقفت وعرضت الرسالة مرة ثانية أمام أخيها قائلة: " لكن انظر  
قليلاً فقد أخبرتنا كذلك متى يجب الذهاب من هنا، انظر فى أى تاريخ  
دعنا زمرد" .

منقو خان: (بعد أن قرأ الرسالة) فى ٢٧ من رمضان.

بلغان خاتون: الله يعلم ما الهدف من تحديد هذا التاريخ ، إذن ينبغي على الرحيل.

منقو خان: لابد أن فيه أمر جلل ، وهذا أيضا لم يدر فى خلدى فماذا سيحدث بعد وصولك إلى هذا الممر الجبلى ، من الممكن أن تكون هذه المرأة التى قالت بأنها حورية تخدعك .

بلغان خاتون: أرجو ألا تكون رسالتها ودعوتها لى خدعة ، ومع هذا ومن جانب الاحتياط عقدت العزم على اصطحاب معى قليل من الجند ، وأنت تعلم أنتى قمت بالاحتياطات اللازمة من أجل سلامتى ، نعم لقد دعتنى زمرد يوم ٢٧ رمضان ، فأى تاريخ اليوم؟

منقو خان: عشرون من جمادى الأول يتبقى أربعة أشهر تقريبا لن يستغرق الطريق أقل من ثلاثة أشهر وإذا وصلت سريعا فلتقضى فى موضع ما فى الطريق ، أما عن الذهاب فينبغي الرحيل غدا . بعد ذلك فكر منقو خان قليلاً وقال : "حسنا لقد جاءتنى فكرة جيدة ، فلتبقى يارمرد لمدة يوم أو يومين وفى اليوم الرابع يسير هولاكو بالمدد بجيش جرار قوامه أربعون ألفا من الجنود ، وسوف يصطحبه طوبى خان وتكونى معه أيضا ، فهؤلاء الجند سيذهبون إلى حيث تتجهين ، بل سيتقدمون عليك ، فقد استولى هولاكو خان على عرش الديلم وهو الآن يتعقبه وبعد وصول هذا الجيش سوف يقصد أرض العراق ويرغب كذلك فى عقاب خليفة بغداد على غروره وصلفه .

بلغان خاتون: إذا كان الأمر مجرد يوم أو يومين فسوف أبقى .

بعد ترتيب جميع الأمور عادت بلغان خاتون إلى قصرها واستدعت حسين وأبلغته أن الرحيل بعد غد ، وأن عليه أن يظل مستعداً ، وضع حسين يده على صدره وأحنى رأسه بأدب وقال : "أنا مستعد في أى وقت تطلبنى".

وعلى الجانب الآخر بدأ طوبى خان بن منقوخان إعداد العدة للرحيل ومعه أربعون ألف جندي وأعطيت الأوامر لهم بالاستعداد ، وقد قضى الجند الليلة الأخيرة في انتظار وترقب وشوق عجيب بينما عمت الضوضاء والضجيج جميع أنحاء قراقورم ، وانتشرت البهجة وزاد تحرك الجند هنا وهناك ، ومن كان منهم في خيامهم ومنازلهم كانوا يختبرون أسلحتهم ويعدونها أو كانوا يودعون أطفالهم وزوجاتهم الاثريات ، وفي الصباح الباكر دقت طبول الرحيل فإذا بأسراب التار يتقاذفون في غمار الحماس تحت أعلامهم ويبارقهم يتغنون بأناشيدهم القومية وقد ارتفع ضجيجهم.

سار هذا الجيش بعد تقسيمه إلى ألوية مختلفة ، كل مقدمة يتقدمها خمسة آلاف شاب ثم ينقسم الفدائيون إلى مجموعات كل مجموعة تضم خمسة آلاف يتشرون يمينا ويسارا ، وظل لواء مكون من خمسة آلاف في سرب في الخلف بينما كان في الوسط أى القلب عشرون ألفا كاملة من الترك وقد ساروا من الخلف للأمام وهم مقسمون تحت الرايات وفي جيوش منفصلة ، وكان طوبى خان وبلغان خاتون يمتطيان حصانين تركيين قوين ، وكانت الرماح والأقواس السارية تتحلقهم من الجوانب الأربعة ، وكانت تتعالى من كل طرف من الأطراف الأربعة أصوات الحماس والثورة ، وارتفعت كذلك نغرات النصر والفتح ، لقد كانت جحافل التار هذه مثل سرب من الجراد أخذ يخرب ويحطم كل شيء في الطريق.

وكانت القرية التى تلوح فى الأفق تجدها خالية من البشر ؛ لذا فإنه عندما سمع الناس بمجئ قطاع الطريق الظالمين تركوا منازلهم وفروا هاربين ، وقد أضرمت النار فى المنازل غير المأهولة والخرية ، وكان هؤلاء الجند يهدمون القرى والمدن التى يمرون بها ويقوضونها فيصبح التراب أسود بعد أن تحترق ، وكان هؤلاء المتوحشون يقتلون كل من يلتقون به من بين الرعايا طفلاً كان أم عجوزاً ، رجلاً كان أم امرأة ، وخلاصة القول هو أن هؤلاء الناس خربوا منطقة غزنة وخراسان بأسرها ، وساروا بمحازاة شاطئ بحر الخزر حتى وصلوا إلى مارندران ، وبعد أن نهبوا ودمروا القرى هناك خرجوا ناحية آذربيجان وكان هولاء كوخان موجودا فى تلك الناحية ؛ لأنه كان يتعقب سلطان الديلم ، ولذلك توغل ناحية الشمال أكثر ، وفى تلك الأثناء وصل إلى هذه الأرض خمسمائة تاتارى ، وكان ذلك فى الثامن عشر من رمضان فكان عليهم أن يربطوا مضطرين فى هذا المكان عدة أيام فلا يمكن أن تكون هناك مصيبة بالنسبة للجيش التاتارى أكبر من هذا ؛ فقد كان من عادة هؤلاء القوم أن يعيشوا سعداء وفى أحسن حال ماداموا ينهبون ويغيرون وحيشما حلوا فى مكان ما يصيبهم الفقر ما لم يجدوا مدينة أو إقليم جديد ينهبونه فماذا يفعلون هنا؟ لقد كانوا مضطرين ، فالجميع يعيش فى فقر وفاقه أيام الانتظار ، وكان يوم انتظارهم التاسع يوافق يوم السابع والعشرين من رمضان ، وكانت بلغان خاتون فى انتظار أحد ما منذ الصباح ، وكان اضطرابها يتضاعف كلما تأخر ، وفى النهاية وعندما رأت أن الميعاد قد فاتها فإنها رحلت بعد عظيم تردد مصطحبة معها ثلاثة من الجنود الأقوياء تاركة جميع رفاقها متخذة من حسين مرشدها ، وبعد أن ترك حسين والأميرة التاتارية الطريق وصارا على شاطئ نهر ديرنجان وصلا إلى الحديقة المقصودة بعد أن عبروا الغابات والممرات الجبلية



بصعوبة ومخاطرة ووقف حسين على قبر زمرد وقرأ الفاتحة وقال: هذه هي الحجرة التي يستريح تحتها الهيكل العنصرى لزمردتى.

أخرجت بلغان خاتون رسالة زمرد ثم قرأتها وبدأت إزالة أحجار قبرها بيديها طبقاً لنصيحة زمرد فتحت جانباً أربعة أو خمسة أحجار ووجدت رسالة زمرد الثانية حسب الاتفاق ففتحتها وقرأتها فى صمت مطبق ، وبعد تردد قليل بدأت تنظر وتجمل النظر أمامها ، وبعد عدة لحظات فكرت قليلاً ثم مالت على أحد المرافقين لها وأسرت له بشيء وقفل الجندى التاتارى عائداً بعد أن سمع سر الأميرة التى نظرت ناحية حسين وقالت: " هيا بنا " .

حسين: إلى أين؟

بلغان خاتون: حيثما أذهب - وبمجرد أن قالت هذا أشارت إلى الجنديين الباقيين بالمجىء معها وانطلقت ؛ لم يكن أمام حسين من خيار فمضى معها دون تملل أو تردد.

وانجهت بلغان خاتون إلى الجهة الشمالية لهذا الوادى فى تلك الناحية التى كان حسين قد رأى فيها الحوريات ، وأخذت تسير حتى وصلت بعد ساعتين تقريباً إلى سفح جبل أخضر ، ورغم أنه لم تكن هناك علامات على وجود أى طريق فى هذه الناحية لكنها ظلت تتقدم ، وكان حسين ذو عقيدة والمريد يطيع بلا عذر ، لكن الجنود المصاحيين لها كانوا فى دهشة وحيرة فإلى أين تأخذهم الأميرة، فتقدم أحدهم وسألها بأدب: لا يوجد طريق هنا فردت عليه بلغان خاتون وقالت: لا تتكلم أمشي فى صمت ، وبعد أن وصلت إلى سفح الجبل ولجت فى غار مظلم وقالت لرفاقها:

"امشوا هكذا حتى لا يعلم أحد أثار الأقدام" ، وطبقا لأمر الأميرة كان الناس يخفون الوطء بقدر الإمكان ؛ كان الغار معتما تماما من الداخل فيتلمس الجميع الطريق بالأيدي وساروا وهم يتجنبون التصادم في كلا الجانبين وبعد خمسة عشرة أو عشرين دقيقة لاح ضوء من بعيد فاتضح أن فتحة الغار من هذا الجانب ، وفي النهاية خرجت بلغان خاتون من هذا الغار ، لكنها بعد أن خرجت من الغار اتضح لها أن هذا الموضع لا يقل وحشة ، حيث كانت هناك غابة كثيفة متشابكة الأشجار ؛ فكان ضوء الشمس يصل بصعوبة إلى الأرض.

وبمجرد أن وصلت الأميرة إلى هذه الغابة خرجت ناحية اليسار وكان وجهتها الآن ناحية الغرب فمضت للأمام باستمرار وتعثرت في الأشجار والأشواك المتشابكة ، وكان المصاحبون لها قد اضطربوا بعد أن رأوا صعوبة في عبور هذا الطريق ، وكانوا في حيرة من أمرهم. وفي النهاية انتهت هذه الغابة فجأة عند أحد الجبال وعندما وصلت الأميرة انحرفت ناحية اليمين وسارت بمحاذاة الجبل حتى نهايته وعند موضع ما لاحظت الجبل وكأنه قد تصدع وانشق بسبب صدمة مفاجئة ، وظهر في وسطه ممر طويل وضيق لا يسمح بمرور أكثر من شخص.

نظرت بلغان خاتون إلى هذا الممر بتمعن ثم جالت بنظرها في جوفه ، وبعد أن اطمأن قلبها ولجت في هذا الممر ، ولكنها قبل الدخول فيه مالت على أذن أحد الجنود المصاحبين لها وقالت شيئا ما فقفل راجعا من فوره. ودلفت الأميرة مع حسين والشاب الذي تبقى في الممر فعثرت على شباك في "صرة" داخل الممر ففتحتها فرأت زوجا من الملابس النسائية وزوجين من الملابس الرجالي لقرويين ورعاة البقر فأعطت الأميرة الملابس لحسين

ورفيقه الثانى وقالت: " اخلعا ملابسكما واتركاها هنا وارقديا هذه الملابس ،  
قالت هذا وبدأت هى نفسها ترتدى الملابس النسائية ، وعندما انتهى  
الجميع من تغيير الملابس بدأ حسين ينظر بدهشة إلى ملابس الأميرة  
وهيبتها رغم حلول الظلام وصعوبة الرؤية .

بلغان خاتون: لآى شىء تتعجب يا حسين ولماذا؟

حسين: هل تأذننى لى ، فإنك تبدين بعد ارتداءك هذه الملابس  
كحورية سماوية لا أميرة دنيوية .

بعد أن سمعت بلغان خاتون هذا الكلام ابتسمت وقالت: تعال بنا  
فى صمت ولتتقدم ، واتضح فجأة أن صخرة مديبة معوجة أغلقت  
الطريق ، وعندما استدارت بلغان خاتون رأت أسفلها فتحة صغيرة نوعا ما  
بحيث يستطيع أن يخرج منها شخص واحد بصعوبة بعد أن ينكمش ،  
فخرجت من هذه الفتحة وأمرت المصاحيين لها بالخروج كذلك ، ثم  
تقدمت الأميرة بعد تجشم المشقة ، لكن الآن ظهرت مشكلة كبيرة فى  
الظاهر وكانت عبارة عن بوابة حديدية قوية مغلقة من الجانب الثانى ، لكن  
بلغان خاتون أخرجت حجرا كان بجوار المقبض الأيمن للبوابة وما أن  
ترحزح حتى ظهرت كوة ؛ فوضعت يدها فى هذه الكوة وفتحت سلسلة  
البوابة من الداخل ، وبعد ذلك دفع الجندى الترى بمساعدة حسين المصراع  
الحديدى للمداخل بقوة ، وهكذا ظهر طريق الخروج .

وما أن خرجت بلغان خاتون من هذه البوابة حتى نظرت فى حيرة  
ودهشة حيث بدأت الحداثق والرياض المفرحة والمتعشة للروح ورأت الطيور  
المفردة وجبل الورود فصدرت عنها عبارات الإطراء بلا تصنع ، وكان

حسين ينظر إلى هذا المكان بدهشة بعد أن جال فيه ببصره وبعد أن سمع هذه الكلمة على لسان الأميرة قال: "إتنى أعلم أنها هي الفردوس الأعلى ، ولكن أنى لى أن أقول ذلك؟" .

بلغان خاتون: الآن انظر إلى حوريتك ، ومن الضروري أن تبدو لك هذه الحديقة جنة ، ولكن انظر بتمعن هل هذه هي الفردوس الأعلى الذى تزهت فيها " ، وقد ابتسمت الأميرة قليلا بعد أن قالت هذا .

حسين: تبدو من هذا المكان هي بعينها ، يا إلهى هل هذا علم أم حلم؟ انظرى هناك ، فإن الطيور تصدر نفس النغمات "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين"<sup>(١)</sup> .

بلغان خاتون: ما معناها؟

حسين: إن الله جل شأنه وعد فى القرآن الكريم أنه سيرحب بالعباد (المؤمنين) بهذه الكلمات .

نطق حسين بهذه الإجابة بلسانه ، لكن الحيرة كانت تستولى على قلبه وعقله وعينه ساعة بعد ساعة وهو ينظر إلى كل شيء مضطربا ويردد مرارا هل صعدت إلى السماء أم هبط الفردوس الأعلى إلى أسفل؟ فهى الحديقة بعينها التى تحولت وتزهت فيها مع زمرد .

بلغان خاتون: لقد وصلت إلى الفردوس الأعلى ، فاطمئن الآن وسوف أقابلك بزمرد .

(١) هكذا فى الأصل .

بعد وصول حسين إلى اللجنة وتأكدته من ذلك وسماعه لهذه الجملة من الأميرة، خرّ على قدميها وبدأ يقول: "لقد أرشدتيني إلى هذا الطريق ولم يكن عندي أمل في مساعدة الشيخ على وجودي، إحسانك هذا سوف يظل منقوشا على قلبي للأبد.

بلغان خاتون: (بعد أن أخذت بيد حسين من على الأرض) اصبر وتجلد قليلاً، إن شرط لقاء زمرد أن تمشي معي في صمت ؛ لأنك باضطرابك هذا سوف تفسد الأمر. وبعد أن قالت الأميرة هذا أخرجت رسالة زمرد وقرأتها ثم اضطجبت معها رقيقها ومضت إلى ناحية في دقائق معدودة صارت بالقرب من القصور والأكواخ.

وكان حسين واقفاً في هذا الجو المبهر ينظر بنظرات الدهشة والذهول عن النفس، وفجأة جاءت امرأة جميلة وفاتنة أمام الأميرة ثم انحنت لتقبيل قدميها.

بلغان خاتون: من أنت؟ لكن نظر حسين وقع عليها فصاح في حماس وبلا وعى: زمرد، ثم جرى وعانقها.

زمرد : (بعد أن تنحت بحسين جانبا) اصبر قليلاً فلأني أريد أن أبدى الاعتراف بالفضل أمام الأميرة.

بلغان خاتون: أنت زمرد؟ قالت ذلك وعانقت زمرد وقالت: أين إحسانى يا أختاه؟ لا شك أننى أشكرك شكرا جزيلاً فلو لم تساعدتنى لما تخلصت من الحزن والألم أبدا .

زمرد: (بعد أن ابتسمت ويقلد من الندم) لكن أيتها الأميرة لقد كان فى ذلك مصلحة شخصية .



بلغان خاتون: يجب عليك ألا تصفى ذلك بأنه مصلحة شخصية،  
إن إحسانك على هذا الشاب الغر أن تمنحيه شرف حبك وتنقذيه من هذا  
الخداع البالغ الأثر ، وبعد هذا التفتت زمرد ناحية حسين وقالت: والآن  
فقد انكشفت لك جميع الأسرار.

حسين: أى سر؟ لقد أطعت أمر الأميرة وكان ذلك بسبب نصيحتك.

بلغان خاتون: لا فإننى حتى الآن لم أقل له شيئاً ، ولم أريه  
خطابك، ولكننى عندما دخلت فى هذه الحديقة ازدادت اضطراباً وحيرة  
وفقدت للوعى، والآن اذهبى معه وقولى له ما تريد من قوله ولتبعدى هذه  
الوحشة عنه ولتصبحى إنسانة.

زمرد: وآسفاه لقد أخطأت حين فعلت ما فعلت ولمن الصعوبة بمكان  
أن أنال الطمأنينة.

بلغان خاتون: لكن من الحكمة الآن أن تأخذه إلى قصرى وتجهدى  
فى رفع حجاب الخداع من أمام عينيه ، ولكن أخبرينى أولاً ألا تشعرين  
بالخوف هنا، فطبقاً لرسالتك ، فإننى قد جئت حتى لا ينالك أى سوء.

زمرد: عليك أن تطمئنى أيتها الأميرة، ولا تفكرى فى أى أمر  
ويمكنك البقاء هنا اليوم آمنة مطمئنة حتى المساء ؛ أما ما كنت قد كتبت  
فهى احتياطات وتدابير قمت بها.

بلغان خاتون: لقد أعددت كل العدة بالرغم من أننى مترددة قليلاً  
فيما يتعلق بذلك.

زمرد: ما هى؟

الأميرة: حسنا لا بأس من هذا ، وسوف أقصه عليك فيما بعد،  
قالت هذا ثم قالت للشاب الذى بقى معها شيئا فى أذنه فرجع وبدأت فى  
سؤال زمرد: "أخبرينى من أى ناحية يمكن الهجوم على القلعة؟" .

زمرد: الآن أنت فى القلعة ، ولكن هذا الجزء قد فصل عن القلعة .  
بالرغم من أن الناس الغرباء هنا يخرجون من تحت الجدار الخارجى عن  
طريق نهر ديرنجان، لكن قصر خورشاه فى هذا الجانب من النهر .

حسين: (بعد أن انتبه) قصر خورشاه أين هو من هنا ؛ إنه فى قلعة  
الموت .

بلغان خاتون (مبتسمة) : الآن أوصليه إلى قصر ك الدرى هذا والذى  
يتشوق لرؤيته ، وسوف نتحدث فى بقية الأمور بعد العودة ؛ لأنه لو ظل  
موجودا فلن نستطيع الحديث معا .

زمرد: لا شك أن قولك صائب أيتها الأميرة فسوف أجلسه هناك ثم  
أحضر ، وبعد أن قالت هذا أمسكت بيد حسين الذى كان واقفا فى عالم  
من النسيان وسحبته وأخذته معها إلى قصرها الدرى ؛ فطرح حسين عليها  
العديد والعديد من الأسئلة طوال الطريق لكن زمرد قالت عند الإجابة  
على كل سؤال سأقول لك فيما بعد ، وبعد أن أجلسته فى القصر عادت  
إلى الأميرة وظلت واقفة تأدبا .

بلغان خاتون: نعم هذا الطريق يتجه من هنا إلى قصر خورشاه .

زمرد: نعم هو يأتى هنا فى النهار ثم ينصرف إلى حياة اللهو  
والترف ، وستصلين بسهولة مع جميع رفاقك من هذا الطريق ، وستجدين  
طريقا بمجرد أن تنزلى أولاً من الجسر الذهبى للنهر وهو الذى يؤدى

مباشرة إلى قصر حريم خورشاه ، والسدى يدخل فيه يدرك أنه وصل إلى قلعة الموت ، واليوم يوم العيد ، وفي هذا الوقت عادة لا يحضر أى شخص إلى الجنة ولا خورشاه نفسه ، ولهذا فإن جميع المقربين فى هذه المناطق وعلية القوم والرؤساء يأتون من بعيد لزيارة الإمام ، ويجتمع جمع كبير من أتباعهم فى القلعة ، ولهذا السبب استدعيتك فى ٢٧ رمضان ؛ لأنه من الضرورى أن تظل هذه الحديقة خالية من الأغيار فى هذا اليوم ، كما أن الفرصة لا تسنح لخورشاه نفسه بالمجيء هنا لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ، ولو كانت فى وقت آخر فانه سيعرف بمجيئك إلى القلعة فى الحال .

بلغان خاتون: إذن الآن لا يعرف أحد خبر مجيئنا .

زمرد: لا على الإطلاق ، أولاً ليس هنا أى رجل ولو علم الحراس استعدادوا للحرب ، وربما تهرب أى امرأة وترحل ، ولكنتى اليوم فى الصباح أغلقت بوابة جسر المدينة بالقفل والمفتاح عندى ، ولهذا لا يستطيع أحد الهروب من القلعة ، ومن حسن الحظ أنه لا يمر أحد من هنا هذه الأيام .

بلغان خاتون: هذا أمر طيب تماما ، أتقولين اليوم عيد فيينا حماس السرور وضجيجه فى القلعة لا أحد يفكر فى شيء فسوف يتم هجومنا قبل الليل ، ولكنتى يا زمرد مترددة من هذا الأمر ؛ لأن الجيش الذى دعوته لنجدتى لا يعرف حتى الآن وفى رفقتى خمسمائة جندي فقط وربما لا يكفون .

زمرد: أنا أعلم أن خمسمائة شاب يمكنهم أن يستولوا على القلعة من هنا .

بلغان خاتون: ولكنى متأكدة أن المدد سيأتى لنا بالضرورة فيجب أن تمهلينى فقط حتى المساء.

زمرد: ما معنى المساء، إنك تستطيعين أن تظلى مختفية هنا حتى الغد، فلا تفكرى فى شىء ، عليك أن تخلصى للراحة حتى يحين الوقت فأنت متعبة وقد وجدت فرصة جيدة للاسترخاء، بعد ذلك سألت الأميرة: ولكن يا زمرد ما هى الحكمة فى هذه الملابس التى اقترحتها على أنا والمرافقين لى؟

زمرد: أيتها الأميرة إن ملابسك هى نفسها ملابس الحور ، والتى يعتبرها الناس هنا ملابس الجنة ، وبسبب هذه الملابس لا يمكن لأحد أن يسيء الظن بك.

بلغان خاتون: ربما لهذا عندما رأتى حسين مرتدية هذه الملابس قال إنك تبدين مثل الحور، بعد أن سمعت زمرد هذه الجملة ضحكت كثيرا وقالت: ولكنه لم يقل لى أى شىء عن ملابسى.

بلغان خاتون: حسنا ، ولكنك لماذا اخترت مثل هذه الملابس غير المنسقة للرجال.

زمرد: لأن الرجال الذين يأتون إلى هنا هم بائعو اللبن بشكل عام، والذين يملأون الأنهار والأحواض هنا باللبن والخمر، فلو جاء أى رجل هنا مرتديا هذه الملابس فلن يفكر أحد (لن يخطر على بال أحد) أنه غريب.

بلغان خاتون: ولو لم يكن هذا وعلم أحد ما واتكشف السر قبل الموعد.

زمرد: لن يعلم أحد ؛ فأنت مقيمة هنا شوقا ، وفى يوم العيد لن تسنح الفرصة لأحد بالمجيء هنا.

بلغان خاتون: حسنا سوف أقيم هنا ، ولكن عليك أن تتزهيى فى الجنة قليلاً، وترينى كذلك الجسر والشارع حتى أعرف الطريق جيداً.

زمرد: تفضلى.

بعد هذا الاقتراح أخذ حسين والفتاتان الحسناتان فى التنزه بين القصور والحمائل وقد شاهدوا ربيع الحدائق والرياض إلى أن وصلوا عند شاطئ هذا النهر الكبير الذى عن طريقه يدخل الناس إلى الجنة بعد أن يركبوا فى سفينة ذهبية، وكان باب جسرهما الذهبى موصدا ففتحته زمرد ونزلت الفتاتان فى ساحة الوادى الثانى ، وكانت الورود ممتدة حتى الأفق البعيد ويمر من بينها شارع يتجه إلى قضاء مفتوح بعد مسافة غير بعيدة ثم يختفى فى أجمة أشجار ظليلة هائلة، وكان طريق قصر الحريم ناحية تلك الأشجار، وبعد هذه النزهة الممتعة عادت الأميرة وذهبت إلى قصر الفيروز الشاهق طبقاً لمشورة زمرد ، وظلت زمرد جالسة عندها زمناً طويلاً، وعندما رأت أن الأميرة بلغان خاتون أخرتها وتريد أن تستريح ؛ استأذنت منها وأغلقت الباب من الداخل وانصرفت ناحية قصرها.





## الباب الثامن

### إفشاء الأسرار

عاد الفتى حسين مندهشا فاقد الوعي بعد أن ترك القصر الدرى بناءً على اقتراح زمرد والأميرة وكان مضطرباً ، ينظر إلى كل شيء ويستفتى قلبه قائلاً هل هذا حقاً هو المكان الذى جاء إليه بمساعدة الإمام قائم القيامة؟ لكنه كان فى الملأ الأعلى وهذا على الأرض ولكن لماذا الشك؟ فزمرد نفسها موجودة أيضاً ولو أن هذه حديقة دنيوية فكيف جاءت هنا وقد كتبت لى بنفسها أنها فى الجنة ، وأنها تتنزه فى الفردوس الأعلى وما فائدة الكذب فى النهاية؟ بعد ذلك اتجه خارج القصر وبدأ يتطلع بغیظ وأمعن النظر فى أنحاء الحديقة وفى أرجاء القصر، فرأى كل شيء على حاله كما رآه من قبل ؛ فقد كانت جدران القصور مرصعة بنفس الجواهر التى رآها من قبل كما كانت الخمائل بنفس لونها وصورتها، وكانت الشوارع والممرات ملونة وخلابة ، وكانت العروش والتيجان الذهبية والفضية على أبهتها السابقة، وكانت الأنهار تنساب بمياهها المتموجة ؛ نعم هناك نقص فى شيء واحد فقط هو أن الأغنية لم تكن تُسمع والمطرب لم يكن موجوداً، لكنه عندما سمع آيات الترحيب القرآنية نفسها على لسان

الطيور، بدأ الشك يزول عنه، وبينما هو فى تردد إذا بطائر قد أحضر  
تفاحة نضرة طازجة فى منقاره وألقى بها أمامه، وبعد أن تنبه قال هذه  
أيضا من علامات الفردوس الأعلى؛ تلبلت أفكار حسين بشكل عجيب،  
ولم يجد حلاً لهذا اللغز، وبينما هو كذلك إذا بزمرد قد قدمت إليه بعد  
أن استأذنت من الملكة، وما أن رأى صورتها الفاتنة الجذابة حتى بدأ قلبه  
يخفق من فرط العاطفة وسيطرت عواطف الحب عليه تدريجيا فخرج  
وأسرع لاستقبالها وعانق كلاهما الآخر.

حسين: يا حبيبتي زمرد بالله عليك أخبريني فى أى عالم أكون؟ وما  
هذا الذى أراه؟

زمرد: (مبتسمة) أنت ترى نفس الذى رأته ذات مرة.

حسين: هذا يعنى أننى فى الملأ الأعلى.

زمرد: حقا هو ما تراه بقضه وقضيضه، وبناء على هذا يجب أن  
نطلق على هذا المكان الملأ الأعلى.

حسين: تقولين يجب؟ فهل هذا ليس حقيقيا؟

زمرد: عليك أن تستفتى قلبك هل هذا المكان على الأرض أم فى  
السماء؟

حسين: هل أنت على الأرض.

زمرد: اعتبرنى على الأرض.

حسين: ولكن كيف لى أفسر وجود قبرك وكيفية وصول رسائلك  
حتى هنا، والشئ الذى أفكر فيه من بين كل تلك الأمور هو تأكيد هذا

الأمر ؛ أى أن هناك عالماً آخر والسعادة والسرور هناك أسمى من السعادة الدنيوية .

وبينما هما يتحدثان دخلا القصر وقالت زمرد : لا ، السعادة هنا بلا شك أسمى من جميع مباهج الدنيا ، ولكن عليك ألا تفهم أنك خرجت من الدنيا وجئت إلى مكان آخر .

حسين : وماذا عن كل الأحداث التى مرت؟ ما هو رأيك عنها؟

زمرد : كنت مضطرة إليها ، وكنت بلا حيلة ، وما حدث كان نتيجة سذاجتك .

حسين : أنا لم أفهم معنى كلامك .

زمرد : لا تضطرب فسوف أشرح لك كل شيء ، ولكن للأسف فكلما فهمت أكثر كلما اضطربت أكثر وقد لا تتمالك نفسك .

حسين : إننى الآن يا زمرد أشك كذلك فى شكلك وصورتك؛ فهل أنت زمرد نفسها التى كانت قد أتت معى من قبل؟

ضحكت زمرد بمجرد أن سمعت حسين ينطق بهذا السؤال الساذج ، ولكنها تماسكت ونظرت إليه بنظرات ذات دلالة وبطريقة تحمل معان جذابة ثم قالت : " لا أنا واحدة أخرى " .

لم يسمع حسين مثل هذه الإجابة من قبل ، وأمسك بيد زمرد قائلاً بعد أن نظر إليها بإمعان ، وهل هذا هو نفس الجسم النوراني أم أنه هيكلمادى مثل جسمى؟

زمرد : تكلم بالعقل ، فأنت فاقد للوعى تماماً ، وقد تحطم لغز كبير جداً من أمام عينيك ، ولهذا فإن حواسك لا يقر لها قرار من أثر ذلك؛

فعد إلى صوابك قليلاً ، وتحدث حديث العقلاء حتى أقص عليك القصة كاملة والسر كله .

حسين: حبيبتي زمرد، قصي علىّ بسرعة، فقد جعلني جهلي وعدم درايتي مجنوناً .

زمرد: اسمع، إن الحور الذين رأيناهم أنا وأنت في ذلك الوادي، ليسوا حورا، بل كانوا حور تلك الجنة المزيفة.

حسين: (بعد أن أسكتته الدهشة) جنة مزيفة، أهذه لم تكن الجنة التي وعد بها المؤمنون؟

زمرد: اصبر قليلاً، نعم أنت كنت فاقدا الوعي هناك، وأخذوني إلى هنا، أنا لم أمت ولم أستشهد، ولكنهم أحدثوا تغييرا طفيفا على قبر أخي قبل عودتهم لكي تتأكد من موتي، وكان الوقت (ليلاً) وبعد أن استفسروا مني حفروا اسمي بجانب اسم أخي، وكان الهدف من ذلك فقط هو أن تياس وترحل بعد أن تتخلي عن التفكير فيّ وتحكي لكل الذين تلتقي بهم عن الحالة الخطيرة لهذا الوادي ، وعندئذ يستقر الخوف من الحور في قلب كل شخص.

حسين: إذن كنت على قيد الحياة! قال هذا وبدأ ينظر إلى زمرد بإمعان من رأسها حتى أخمص قدميها.

زمرد: (بغضب وثورة) لا، لقد أصبحت جنية ، لم يجب حسين عليها قليلاً، وتوقفت زمرد برهة ثم تابعت حديثها: "لقد خدعت وبعد حضوري هنا ضمونني إلى أولئك النساء اللاتي يطلق عليهن هنا الحور ثم اتضح لي بعد عدة أيام من البحث والتحقيق أنك تجلس على قبري



وأصبحت مجاورا له ولا تفكر فى الرحيل ، وفى النهاية فكروا هنا كيف يجعلونك تترك هذا الوادى، فرأى أكثرهم أنه يجب قتلك ، ولكن بالصدفة كانت لدى حيلة مؤثرة ونال اقتراحى القبول وهو أن تُنصح بالعودة لموطنك تاركًا الوادى بحيث لا يبدو لأحد صلة بذلك ولا يحدث هناك شك فى أمرنا ، ويكون فراقا أبديًا، وكانت رسالتى الأولى نتيجة لهذا الاقتراح فطلبت منك تنفيذ وصيتى وقد أملوا على هذه الرسالة، بعد أن استفسروا منى عن هذه المعلومات وأعد مسودة بمضمونها ، ولكنى يا حسين كنت أبكى بكاء صامتا أثناء كتابة هذا الخطاب ؛ لأننى كنت أعلم أننى أعد بنفسى العدة لفراقك فراقًا أبديًا ، حسنا، لقد أرسل هذا الخطاب إليك لكن بعد (بضعة أيام) عندما استفسروا عنك اتضح لهم أنك جالس فى مكانك لم تغير شيئا من إرادتك.

حسين: لا شك فى ذلك؛ فأنا أموت ولا أبارح ذلك المكان.

زمرد: وعندما اتضح ذلك بدأ هؤلاء الناس يفكرون مرة أخرى، وكنت أردد بينى وبين نفسى: ماذا أفعل الآن؟ بعد أن فشلت تلك الحيلة، عندها لم تخطر على بالى حيلة أخرى، وخشيت أن يغضبوا ومن ثم يدبرون قتلك، وبالصداقة جاء خبر فى تلك الأيام أن الإمام نجم الدين النيسابورى كان يعظ ضد الباطنية ، وكانوا يدبرون الخطط لكى يقتلوه على يد أحد الفدائيين، ومن سوء حظى أو جزاء عملى أننى قلت لهم إنه عمك وأستاذك ومرشدك. وما إن وصل هذا الخبر إلى مسامع الملك خورشاه الذى كان هناك حتى فكر فى أنه من الأفضل لو يقتل هذا الإمام العظيم على يدك، وهكذا سوف يتضح كم يلقي مذهب الباطنية بأثره العميق على القلوب للدرجة أن الإنسان لا يكثر بأقاربه وأصدقائه وحتى

أستاذه ومرشده، إن قتله بخنجرك يمكن أن يؤكد تلك الأمور وهي أن ابن الأخ يقتل العم، والتلميذ يقتل الأستاذ، والمريد يقتل المرشد بلا تردد ويعتبر هذا صواباً.

وما أن قالت زمرد هذا حتى زفر حسين آهة باردة وبدأ يقول بعين دامعة: "وآسفاه! كم من ظلم ومن ذنب ارتكبته في حق المرشد العطوف والعارف بالله الكبير، لقد خضبت يدي بدماء مثل هذا المرشد الزاهد والمشفق الكبير والإمام المعصوم شوقاً إليك يا زمرد وبسبب نصيحتك وإلا ما تجمرات على مثل هذا الظلم العظيم.

زمرد: يا حسين لقد قلت لك من قبل وأقول لك الآن أيضاً لا تشركنى فى هذا الذنب إن فرائصى ترتعد عندما يأتى ذكره، ولكن حسناً، دع عنك هذا الحديث فلا يستطيع أحد أن يمنع المواقع، وأنا إن كنت قد هياتك لهذا العمل فقد كنت بلا حول ولا قوة، وأنت إن كنت قد استعددت له فقد كنت فى غير وعيك.

حسين: (بعد أن ضرب صدره بقوة) لكن وآسفاه يا زمرد فإن الله لن يقبل هذا العذر، وأرى حقاً - سواء كنت فى وعى أو بدون وعى - أننى اقترفت ذنباً عظيماً، ولكن الشوق إليك دفعنى مراراً إلى الاستعداد..

زمرد: (بعد أن قطعت الحديث من الاضطراب) يا لهف نفسى...! بالله عليك يا حسين لا تأخذنى معك (وبعد أن ذرفت الدموع) قالت كنت مضطرة إلى ما فعلت كنت بلا حول ولا قوة وللأسف فإننى كنت نفسى أسمع صوت اللعنة من قلبى والآن أسمع نفس الشئ منك أيضاً.

وبعد أن قالت زمرد هذا بدأت فى العويل ويعفوية قام حسين بسرعة وجفف دموعها وقال: "يا زمردا لا شك أنك بلا ذنب ولو أننى اطلعت على قلبك لصفحت عنك فأخبرينى ماذا حدث بعد ذلك؟

زمرد: (بعد أن جففت دموعها بالمتدليل) ثم وجدت الخطاب الثانى والذى نصحتك فيه بالتعبد لمدة أربعين يوما فى جب مدينة الخليل وغار جبل الجودى ثم الذهاب إلى حلب للقاء الشيخ على وجودى ، وهكذا أرسلت هذا الخطاب أيضا فقد سلمته بعد أن كتبت مسودته بيدي ثم وضعوه على قبرى.

حسين: لكن إذا كان الأمر إلى هذا الحد وقتل الإمام نجم الدين النيسابورى، فلماذا كل هذه الحيرة ؟ ولماذا ظهرت كل هذه الصعوبات عديمة الفائدة فى طريقى؟

زمرد: لأنك أبديت فى شوقك الاضطراب ونفاد الصبر، فلو أنك انتظرت عاما دون أن تتعبد أربعين يوما وبدون أن تكون عند على وجودى لما تهيأت لارتكاب مثل هذه الذنوب العظيمة مطلقا.

حسين: لقد كان فى قلبى شوق إليك بحيث إننى كنت مستعدا لتنفيذ أى أمر تطليينه.

زمرد: نعم لم يكن معلوما لهم أنك أحرق إلى هذا الحد ، وأنت ضعيف إلى هذا القدر.

حسين: ولكن كيف أقول يا زمردا أنا لم أصدق كلامك، ولقد رأيت بأم رأسي مثل هذه الأمور وهى أسمى من العقل البشري إلى هذا القدر بحيث لا أتجربا بأى شكل على إنكار زهد أولئك الناس. وقد مات

الحماران اللذان امتطيتهما حتى هنا، ولكتني وجدت حمارا جديدا قويا مربوطا في تلك الشجرة ، وكان جميلاً قويا سريعا إلى حد كبير ، وكنت أعتبره في ذلك الوقت هبة من عند الله جاء لى بخاصة حتى أمتطيه .

زمرد: لقد أرسل ذلك الحمار من هنا في ذلك الوقت الذى وضع على قبرى خطاب باسمك ، وعندئذ وبعد أن أرسل ذلك الحمار من طريق آخر علقوه بهذه الشجرة .

سمع حسين هذا الجواب بدهشة وقال "عجبا" ولكن شكوكي لم تنته بعد، وفى النهاية كيف علم الشيخ وجودى بقصتى كاملة وهو على مسافة ألف ميل من هنا.

زمرد: لقد أخبر بجميع الأحداث مع ذهابك وقد كتبوا له أنك تريد الإمام نجم الدين وتلميذه وابن أخيه ، وأنت قممت بقتله وقبل الوصول هناك سوف تتعبد أربعين يوما فى جب مدينة الخليل وغار جبل الجودى، وعلم كل هذه الأمور بوسيلة أخرى، ولكنه جعلك تفتن به بعد أن قص عليك من أمر الكرامات وعلم الغيب.

كان حسين فى غاية الدهشة والعجب، وغرق فى بحر الحيرة ، ولم يجد لها مفرا بأى شكل من الأشكال، بينما صمتت زمرد بعد أن أكملت كلامها، انغمس حسين فى التفكير وفى النهاية رفع عينيه من فرط دهشته وحيرته ونظر وقال: يا زمردا أخبرينى بصدق هل كل هذه الأمور التى تقولينها حقيقة أم مازلت تخدعيننى؟ إن كل حياتى الماضية تبدو كحلم وأنا أشك فى لقائى معك الآن وأعتبر كل هذه الأحاديث حلما، ثم جميع الأحداث التى حدثت بعد فراقى عنك، فهل أنا فى الحقيقة بهذه الدرجة

من الغباء حتى أبتلى بمثل ذلك الخداع والمكر العظيم؛ ولكن يا زمرد إذا كانت كل هذه الأمور مجرد تخمين وسوء ظن فإن "على وجودي" يعلم تلك القصة التي أخبرتيني بها، فكيف علم أنه ألقى القبض على على يد مجاوري مدينة الخليل وهربت بعد أن تركتهم بمجىء الباطنية المفاجيء.

زمرد: أنت يا حسين في الحقيقة مغفل كبير، وأنا أفهم السبب وأنت لا تستطيع أن تفهم، ولكنك في الحقيقة مضطرب، وقد تأثر قلبك وعقلك بعدة أمور إلى هذا الحد بحيث بات من الصعب عليك إخراج تلك الأمور من عقلك، ألا تعلم أن الباطنية يتشرون في كل أنحاء الدنيا، وتمتد شبك مؤامراتهم في كل قرية وفي كل بلدة صغيرة، لقد بقيت عاما مع وجودي، ولم يكن من الممكن ألا يعرف حكايتك.

حسين: نعم، لقد رأيت هذا بلا شك، فالمؤمنون به منتشرون في جميع أنحاء العالم، ويأتون أيضا لزيارته مرة واحدة كل سنة، وقد رأيت أن هؤلاء الناس يلتقون معه في الليل فقط وبشكل سري ثم ينصرفون.

زمرد: تستطيع أن تترك من هذا كم يوجد من وسائل وطرق عديدة لتوصيل الأخبار إلى مسامعه، ففي الوقت الذي تركت فيه هذا الوادي ومنذ ذلك الحين وحتى وصولك في النهاية إلى حلب وأنت تحت المراقبة في كل منزل وفي كل مكان، وكسنت أخبارك اليومية تصل إلى على وجودي، وليس هذا قاصرا عليك فحسب بل إن الشخص الذي يقع في قبضة الباطنية يوضع تحت المراقبة هكذا، ومن ثم فأى عجب في هذا الأمر لو علم قصة أسرك في مدينة الخليل.

حسين: أنا لست مندهشا من هذا، وإنما الدهشة فيما كان يقوله الشيخ فيإشارة منه هجم الباطنية وحرروني من الأسر.



زمرد: ليس فى ذلك مجال للدهشة ، ولا شك أن وجودى أمر أنصاره  
بالهجوم ليخلصك منهم .

حسين: كيف أمرهم؟ وما بين وصول خبر أسرى والأمر بالهجوم  
فترة زمنية قصيرة ؛ فقد وقعت الواقعة هناك فى الليلة التى كنت خارجا  
فيها وقيل خروجى قتل حاكم الخليل على يد الباطنية ومن ثم وقعت فى  
الأسر ، ولم يكن قد انقضى يوم واحد بأكمله حتى دخلت المدينة  
مجموعة كبيرة من عنده ، فكيف يمكن إنجاز كل تلك الأعمال بهذه  
السرعة .

زمرد: (بعد قليل من التأمل) أى صعوبة فى هذا؟ وقد علم الباطنية  
فى أى يوم نزلت فيه إلى الحب وفى أى يوم ستخرج ، ومن الضرورى  
أنك ستواجه هذه الصعوبات ، وفى ذلك الوقت أخبروا الشيخ على  
وجودى بأن يأمر بالمساعدة وكانوا يحسبون اليوم المحدد وكان اليوم  
الأربعون بالضبط هو ذلك اليوم الذى كنت خارجا فيه ' فقتلوا حاكم  
المدينة حتى يفكر الناس فى شىء آخر وتخرج أنت فى صمت وتهرب ،  
ولكن عندما وصلتهم الأخبار بأنه ليس هناك فائدة تذكر من قتل حاكم  
المدينة وأنت أسرت على يد المجاورين عندئذ قاموا بالهجوم وأحدثوا  
الفوضى والاضطراب فى المدينة حتى تتحرر وتسنع لك الفرصة للهروب .

حسين: (بعد أن زفر آهة باردة بقوة) وآسفاه يا زمرد أكان كل هذا  
كذبا ؟ كيف أقول إن الشيخ على وجودى شخص مكار إلى هذا الحد؟ يا  
زمرد إن كراماته وعلمه للغيب علاوة على علمه وفضله كما أن كل كلمة  
من كلماته تفوح منها وحدة رموز المعرفة والزهد ، ولكنى لا أجرو على  
سوء الظن به ، فعالم وفاضل كبير إلى هذا الحد ومتوقد الذكاء كذلك

وبعيد النظر فى نفس الوقت ويكون مخادعا كبيرا إلى هذا الحد؟ لقد بقيت فى صحبة الإمام نجم الدين ولكن يا حبيبتى زمرد أقول حقا إن الأمر الذى نصحنى فيه الشيخ على وجودى قد أزال الشكوك من قلبى بسهولة لا تعادل مثقال ذرة عند الإمام نجم الدين .

زمرد: لا شك ربما يكون كذلك ، ولكن الأمر هو أن الإمام نجم الدين كان يقوله ببساطة ما يرد على قلبه ويلا تكلف ؛ إنه لم يحاول مطلقا التأثير فىنا وفى تكويننا ، بينما كل نقطة عند الشيخ على وجودى هادفة للتأثير على القلب ، وكل فقرة من فقراته كلها رياء ، وهذا هو الفرق بين الصدق والكذب ، ولهذا السبب دائما كانت القاعدة هى أن أحاديث الخداع أكثر جاذبية وأكثر تأثيرا ورسوخا فى القلب من أحاديث المرء الصادقة البسيطة ومن المؤكد أنك بعد أن التقيت بالشيخ على وجودى اكتسبت درسا عظيما جدا فى الزهد .

حسين: (بعد أن ضرب على صدره بقوة): نعم تعلمت درسا جيدا ، لكن حسنا ؛ فحين خضعت لتأثير السحر صرت أنا أحرق إنسان فى الدنيا وأكثر الناس كفرا وظلما ، وللأسف سوف أئدم طوال العمر ولكن يا زمرد ماذا أقول؟ فكل هذه الأمور حتى الآن تبدو حلما وصورة طور معنى وقصره النورانى لا تزال تدور أمام عيني حتى الآن .

زمرد: نعم هو أكبر عضو فى هذا المذهب - وقد التقى ملك آلوت حتى ذلك الوقت بشخصين فقط ، ولم يكن من نصيب هذا المذهب الباطنى نقيب أو داعية أفضل من طور معنى وعلى وجودى والذى يذكر هنا باسم الوادى الأيمن بالمؤامرات الناجحة لكليهما قتل مئات الأمراء والوزراء والعلماء والفضلاء ، ولأنهما يعلمان حقيقة الجنة والملا الأعلى

جيذا ، لهذا يخدعون الناس ، يضللونهم بالحديث عن الجنة ، وكان طور معنى يلتقى بالناس كذلك ، ولكن الوادى الأيمن أصاب هذه الدنيا بالخراب الكثير وربما لم يلحق أحد بالدين ضررا مثل ما ألحق هذا الشخص .

حسين : فهل قصر طور معنى الذى تحت الأرض قد شيد لخداع الناس أيضا وليس به أى معجزة طبيعية مثل الجنة .

زمرد : (مبتسمة) : هل لديك شك الآن؟

حسين : ليس هناك شك يا حبيبتى زمرد ، فكل أحاديثك صادقة ، ولكن هل تخبرينى كيف تمر تلك الحقائق هكذا أمام الأعين ، وكيف استمعت تلك الأذان إلى الكلمات الخادعة ، حسنا أخبرينى كيف وصلت هنا من الغار بينما قصر طور معنى فى أصفهان؟

زمرد : لأن اسم آلموت معروف إلى حد ما وقد أثار بعض الناس ؛ لذا فإن الناس الذين يفكرون هكذا (يحضرون) إلى هنا عن طريق أصفهان وطور معنى ، وتنفذ هذه الحيلة (لإخفاء) كل الأسرار حيث يفقدهم طور معنى الوعى ويركبهم على قطيع من الإبل ويوصلهم إلى آلموت عن طريق جماعة من الجمالين الموثوق بهم والحافظين للأسرار ، وعندما يعود الوعى لهؤلاء الناس فى أى موضع أو مسافة ليلاً فإنهم يسقونهم ويطعمونهم شيئا ما ثم يسيرون بعد أن يفقدوا الوعى .

حسين : (بعد أن انتبه) أنا بنفسي أحيانا كنت فى غابة وأحيانا فى الجبال ، فكأنتى هكذا سرت من أصفهان قاطعا المسافة إلى آلموت .

زمرد : وماذا؟

حسين: (بدهشة) وكيف يُفقد هؤلاء الناس الإنسان بلا وعى؟

• زمرد: عن طريق أوراق الحشيش والتي يمزجونها أحياناً فى الحلوى وفى الطعام ، وأحياناً يسقونها لهم فى عصير.

حسين: (بلا صبر) إذن ، كان كأس الشراب الذى سقانى إياه طور معنى حشيشا.

زمرد: بلا شك.

حسين: وآسفاه لقد تعاطيت المسكرات أيضاً، وليس من ذنب إلا واقترفته، لا تغضبى يا زمرد؛ لأن الأمل فى وصالك فقط كان قد أعمانى وإلا لما كنت مجنوناً وبلا عقل إلى هذا الحد وحكاية حبك فى هذه العلامة التى نتجت عن تقبيلك إياى فى جبهتى فكانت تلك القبلية أحب عندى من روحى وقلبى، وكنت أريد أن أحمل علامة القبلية هذه لأسلى بها قلبى ، ولكن لا يمكن لهذه الشفاء المشتاقة أن تصل إلى هناك بأى طريقة، وكانت زمرد قد اعتراها قليل من الخجل من حديث حسين حتى ظلت مطرقة العينين لفترة من الوقت بعد أن لاذت بالصمت ، وبعد عدة دقائق تغلبت على عواطف الخجل وقالت: يا حسين أنا لم أقبل أى شخص ولا صارت قبلتى علامة على جسم أحد، وهل أنا بلا حياة إلى هذا الحد.

حسين : (بعد أن قطع الحديث) حسناً، لعل أحداً آخر سواك قبلنى !! فأننا لم يمتد فمى لأحد.

زمرد : (مطرقة النظرات) لا تحدثنى الآن فى أحاديث مخجلة، فقد خُدعت فلا هذه علامة قبلية ولا رمزاً للحب بل هى العلامة التى تحدث نتيجة الكى بالنار على جباه من يأتون بهم إلى هذه الجنة.

حسين : كنت تذكرت إذا كُويت .

زمرد: إن هذا الكى ربما تم بعد فقد الوعي ، وعندما كنت تسير فى ذلك الوقت من الموت إلى أصفهان.

حسين : (بعد أن ضرب صدره بقوة) وآسفاه ذهبت لقطف الورد فأحضرت الشوك.

وظل حسين بعد هذا لفترة يتأسف من صميم قلبه على حاله ثم فزع مرة واحدة قائلاً: "زمرد للأسف أنا المخدوع الأكبر ؛ فلماذا لم تشيرى علىّ فى ذلك الوقت عندما أحضرت عندك، وكنت آنذاك تذكريننى كذلك أن كل هذه الأشياء هى الملاء الأعلى".

اغرورقت عينا زمرد بعد أن سمعت هذا وقالت بصوت متألم: هكذا كتب فى حظى أن أخدعك.

بدأ قلب حسين كأنه أصيب بعد أن رأى زمرد دامعة حزينة ، وبشكل تلقائى جفف دموع محبوبته الوفية ، وبدأ يقول: يا زمرد لم أكن أتخيل أن قلبك سوف يُصدم من هذا السؤال، حسنا أنا ماضٍ وأعدك بالألا أسألك مثل هذا الكلام مطلقاً.

زمرد : لقد رششت الملح على الجرح ونكأته ؛ إنك فى ذلك الوقت سألت عن كل شىء ولم تسأل عن هذا، لقد تحررت ولم تدر ماذا دار فى رأس سيئة الحظ، لقد كنت حراً طليقاً تتجول فى الدنيا وكنت أنا فى السجن للأسف وماذا أقول وأى عذاب ابتليت به؟ لم يكن بإرادتى أن أبوح بالسر لأحد ولو تلميحا، نطقتم زمرد بهذه العبارة ثم انخرطت فى البكاء والعويل.



حسين : (بعد أن عانقها وجفف دموعها) لا ريب أنها غلطت وهى  
أننى نسيت السؤال عن هذه الأمور، لكننى أقول بصدق إننى فى ذلك  
الوقت لم أسأل عن أى أمر مدبر، فالذى سألت عنه لم أقصد سؤالك عنه  
نتيجة غيابى بل كنت فى دهشة وبلا وعى؛ فاصفح عني لو كان قد  
حدث تقصير عن وعى.

رمرد : حسنا، إن كنت قد أثرت هذه القصة فاستمع، هذه الحديقة  
فى عقيدة الباطنية والفدائيين هى موطن السرور، هى الملأ الأعلى وجنة  
الفردوس، والحقيقة أن ملوك آلوت قد جعلوا منها موطناً ومثلاً للمتعة  
وقد تضاعف بهاؤها ورونقها يوماً بعد يوم نتيجة للجهد المتواصل طيلة  
مائة وخمسين سنة، ولأنها كانت تستخدم فى عمل دينى لهذا اجتهد فى  
إعداد كل شئ بحيث تكفى روعته وجاذبيته فى مضاعفة عزيمة الإنسان  
وهمته ومحو دهشته، فهذا القصر الذى تراه ويبدو لك أنه من الفضة  
والذهب واللؤلؤ والمرجان هو فقط من الذهب والفضة وقد اصطبغ بلون  
الجواهر ونفس الشئ بالنسبة للأجر والطوب الذى شيدوا منه القصور فى  
كل مكان، ولا شك أنه تم شق الأنهار بصعوبة بالغة، ولكن جريان  
الأنهار والشلالات من الجبال كان يتم بشكل طيعى، وكذلك هذا النهر  
العظيم الذى فى وسط هذه الحديقة والذى شُيد عليه جسر ذهبى هو نفسه  
نهر ديرلجان الذى قضيت فترات من الزمن تبكى وتتوح على شاطئه.

حسين : (بدهشة) هو نفس النهر؟

رمرد: نفسه، هذا النهر يأتى إلى هنا من القصر الملكى، ومن هنا  
حيث تكون مثل هذه الشعاب الجبلية التى من المستحيل المرور منها يصل  
هذا الوادى البهيج.

حسين: كيف كان هذا النور يا زمرد والذي أخبرتنى بأنه النور الإلهي.

زمرد: هذه الأنوار كانت حول الجبال وفي الليل ينبعث منها نور قوى وساطع مثل نور الأقمار بعد أن ينعكس على المرايا والزجاج فيقوى و يسطع أكثر، وكان هذا النور يعد فقط في تلك الأوقات عندما يؤتى بشخص ما إلى هنا لتجنيدته ، و في ذلك الوقت يؤمر الجميع عندما يتلأأ ذلك النور بقوه أن يصيحوا قائلين: "هذا ما وعدنى ربي"<sup>(١)</sup> ، وأن تملأ أحواض الخمر واللين أيضا بمناسبة هذه الزيارة ويعرض بهذه المناسبة أيضا جلوس الناس على الأسرة وسقاية الغلمان للخمر وتزهمهم في سعادة خالصة وطمأنينة.

حسين: و ماذا عن تغريد الطيور وقطفها للفاكهة وإحضارها.

زمرد: و أى أمر هام فى هذا؟ تترك عدة طيور أليفة مروضة دربت على إحضار الفاكهة بدون إزعاج ووضعها أمام الناس ثم تطير عائدة، وهكذا الطيور هنا تحفظ هذه الآية من القرآن الكريم "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين"<sup>(٢)</sup> ويرددونها فى كل وقت.

حسين: خدعة كبرى! حسنا هل يستطيع أن يفهم أحد؟ يا زمرد لقد نسيت قص حكايتك بعد أن أخبرتيني بسر الجنة.

زمرد: هل تسال عن مصيبتى؟ لقد تحملت جميع تلك الصعاب ولو حدث شيء لكنت تمرغت الآن فى التراب.

(١) مكذا فى الأصل .

(٢) مكذا فى الأصل .

حسين: لا يا حبيبتي زمرد لا تخرجي مثل هذا الكلام من فمك  
فيصدم قلبي، ألف شكر لله فقد انقشعت هذه المصائب، وها نحن يعانق  
أحدنا الآخر ثانية.

زمرد: كنت قد أحضرت في الأصل لـجـعلـى حورية، فخورشاه  
ورفاقه من أهل البلاط وجميع الحـوريات هنا يبحثون دائما عن أى امرأة  
جميلة ليضاعفوا بجمالها وحسنها الفتنة والجاذبية فى الجنة، فعندما  
جئت بين يدي خورشاه ولسوء حظي تأكد أننى جميلة أكثر من العادة  
واتفوق على جميع حوريات الجنة.

وأراد أن يجعلنى لنفسه بشكل خاص، ولكتنى بعد سماع هذا الخبر  
صرت مضطربة جدا، وفى النهاية قررت بينى وبين نفسي أن أنتحر و لا  
أقبل هذه المهانة، فى البداية أخذوا يغروننى بكل الطرق، فقبل لى إننى  
سوف أضع التاج على رأسى بعد أن أكون زوجته، وأننى سوف أصبح  
ملكة عظيمة الجاه، ولكتنى لم أوافق بأى حال، وعندما يشسوا من  
إرضائى، استعدوا لقهرى وبدأوا فى إيذائى وإيلامى بكافة الوسائل حتى  
انقضى على هذه الحال شهران ونصف شهر كنت أنتظر خلالها الموت فى  
كل ساعة.

بعد أن سمع حسين معاناة ووفاء محبوبته الوفية فاضت عينيه بالدموع  
و تأوه آهة باردة، و قال: "لقد تحملت يا زمرد معاناة عظيمة من  
أجلى".

زمرد: لم تكن هذه معاناة، بل كنت أعتبرها راحة وطمأنينة، ولهذا  
نجوت من هتك العرض والمهانة، وكان خورشاه قد عزم على قتلى غاضبا

بسبب فشله فى إقناعى ، لكن أحد الأصدقاء مصادفة أشار عليه بأن البطش والظلم والجور لا يولد الحب فى قلب الإنسان ثم قال له : وربما من الأفضل أن تترك رمرد لعدة أيام فى أحد قصور الجنة ، وعندما تعيش هناك فترة من الزمن فى راحة وسعادة فإنها سوف تنسى الحزن والغم ، وسوف تستعد هى بنفسها لأن تصبح معشوقتك بعد أن تغلب عليها فى النهاية عواطف الشباب وقد لاقى هذا رأى استحسانا لديه ، وعندئذ أخذت من قصره وأودعت فى هذا القصر الدرى وفى مثل هذا المكان الحصين لم يكن خورشاه يتخيل أن تصل إليه حتى الطيور الجارحة، وكان من المستحيل على أى شخص أن يدخله وكان الفدائي الذى يحضرونه من أجل تدريبه يظل تحت الملاحظة والمراقبة فى كل الأوقات ويجتهدون حتى لا أستطيع أن أتقى بهم أو أتحدث معهم ولو حديثا مقتضبا، وعندما التقيت بك كانت تلك الأمور فى ذلك الوقت تحت المراقبة الكاملة ، ولم يكن هناك أى مجال سوى تسليتك وإغرائك ، واستطعت أن أكون معك بلا تكلف وكان كل شئ بالنسبة لى سهل ، وكنت أقضى الليل والنهار فى بهجة وسعادة ، وطبقا لتوجيه خورشاه فإن جميع الحور هنا صرن جوارى لى وكن يجتهدن فى تسليتى كل وقت ، وكانت يا حسين كل أسباب المتعة موجودة ولكن قلبى لم يهدأ بأى حال من الأحوال، وظلت صورتك أمام عيني كل ساعة وأفكر فى حيل مختلفة لكى أهرب من هنا بأى طريقة ، وكانوا يتشاورون فى تلك الأيام فى أمر قتلى وكانت دمائى تتجمد كل يوم ، وذات ليلة رأيت فى الحلم كأننى أقف فى ميدان قفر وفجأة ظهرت أمامى والتقيت بى وأخذنا نجرى على غير هدى ، وفجأة خرج شخص ما كان مختبئا فى شجرة وضربك بسكين فى صدرك فجرحت وأمسكت بصدرك ووقفت ، وكنت أبكى وأصرخ بلا توقف،

وأجرى نحوك ، وفى هذه الحالة من الصراخ والعيويل فتحت عيني ،  
والآن أنى لى أن أستقر وقد قضيت بقية الليل فى بكاء مستمر وجلست فى  
الصباح مضطربة حيرانة حتى قامت إحدى الحوريات هنا تسمى مرجان  
بالتسرية عنى إلى حد ما ، وهى التى كانت تأتى عندى أحيانا لتتجاذب  
أطراف الحديث سويا ، وبعد الحديث هنا وهناك قالت : " يا زمرد أتريدى  
أن تسمى شيئا آخر ، إن ذلك الشاب حسين الذى كان معك يجلس فى  
الوادي حتى الآن مجاورا لقبرك " .

وكان يجب على التذرع بالصبر والتحمل فى هذه المناسبة ،  
ولكنى لم أطق صبرا وأخذت آهة باردة بعفوية وقلت : حسين حتى الآن  
هناك ؟

مرجان : نعم ، ولكن بات من المؤكد أنهم سيخلون المكان منه فى  
يوم أو يومين فاضطربت وتساءلت : لماذا ؟

مرجان : لأننا سوف نتنزه فى هذا المكان ؟ ولهذا السبب يريد خورشاه  
ألا يظل هناك مثل ذلك الشخص الذى يعرف سرنا ، وكان يظن فى البداية  
بالنسبة لصديقك الشاب أنه سوف يمضى إلى حال سبيله بعد أن دب اليأس  
فى قلبه تماما وقد بنى قبرك لهذا السبب وحفر اسمك على الحجر حتى  
يتأكد حسين من موتك ويرجع ويمنع الناس من المجيء هنا ، ولكن فشلت  
هذه الحيلة ، لهذا اضطر الآن إلى تنفيذ هذا الاقتراح ، وهكذا سوف ينجز  
هذا العمل .

يا حسين أنا لا أستطيع أن أخبرك كيف كان حال قلبى بمجرد أن سمعت هذه  
الجملة ، اضطربت وقلت بعفوية كاملة : فليقتلنى أنا أيضا .

وبعد أن رأت مرجان دهشتي وفقداني للوعي قالت: لو تريدان إنقاذه فعليك بعمل شيء وهو أن تذهبي أمام خورشاه بنفسك وتشفعي له ولم أوافق مطلقا على مثل هذا الأمر ، لكنني كنت أفكر فقط في أن أنقذ روحك طوعا أو كرها فلذهبت وعندما ابتسم أردت الكلام فقلت ببكاء وتضرع بالله عليك لا تودي بحياة هذا الشاب ، فاستمع إلى طلبتي ونظر إلى بعين الغضب بعد أن تفحصني مليا بلامحه الجامدة القوية ؛ لأن علاقتي بك قد صدمت قلبه صدمة كبيرة و بدأ السؤال بصوت جد غضبان: ماذا هو بالنسبة لك؟

فقلت : هو حبيبي ، تربيت معه و درست معه بعد أن كبرت وعقدنا النية على الزواج ، ولهذا السبب أنا وحيدة ؛ فهو مالك للنفس والنفيس .

خورشاه: ألم تتزوجيه حتى الآن؟

نظرت إلى أسفل وأجبت "لا" .

بعد أن سمع خورشاه هذه الإجابة ، نظر إلى بعيني فاحصة وأساء الظن بي وسأل: ولكنك تقيمين معه مثل هذه العلاقات قبل الزواج ، تسافرين معه وتركين الأهل والمنزل ، ومن هنا فهذا دليل على أن شرفك قد تلوث .

أصابني الخجل الشديد عند سماع كلامه ولم تخرج من لساني أي كلمة ، ولكنني فقط من أجل إنقاذ روحي وروحك تجرأت واستمرأت قلة الحياء وأجيبته: لقد خرجت أولا لقراءة الفاتحة على قبر أخي ، وثانيا من أجل الحج ، حقا لا شك كنت أريد أن أعقد النكاح بمجرد وصولي قزوين .



خورشاه: حسنا، تؤدين مراسم الزواج فى قزوين ، ولكنكما فى  
الغالب أقمتما أولاً فيما بينكما علاقات الزوج والزوجة.

فتملكنى الخجل على هذا السؤال وتصيب جسمى عرقاً وأطرقت  
وأغمضت عينى خجلاً وأجبت قائلة: "لا لم يعتر شرفى نقص ، وبمجرد  
أن سمع خورشاه هذا أخذ يقول هائجا بعفوية، اغربى عن وجهى.

فشكرا لله على أن جسمى الطاهر الرقيق لم تمسه يد بشر حتى  
الآن.

كنت قرية منه فأخذ يعانقنى ولكنى كففته بكلتا يدي ثم، سقطت  
على الأرض عند أقدامه وبدأت أقول: "لا تقضى على هذا الشاب وإلا  
سوف أموت" ، ظل خورشاه يفكر لوقت طويل ثم رفعنى  
وقال: "ولكن يا زمرد من الضرورى جدا أن يخلى هذا الوادى من هذا  
الشخص العنيد" .

أنا: آه! كنت قد أوصيته إذا مت أن يؤكد لأهل بيتى على عفتى  
وطهرى ، ولكن للأسف لم يوافق.

فزع خورشاه بمجرد أن سمع هذا وقال: "هل كنت قد أوصيته  
بالذهاب للبيت" .

أنا: نعم، وحين أكدت له على هذه الوصية قال:

حسنا لا بأس فى هذا، هناك حيلة غاية فى الإتقان وعليها سيخلوا  
منه ذلك الوادى ، ولن يصيبه منها أى نوع من الأذى، ولكن يا زمرد كل  
هذا ينحصر فى الأمل فى حبك فقط.

ومن الواضح أن ما أقوله ردا عليه غير ملائم تماما فوقفت صامتة وطلب خورشاه قلمًا ودواة وكتب مسودة خطاب ودفع به ناحيتي قائلاً: "اكتبه بيدك" فوضعتة أمامي وجلست وكتبته ، ولم أكن قد رجعت بعد حتى استدعى خورشاه فلاحا من بائعي اللبن وسلمه الخطاب وأمره أن يضعه على القبر على حين غفلة منك ، وكان هذا خطابي الأول وقد بينت لك مضمونه من قبل ، ولكنى أقول لك بعد ذلك إننى واجهت كل أنواع الظلم وأشكال المكاره عندما كتبت لك هذا الخطاب .

وعندما رجعت بعد إرسال هذا الخطاب كنت فى حيرة شديدة من أمري ، وكان قد تأكد لى أنك الآن سوف تذهب إلى بيتى بعد أن أصابك اليأس فى لقائى ، وكنت مستغرقة فى هذا التفكير نهارا كيف يكون وقع خبر موتى على قلب أبى وأمى بعد سماعه منك وقد انقضت عدة أسابيع على هذه الحالة ، وذات يوم جاءت عندى حورية اسمها مرجان و كانت تبدى لى المواساه دائما ، ولكن اتضح لى بعد ذلك أنها كانت ربيبة خورشاه ، وذات يوم عبرت لى عن ألمها من أجلى ، وكنت مضطربة من أجلك ، وفى أحد الأيام وأثناء الحديث سألتنى: هل أنت من منطقة آمل يا زمرد؟

فقلت بفزع: نعم ، لماذا؟

مرجان: هناك عالم كبير يعيش الآن فى نيسابور يغوى الناس على مخالفتنا ويخبرهم بأن هذه اللجنة جنة مزيفة .

أنا: من؟ أليس هو نجم الدين نيسابورى .

مرجان: نعم هو نفسه الذى يقترحون قتله .

أنا: (مندهشة) نعم ولكن هذا ظلم عظيم ؛ فهو عالم ربانى كبير وأستاذ حسين وحسين من مريديه .

مرجان: (بدهشة): حسين من مريديه وتلاميذه!

أنا: ليس بالضبط ، ولكنه ابن أخيه .

وأخذت أتأسف من قلبى بعد ذلك ، فهذا الظالم يقتل ذلك الشخص الربانى بلا ذنب وبسبب أفكاره ، وقد رأيت فى الليل عدة أحلام مفرقة ورهيبية ونهضت فى اليوم التالى وجلست ولم تكن الشمس ساطعة بشكل جيد فإذا بمرجان قد أتت وبدأت تقول: "هيا يا زمرد فإن خورشاه يستدعيك" .

أنا: (فى حالة فزع) لماذا؟

مرجان: هذا ما سنراه ، لكن هيا الآن ، كنت مضطرة لأن أذهب معها ، وبعد أن ذهبت هناك رأيت فتاة حسناء يأخذ من يدها كأس الخمر ويحتسبه وما أن رأى وجهى قال:

خورشاه: أنت لم تتركى التفكير فى حسين بأى صورة؛ فلو حققتى رغبتى واقتنعتى بها فأعدك بأن أقابلك به .

بعد أن استمعت إلى هذه الكلمات سرى فى قدر من السعادة ، لكن شرطه كان مثل الذى يمزج السم فى كأس الشراب تماما . فراودتنى فكرة أخرى وقلت: لو أنك رحيم وجعلتنى ألتقى به فسوف أبقى لك جارية طول عمري ، فسر من ردى هذا وأعطانى مسودة الخطاب الثانى على الفور وقال: اكتبها بخطك فأخذت المسودة من يده وقبل أن أقرأها نظرت ناحية خورشاه وسألته:

"هل سيفادر حسين هذا الوادى الآن؟"

خورشاه: لا ؛ إنه لم يكثرث بخطابك الأول قيد أنملة ، وهكذا  
جلس مجاورا للقبر وكنت تعتبرته حبيبا صادقا ووفيا ، ولكنه لم يحفل  
بك وتعلق قلبه كذلك بهذا الوادى الخلاب حتى إنه لا يمثل الآن لأمرك .

أنا: لا إنه وفى إلى ذلك الحد الذى أعرفه ، فكما أنه لم يطب نفسا  
لفراقى فهكذا لم يستسغ فراق قبرى الآن .

حسين: (بعد أن غلبت عليه العاطفة) لا شك يا زمرد فإننى لم أمتثل  
لأمرك من أجل هذه الفكرة .

زمرد: حسنا ، بعد أن سمع هذا الكلام على لسانى ، نظر إلى  
محدثا بدهشة وقال بصوت منخفض إلى حد ما: "اكتبى هذه المسودة  
سريعا وتنهئى للقاء حسين" ، وتعجبت من قراءة هذه المسودة ، قرأتها  
وقلت فى نفسى إلى أى قدر هؤلاء الناس مخادعون ومحتالون ، على كل  
حال كتبت الخطاب وسلمته له ومشيت ، وعلمت فى اليوم التالي على  
لسان مرجان أن الخطاب أرسل إليك ، وكان الهدف منه أن تعتقد فى  
الشيخ على وجودى وعن طريقه تقتل بيدك الإمام نجم الدين نيسابورى ،  
وأن تتزده فى الجنة جائزة لهذا وتسبح لك الفرصة للالتقاء بى ، فماذا أقول  
لك يا حسين عندما علمت بهذا الأمر وأى لعنة وأى لوم حل بى ، دب  
الخوف فى قلبى حيث إنك سوف تخضب يدك بدمائه من أجلى ، وكنت  
أدعو الله ألا تعمل بهذا الخطاب مثل الخطاب الأول ، ولكنى عندما علمت  
أنك رحلت ممتطيا الحمار الذى أرسلوه لك هنا تضاعف خوفى وبدأت  
الدعاء أن ينقذك الله من هذا الذنب ، ولكن بعد فترة من الوقت علمت

أنتك الآن يجب أن تأتي للجنة لمدة يومين أو ثلاثة أيام، تأكد لي أنك وقعت في شباك هؤلاء الظالمين ، وبعد أن غادرت ذلك الوادي ورحلت بدأ الحور هنا في الذهاب هناك بغرض التزهة والتجول في معظم الأوقات ، وإلى جانب هذا كنت أذهب معهم أحيانا بأمر من خورشاه ، وعندما أرى قبري أبكى من قلبي كثيرا نتيجة التفكير فيك، وعندما جئت إلى الجنة، كنت قد أخبرت قبلها كيف التقى بك وما الذي أتحدث به معك وكيف أضاعف من اعتقادك بهم وولائك لهم، وتم التأكيد على أنه لو حدث نحلاقا لهذا ولو أفشيت السر وإن كان بسيطا فسوف يقتلونك أولاً ثم أنا من بعدك، وأخذوا يراقبونني أنا وأنت كل وقت حتى لا تسنح الفرصة للحديث معك بكلمة واحدة، علاوة على هذا فإنني عندما تبدو لي حالتك هذه وكأنك مسحور بسحر ميين، وجاهل بكل خير وشر و لا أمل فيك ، وأنت لن تتحمل وتخفي ما سأخبرك به وبناء عليه لم أقل لك شيئا، ومع ذلك سنحت الفرصة وأخبرتكم بالمجيء على قبري في حالة اليأس ، وفي النهاية وفقني الله بهذه الحيلة ، ولكنني يا حسين تحملت ظلماً فادحا من أجلك على يد خورشاه ، وكنت من أجل اسم هذه الجنة قد واجهت صعوبات أكبر بعد ذهابك ، وكان يدور في خيال خورشاه أنني سوف لا أوافقه قط ، ولكنني أحيانا الآن نتيجة لرغبته القلبية ولوم الناس.

حسين: (بعد أن عاتق زمرد) إنها لغنيمة أن نلتقى بعد كل هذه المصائب ، ولكن الآن من الضروري بالنسبة لي أن أنتقم من أولئك الظالمين جراء ما يفعلون ولن أجد نصيباً من الراحة قط ما لم أنتقم منهم وكفارة ذنوبي هي أن أظهر العالم من دنس طور معني وعلى وجودي

وخورشاه ، وكما كنت فدائياً لأولئك الناس فإتنى سأظل الآن فدائياً مخلصاً للدين ، وسأذهب إلى معقلهم ، وسأرسل هؤلاء الناس من خداع الجنة إلى جهنم.

زمرد: ليس من المهم الذهاب إلى مكان ما فعيد قائم القيامة فى هذه الأيام، وكل هؤلاء الناس يأتون هنا ويسقون فى هذه القلعة وتعد العدة كاملة لعقابهم ، واليوم ستجد الفرصة حتى المساء لكى تداهم القلعة والقصر وخورشاه مع بلغان خاتون وتقضى على ثلاثهم فى وقت واحد.

حسين: كيف علمت بكل هذه الأمور هنا يا زمرد؟

زمرد: من الحور وأهل الجنة ، وهذا قليل من السر الخفى حيث تحضر بعض الحوريات هنا إلى قصر خورشاه مثل مرجان، وتظل حورية أو حوريتان موجودتين فى صحبته كل وقت، وعندما يعود هؤلاء الحور يحكىن للآخرين ما سمعا ورأيا، وهكذا فى فترة وجيزة يعرف الجميع كل شىء، وكنت أنا أيضا أسمع بطريقة ما، نعم يا حسين فقد أخبرتك بعدد الجيش الذى يكون مع الأميرة؟

حسين: جيش؟ سوف يزداد قليلاً.

وفجأة ارتفع صوت معركة صاخبة فاضطرب كلاهما وخرجا من القصر، فرأيا جيشا عظيما من آلاف الجند فجريا ناحية ذلك القصر الذى كانت الأميرة بلغان خاتون تستريح فيه.



## الباب التاسع

### الانتقام

خرج حسين وزمرد من القصر فتراءى لهما عالم عجيب ؛ حيث لم تعد الطمأنينة والراحة فى الجنة كما كانت ؛ وبدا كأن القيامة قد حلت فى الفردوس الأعلى ، فالغلمان والخور الحسنات ذوات الوجوه الملائكية والتى كانت تخدع كل من يشاهدهم بحسنهم وجمالهم الذى يحيلهم إلى مخلوقات نورانية أخذوا يخرجون من القصور والمنازل ويهربون مذهولين يتخفى كل واحد منهم ويستتر بالآخر ، وحدثت ضجة وجلبة فى كل مكان ، وارتفع صوت البكاء والعويل والنحيب والنواح فى كل جانب ، وكان قد ذكر أن البكاء حرام ؛ وفى هذه اللحظة كان جيش تاتارى جرار قد دخل الجنة وانتشر عساكره فى جميع الأرجاء فأعملوا السلب والنهب والاغتصاب فى القصور والمنازل وأسروا الفتيات الجميلات والخوريات الفاتنات اللاتى خلقت أصوات صياحهن وصراخهن وأشكالهن المشدوهة جوا رهيبا ولحظات حرجة عجيبة ، وجرى حسين وزمرد بمجرد أن رأيا منظر الذهول والوحشة هذا ، ووصلا إلى ذلك القصر حيث كانت تستريح الأميرة بلغان خاتون ، وصلت زمرد بالقرب من استراحة الأميرة وما أن

طرقت الباب حتى انقض عليها مهاجم تاتارى متوحش بعد أن رأى وجهها وأخذت أسيرة أيضاً مثل جميع الخور القرييين منها، ولكن حسين لم يهرب بعد أن رأى هذا ، ولم يكن مع حسين أى سلاح فاستل خنجر الفدائية وجرى واحتدم القتال بينه وبين تاتارى آخر كان قريباً منه ، وفجأة انفتح باب الحجرة وخرجت الأميرة الجميلة بلغان خاتون بشعرها المبعثر المتدلى وأطراف ملابسها الطويلة مسدولة على الأرض فصاحت بلغة تاتارية قائلة: قف، وما أن رأى التاتارى صورة الأميرة حتى جرى وخر على قدميها وقال كنا نبحث عن سموك.

الأميرة: أنت من بين المصاحيين لى؟

التاتارى: لا.

الأميرة: (فى سعادة) هل حضر أخى؟

التاتارى: نعم، وظهر فجأة سرب هائل من التاتار يتوسطه هولاكو خان نفسه ، وكان السيف مسلولاً فى يده ، بينما عرف الديك معلق على عمامته ، وكانوا يظللونه بالأعلام التاتارية والرماح المغولية فقد كان معروفاً للجميع بهذا الشكل لكونه من الأسرة الملكية ، وهكذا عرفه كل قواد الجيش، وخرجت بلغان خاتون من حجرتها بعد أن رأت هولاكو خان قادماً وجرت لاستقباله وقد التقت الأخت بأخيها بحماس وعاطفة وصياح ، وتم ترتيب وصف الشباب المغير الشرس لمدة ساعة لتحية أميرتهم الحسنة الفاتنة، وتعالت هتافات السعادة والسرور من كل جانب.

بلغان خاتون: (لهولاكو خان) متى جئت يا أخى؟ وهل كنت قلقاً من أجلى؟

هولاكوخان: لقد كتبت لى ولم آت، وليس فى شك أنه كان من  
الضرورى الإسراع فى تعقب سلطان الديلم فى ذلك الوقت ولكنى كنت  
مضطرا بمجرد أن رأيت خطابك أن أترك بعض الجيش لمطاردته وأصطحب  
معى باقى الجيش إلى هنا لنجدتك.

بلغان خاتون: كنت قد أخيرتك قبل مغادرتى بعدة أيام ، ولهذا  
السبب لم أحضر فى صحبتى جند كثير ، ولكن فى صباح اليوم زاد قلقى  
لسبب تأخر وصولك.

هولاكوخان: حاولت جاهدا أن أصل فى الصباح الباكر ، ولكنى لم  
أستطع بأى شكل الوصول، حسنا والآن لم أتأخر كثيرا.

بعد ذلك طلبت بلغان خاتون من زمرد وحسين أن يقدموا علامات  
الطاعة لهولاكو وقالت: "هؤلاء هم الناس الذين ساعدونى فى الوصول  
إلى هنا" ؛ فقام هولاكوخان بعناقهما وقال: "أتقدم إليكما بالشكر الجزيل  
بالنيابة عن أختى". عندئذ ركع كلاهما وقبلا قدمه وقالوا: "لقد تخلصنا  
من هذا السجن باهتمام سموكم وإلا ما كان هناك أى أمل فى النجاة طوال  
الحياة".

بلغان خاتون: وكم عدد الجيش الذى اصطحبته معك يا أختى؟

هولاكوخان: اصطحبت خمسين ألفا والتقينا فى الطريق مع أربعين  
ألف شاب ممن اصطحبتهم معك؛ فوصل مجموع عدد الأبطال التاتار  
تسعين ألفاً، ولكنى أحضرت منهم معى خمسة آلاف فقط. وكان من  
المستحيل اصطحاب جيش يفوق هذا العدد بسبب وعورة الطرق.

بلغان خاتون: إذن يقيم باقى الجيش هناك على شاطئ النهر.

هولاكوخان: لا؛ فقد أرسلت إلى قلعة آلموت أربعين ألف جندي من جيشي قبل عدة منازل ، وسوف يصلون اليوم ويهجمون عليها بمجرد أن يسمعوا صوت طبولنا وتغيرنا من داخل القلعة، وقد وصلت إلى شاطئ نهر ديرنجبان ، وعندما علمت بأن كثيرا من الجند لن يستطيعوا الوصول حتى هنا، عينت طوبى خان قائدا على ما تبقى من الجيش وأمرته بالذهاب إلى قلعة آلموت أيضا والهجوم عليها، ومعه خمسة وأربعون ألفا من الجند، وقد ظننت أن هؤلاء الجند لن يتمكنوا من الوصول في الوقت المحدد، ولكن بالصدفة ولحسن الحظ التقيت هناك برجل ممن يقيمون في الجبال أخبرني أن آلموت قريبة جدا ويستطيع الجيش بأكمله أن يصل هناك في خمس ساعات على الأكثر، وقد اصطحب طوبىخان ذلك الرجل ، وتأكد أنه سيصل بعد وقت قصير إلى بوابة القلعة، أخبريني أين الطريق للقلعة.

بلغان خاتون: يا أخى توقف هنا قليلاً لتستريح ثم سر فانت الآن ترحل متعباً منهك القوى.

هولاكوخان: (مبتسماً) إن راحتي في الرحيل، والمواجهة في ميدان القتال هي أفضل صورة لإظهار الشجاعة، وما لم يتم النصر فإن أى شيء في ذلك الوقت لا يمكن أن يزيل تعبى، حسنا لا شك أننى ألاحظ تعبكم لأنكم وصلتم هنا قبلى واسترحتم تماما ، والآن ليس من الضرورى انتظار شيء.

حسين: (بعد أن تقدم خطوة للأمام بحماس وعاطفة): أيها الملك لا شك أنه لا يجب الانتظار هنا ؛ لقد خدعنى هؤلاء الناس إلى هذا الحد، وقد اقترفت بيدي العديد من الذنوب، وسوف لا يقر لى قرار ما لم أقض

عليهم و الأشخاص الثلاثة بصفة خاصة، إن هائف الانتقام يخرج من قلبى كل وقت فيجعلنى مضطربا .

هولاكوخان: (مبتسما): كيف خدعت؟ قص على قليلاً.

قص حسين حكايته بكلمات مختصرة تنفيذا للأمر الملكى، ثم بدأ يقول وهو يبكى: للأسف لقد خدعت خدعة كبيرة باسم حب زمرد، وسوف أظل أصيب اللعنات عليهم ما دمت حيا.

هولاكوخان: (بدمعة) أحقا كان هؤلاء الناس قد نصبوا للدنيا فخا عجيبا من الرياء والخداع؟ والآن فإننى أريد أن أظهر الدنيا بأسرها من دنس الملاحدة بعد فتح هذه القلعة.

حسين: لو تم لك ذلك فإن الله تعالى سوف يرضى عنك وستظل الدنيا للأبد رهن إحسان أسلحتك المباركة.

هولاكوخان: امض الآن؛ ففى التأخير ضرر وجيشنا الذى يعسكر حول القلعة قلق ومضطرب.

زمرد: هذه المهمة مسئوليتى؛ فلا أحد يعرف الطريق سوى جاريتك، ولكن مر المرافقين لى بالمضى فى صمت مطبق حتى ندخل القصر، لكى لا تغلق بوابة القصر فتواجه صعوبات جمة فى دخول القلعة.

وطبقا لنصيحة زمرد أمر هولاكوخان جميع مرافقيه بالبقاء فى صمت وسكون والتقدم تدريجيا ودخل الجنة خمسمائة جندي تاتارى من المصاحيين للأميرة من قراقورم ومن بعدهم خمسة آلاف جندي وغادروا الجنة لكى يحرسوا الغلمان والخور الأسرى، وقد اتجه هولاكوخان إلى

القصر الملكى لآلموت لهذا الغرض، وكان حسين فى المقدمة وحصل على سيف من شاب تاتارى ، وأعلن أنه متأهب للانتقام والغضب ، وكان خلفه هولاكوخان نفسه ، وكانت بلغان خاتون على الجانب الأيمن وزمرد على الناحية اليسرى وخلفهم سرب من خمسة آلاف تاتارى، وبالرغم من أن الازدحام والحماس والضجيج قد بلغ مبلغه، إلا أنهم تقدموا تدريجيا بصرامة وصمت بعد أن طووا الحداثق والرياض ناحية نهر ديرنجان حتى وصلت هذه الجموع فى صمت إلى الجسر الذهبى وتقدمت زمرد وفتحت قفل الجسر الذى كانت قد وضعت فى صباح اليوم لغلق الطريق ثم فتحت بوابة الجسر فتزل جميع الجند من النهر ودخلوا هناك فى روضة جذابة فسيحة ومروا من طريق رائع وبديع حتى وصلوا إلى دوحة أشجار ظليلة وكانت البوابة الجميلة لقصر ركن الدين خورشاه مخفية فى ثنايا تلك الأشجار ، وبمجرد أن رأى الجند شكل البوابة أسرعوا واقتحموها وقطعوا دهليزا طويلاً قبل أن يعلم بهم أحد حتى وصلوا إلى حديقة رائعة للترهة لا تقل فى جاذبيتها وفتنتها ونضارتها عن جنة آلموت. وعندما رأى بعض العسكر الذين كانوا معينين للحراسة تلك الحالة من التناقض حملوا أسلحتهم وفروا ، وعندما أدركوا أنهم أمام جيش التاتار ولوا هارين مذهولين فلقى قليل منهم حتفهم بينما نجح البقية فى الهروب ، وساد الاضطراب والشغب القلعة وكل القصور التى كانت تشهد احتفالا ، وكانوا يحتفلون بمناسبة دينية ؛ حيث اجتمع جمع غفير من الناس من الداخل والخارج ولو أدركوا الأمر لكان من الممكن أن تنشب معركة بين الطرفين لكن الخوف من التاتار كان مستقرا فى تلك الأيام فى قلوب العالم بأسره، فبمجرد أن سمعوا بدخولهم فى القلعة فزع الجميع حتى خورشاه نفسه الذى كان واقفا يلقى الخطبة، نزل من المنبر وهرب فى ذهول



ليختبئ في إحدى الأركان ، ولكن لم ينجح لأن نساء القصر الجميلات ذوات القدود المشوقة جئن هاريات حاسرات الرؤوس حافيات الأقدام فاقتفينا أثره متشحات بردائه طالبات للحماية ، ولم يكن يعلم آنذاك أن هناك جيشا تاتاريا جرارا وهائلا يحاصر القلعة، ويعد أن رأى الحراس وأهل القلعة من السدعاة والفدائيين الملك وأنصاره في حالة ذهول فتحوا بوابة القلعة وهم يصيحون في خوف فخرج منهم من خرج ودقت الطبول المغولية ونفخ في الصور داخل القلعة، وما أن استمع الجيش التاتاري الموجود بالخارج لصوت موسيقاهم الوطنية حتى قرعوا طبولهم وهجموا على الفور ؛ أما الهاريون فرأوا البحر الزاخر لجيش التاتار يتجه نحوهم كالطوفان فانقلبوا على أعقابهم في ذهول فاقتفى آثارهم بسرعة فائقة جيش طوبى خان ، وفى الخارج أعمل فيهم الأبطال المغول القتل واقتحموا القلعة.

وهكذا حدث إعصار شديد داخل القلعة ، وبدأ منظر القتل العام فى كل جانب ، واستمر قتل الشيوخ والأطفال والنساء والرجال والحرفيين والحراس بلا تفرقة ، وكانت معركة عجيبة استخدمت فيها جميع أنواع الأسلحة: الأسهم والرماح، السيوف والسكاكين، الفؤوس والمعاول ، بينما اختلطت فيها الأصوات المذهلة مع الصرخات الموحشة للمحاربين التاتار وبكاء النساء والأطفال وعويلهم وآهاتهم وأصوات الضرب فى آن واحد.

قام هولاكوخان بمصاحبة بلغان خاتون بمداومة كل حجرة وكل قاعة فى قصر خورشاه ، وأخرجوا المذعورين من النساء والرجال والشيوخ والأطفال ، وساقوهم إلى ميدان فسيح كانوا يحتفلون فيه بمناسبة العيد

قبل عدة دقائق ؛ حيث كانوا يتصايحون بحماس السرور والمتعة ؛ ومن ناحية أخرى كان رفاق طوييخان يسوقون الهاربين مدهولين تماما ويحضرونهم إلى ذلك الميدان في حال من الاضطراب وهم يتصادمون كالأمواج ، فلا يتذكر أحد رفيقه فقد أصابهم الدهول ومن بقى من الأعداء كان كالمجنون أو الغريق يحاول أن يمسك بقشة .

كان هذا المنظر المفجع قد أثر تأثيرا قويا على قلب زمرد ؛ فكانت تبكى لرؤية هؤلاء الناس ، وكانت بعض النساء المظلومات في القلعة يولولن ويصرخن ، وبعد أن رأت بلغان خاتون زمرد مضطربة اقتربت منها تقول : " لم أكن أعلم يا زمرد أنك ضعيفة القلب إلى هذا الحد وإلا ما أحضرتك هنا " .

زمرد: أيتها الأميرة أنا فعلت كل هذا ، وكل قطرة دماء أريقته سيكتب ذنبها باسمي ، ومن المستحيل أن أستطيع النجاة من انتقامها .

بلغان خاتون: هذا فقط لضعف قلبك ، وإلا ما كان قتل هؤلاء الناس ذنبا ، فكرى قليلا ، إننا الآن نثار للعديد من الشخصيات المشهورة .

زمرد: (مختنقه بالبكاء) ليكن ذلك ، لكنى أيتها الأميرة لم أر مثل هذا الظلم والجور .

بلغان خاتون: عندما يتأثر القلب بهذا الظلم والجور فتذكرى تلك المظالم التى ارتكبت فى الدنيا على يد هذا الشباب الظالم .

وفى فترة وجيزة قتل أكثر من نصف سكان القلعة ، وكانت الجثث لا تزال فى آخر رمق لها فى كل جانب وهم مضطربون فى كل ناحية ويتوافدون على مكان يحتشد فيه الكثير ويلتقى أحدهم بالآخر فيتقافزون

ويتعاقبون معا لأن فكر القتلة لا يتجه إلى هذه الناحية، وكانوا يضطربون لسقوط جثث الناس الملقاه بلا حول ناحية أكداس الجثث واعتلى إذ ذاك هولاكوخان المنبر الذى غادره خورشاه ونزل من عليه دون أن يكمل الخطبة، كان سيف هولاكوخان فى يده مسلولا وملوثا بالدماء، وكانت أخته الأميرة بلغان أسفل المنبر تقف بالقرب منه. أما حسين فبالرغم من أنه لم يكن رجلاً عسكرياً لكنه وجد الفرصة سانحة تماماً للانتقام من هؤلاء الملاحدة؛ فقد كانت قلبه متعطشا لقتلهم، وكانت حشود التاتار تمضى جادة فى البحث عن أولئك الناس، وفجأة سعى إليه شخص وتشبث بذيل ثوبه وخرج هذا الصوت من فمه: "انقذنى يا حسين، أنا أعلم أنك فرع من شجر المعرفة" أدرك حسين أنه كاظم جنوبى فخطر على قلبه أن يطير رأسه بضربة واحدة، ولكنه فكر أن يستدل منه على "على وجودى" و"طور معنى"، وبمجرد أن خطر هنا بباله اتجه ناحية كاظم على جنوبى ويقليل من الألفة سأل: "أين طور معنى؟".

ما إن سمع كاظم جنوبى هذه الكلمات حتى رفع رأسه ونظر فى الاتجاهات الأربعة وأشار إلى عجوز رث الهيئة كان يجلس على الأرض حاسر الرأس بين عدد من الناس ثم خر على الأرض وبدأ يقول: احمنى يا فرع شجر المعرفة، نظر حسين إلى هذا الذليل المتضرع بنظرات الغضب وقال لن أحملك بسبب ما تظهر من ذلة مخادعة وأطاح برأسه.

واتجه حسين نحو ذلك العجوز بعد أن ترك كاظم جنوبى يتلوى واستطاع أن يعرف بعد فترة أنه نفسه طورمعنى فمد حسين يده وسحبه للخارج وقال: اليوم مزقت بنفسى تلك السبعين ألف حجاب وأرى نور سيناء بلا حجاب، وما إن سمع طورمعنى هذه الجملة حتى نظر ناحية

حسين بتعجب ودهشة وقال: أيها الشاب من تكون حتى تعلم رمزه الحقيقة؟

حسين : نعم أعلم جيداً رمز الحقيقة ، لكنك ربما لا تعرفه أنت .  
طورمعنى : لا ، مطلقاً .

استشاط حسين غضباً بمجرد أن سمع هذا الرد وبصق على وجهه وقال : "أكان ذلك من قبل كشفاً فقلت مرحباً بك أيها الشاب الأملى ، دون أن ترى صورتى وتسمع صوتى ؛ واليوم بعد أن رأيتنى لا تستطيع معرفتى ، لقد انكشفت كل مؤامراتك واتضح خبثك وشرك " ، وبهذا الرد بدأ طورمعنى يقبل قدم حسين ، وقال بصوت فيه لين وذهول : "الرحمة أيها الشاب الأملى ، الرحمة " .

حسين : لا .. مطلقاً ، إنك فتنة يجب تخلص الدنيا منها بسرعة وبقدر المستطاع .

بعد أن قال حسين هذا جثم على صدر طورمعنى ووضع السيف على الأرض وأخرج خنجرًا من خصره وقال : "هذا هو خنجر القداية الذى رُبط فى خصرى وبه قتلت الإمام نصر بن أحمد الصالح التقي ، وبه أمزق صدرك غير الطاهر " .

كان طور معنى يتمم بكلمات غير مفهومة عندما غرس خنجر حسين فى صدره فأسلم الروح بأمة واحدة ، وأخذ حسين سيفه وهب ليقف ولم يكمل اعتداله تماماً حتى رأى تاتارياً على مسافة قريبة إلى حد ما من هولاکو خان يجر رجلاً عجوزاً طاعناً بعد أن ربطه فى عمامته فرآه حسين من بعيد وعرف أنه هو "على وجودى" فهروا إليه بدون اختيار وأمسكه من وسط العمامة وصاح "هذا من نصيبى" .

التاتارى : لماذا؟ أنا أسرتة ويصبح من نصيبك؟

حسين : نعم، إنه نصيبى منذ فترة طويلة، ومع هذه الجملة أشار هولاكو خان إلى هذا التاتارى أن يُسلم هذا الأسير إلى حسين، وهكذا قام حسين بجذب على وجودى من عمامته وأدرك " أنه يعرفه " .

كان على وجودى فى هذه الحالة من اليأس والذهول بحيث لم يكن يدرك ما سيحل به وعلى يد من أسر، لكن بعد أن سمع صوت حسين، رفع رأسه وبمجرد أن تعرف عليه صاح " كنت أبحث عنك يا حسين، وعندما علمت بخبر إخراجك من قلعة الموت، حزنت حزنا كبيرا ، وللأسف إذا أتيت عندى ما كنت فشلت " ؛ فى الحقيقة لم يكن على وجودى يدرك أن حسين الآن يعارض أفكاره وجمال فى خياله أنه حتى الآن من مريديه ، ولهذا السبب أنقذه من يد التاتارى بشجاعة وبطولة وأحضره إلى هنا.

حسين : (بعد أن ترك طرف العمامة وأمر العقيدة) لكنك تعرف أمور الغيب ولعلك أدركت بدون شك تنزهى اللاهوتى وفى أى عمارات جبلية أتجول وأتخبط.

بعد أن سمع على وجودى هذا من حسين نظر إليه بعين الشك وقال: " تكون تلك التزمة اللاهوتية فى ذلك الوقت عندما يستخدم الإنسان الاهتمام القلبى، وفى الحقيقة أننى لم أهتم مطلقا بالبحث فى حالتك " .

حسين : لكن لا أمل فى هذا؛ فسوف أترك اعتقادى وإيمانى بك كلية.

على وجودى: وكيف وقعت الفتنة يا حسين؟ من المؤكد أنك تعلم،  
ولاً ما تركنى التاتار بناء على طلبك.

حسين: ما أهمية سؤالك وأنت تعلم كل أمر بأدنى اهتمام قلبى.

على وجودى: بقدر ما تعرف، إلا أنك جاهل برموز عالم  
الأرواح، وأن الناس الذين ينالون الكمال فى تلك الرموز لا يعلمونها  
أحياناً، ألم تسمع:

اعتلى الفلك الأعلى حيناً ولا أرى ظهر قدمى حيناً آخر

حسين: لقد رفض ركن الدين خورشاه إرسالى للجنة وأخرجنى من  
القلعة ويشت بعدها وكنت وحيداً مخذولاً، وللأسف فإنك فى ذلك  
الوقت لم تعلم بى، لكن الأمر تغير حيث قابلنى القدر بشخص، والآن  
وصلت ببركته ويأرشأده إلى الجنة، وكانت معانقة زمرد من نصيبى،  
ولللأسف خرجت من زمرة مريدك وانضمت إلى مريديه والمعتقدين به.

على وجودى: أى شخص هو؟

حسين: هولأكو خان قائد التاتار وشروطه صارمة جداً.

وما أن سمع على وجودى هذا حتى ارتعدت فرائصه ونظر إلى وجه  
حسين وسأل ما هى هذه الشروط؟

حسين: هى أن أستأصل رؤوس من أجد من الملاحدة الخبيثاء  
أصحاب الأعمال السوداء.

على وجودى: (مذعوراً) ألا تتمهل فى تنفيذ مثل هذه الأحكام  
الظالمة.



حسين : لا ، قط ، لقد تعلمت درسًا منك : يجب بقاء المريد في يد المرشد مثل الآلة بلا روح ، فكل ظاهر باطن ، وباطنه عند مرشدي حسن جدا ومقبول في حضرة الله .

نحجل على وجودي ولم يجب ، ورفع رأسه وقال : لكن يجب استعمال الرحمة في كل شيء ؛ إن الله لا يقبل الظلم .

استشاط حسين غضبا لهذا الجواب ، لكنه تماسك وتملك نفسه وقال : لا شك أن الله لا يقبل الظلم ، ولهذا السبب فإن روح الإمام نجم الدين النيسابوري تصرخ حتى اليوم ، وتنادى بأن دمي في رقبة علي وجودي ، وبعد أن سمع علي وجودي هذا ارتعدت فرائصه وبعد فترة وجيزة وعندما هدا قلبه قليلاً ، قال : ولكن بقيت هذه العلاقات بيني وبينك ، ولا أتوقع أنك إنسان قاسي .

حسين : إن علاقتي بك ليست من علاقتي بالإمام نجم الدين نيسابوري ؛ فقد كان عمي وأستاذي ومرشدي .

الآن أصبح الخوف خارجاً عن اختيار "علي وجودي" فلم يتمكن من السيطرة على مشاعره بسبب الخوف فانتفجر باكياً وخر على قدمي حسين وصاح : "الرحمة ! الرحمة ! " .

حسين : لا . . مطلقاً ؛ فآلاف الأرواح الطاهرة المقدسة تستغيث ، لأنك من المؤكد أمامها الآن وسوف تهددك وتوبخك من الجهات الأربع ، ولاشك أن حالة "علي وجودي" في ذلك الوقت أنه كان ينتظر مضطرباً للجهات الأربع مراراً ، وكانت تظهر له في كل جهة صورة مظلوم يهدده بالخناجر والسكاكين ، وفي نفس هذه الحالة وبينما تبدو له السكاكين في

الجهات الأربع إذ بحسين يستل خنجره من خصره ويجعله أمام عينيه قائلاً: هذا نفس الخنجر الذى أعطيتنى إياه وبأمر خاص منك استقر بيدي هذه فى صدر الإمام نصر بن أحمد وصدر الإمام نجم الدين النيسابورى ، انظر هذا الخنجر باق حتى اليوم فقط من أجل أن أغمده بيدي فى صدرك ؛ فلتفهم جيداً ما أقول ولتستعد لأن وقت الانتقام قد حان ، وحين سمع على وجودى هذه الكلمات ارتعد مرة أخرى وبدأ يقول فى خوف وهلع: " لا تقتلنى ، ومن الآن فصاعداً لن أدافع عن مذهب الباطنية مطلقاً " .

حسين : لكن عهدك هذا لا ينقصه إلا الدم جزاء لأعمالك السوداء ، ويعد أن قال حسين هذا طرح "على وجودى" على الأرض وجثم على صدره ثم وضع خنجره أمام عينيه وقال: انظر هذا وتعرف عليه جيداً ؛ إنه نفس خنجرك .

كان موت على وجودى فى الحقيقة موتاً بشعاً ، حيث كانت جميع الذنوب فى ذلك الوقت أشباحاً تتراءى له بأشكال وصور مرعبة ، لقد رأى أرواح آلاف المظلومين ، وكان يرتعد كلما وقعت عيناه على الخنجر ، ويعد أن بلغ منه الاضطراب والهلع مبلغه أغمض عينيه وقال لحسين " بالله عليك اتركنى وارحم ضعفى " .

حسين : لا ، الذى يخشى الله فى قلبه ولا يخافه فالخوف عليه ذنب .

على وجودى: يا قليل الحظ اقتلنى بسرعة ؛ فأنا مُحاصر والمصائب تتعقبنى .

حسين : من أجل هذا فقط فإننى أتأمل وأجد متعة طيبة فى رؤية لحظات موتك الحرجة والخطيرة بعدما سأقتلك ، والآن اضطرب ' على وجودى ' كثيرا وكان يثن تحت وطأة حسين الذى كان يعرض الخنجر الذى أعطاه له أمام عينيه فيشيخ برأسه هنا وهناك رعبا من صورته البشعة ، ويقول بالله عليك أبعد هذا الشيء من أمامى ، وفى النهاية وبعد فترة ليست بالقصيرة وعندما رأى حسين أنه تأخر كثيرا وقارب جميع سكان القلعة على القتل قام بقتل على وجودى ، وبعد الانتقام من أكبر المخادعين الضالين . اقترب مرة أخرى من هولاكو خان ولم يجد التاتار فى ذلك الوقت أحدا يقتلونه ، وكانت أعينهم تقطر بالدماء من جراء القتل العام الكبير ؛ فقد كانوا يدورون ويتجولون هنا وهناك مثل الضواري المتوحشة أو الكلاب الضالة فيقتلون كل من وجدوه أمامهم ليخرجوا غضبهم .

ولم ينج من القتل سوى عدد محدود من الصغار والنساء الجميلات وقعوا فى الأسر ، ولم يبق أحد فى قلعة الموت .

كان التاتار إذ ذاك يبحثون عن ركن الدين خورشاه حاكم الموت وظلوا يبحثون عنه لفترة من الوقت فلم يعثروا عليه فى أى مكان ، وفى النهاية داهم تاتارى الجب وأمسك به وأحضر بحالته أمام هولاكو خان ، وكان واقفا مطأطئ الرأس أمام القائد ، وأراد حسين أن يختطفه ويقتله أيضا بخنجره ، لكن هولاكو خان صاح ومنعه ثم تقدم المغول وأمسكوا بيده .

هولاكو خان : هذا ملك هنا وجاء طالبا النجاة فى حالة ضعف ولهذا يجب منحه الحياة .

حسين : أيها الملك لو أنقذ هذا فسوف تظل الفتنة قائمة فى العالم ، لقد كان سبب كل هذه الحيل والمؤامرات وجميع المفاسد .

هولاكو خان: لم يبق الآن متآمرون فماذا سيفعل هذا، وكل الخداع تحول إلى تراب ودماء ولا يمكن لهذا الشاب غير المحنك أن ينال الدنيا بالضرر؟

حسين: لا يمكن ألا يكون له معتقدون، إن أنصاره يتشرون في كل مكان من السند حتى مصر والشام.

هولاكو خان: سأذهب إلى تلك الأماكن أيضا وأستأصل شأفة أنصاره من الدنيا، ولهذا يكفي هذا العقاب وهو أن يُجلى عن وطنه بعدها نظر ناحية خورشاه وقال: "لا شك أن فتتك كانت عظيمة، وقد أقيت عليك بعد أن أشفقت على صممتك العاجز وقلة حيلتك، ومع هذا أمرت أن تقضى ما تبقى لك من أيام حياتك في تركستان حيث لن تستطيع أن تجد أى مريد أو معتقد، ولن تعطى أى من تلك النساء؛ لأنه من الممكن عن طريقهن أن تبدأ مرة أخرى خداع الدنيا بفسادك، يمكنك أن تتزوج من أى فتاة حين تصل إلى تركستان.

وتنفيذا لهذا الحكم اصططحبته كتيبة من المغول وأوصلته إلى قرية مجهولة في تركستان بعد أن عبروا بحر الخزر بآخر ملوك الموت، وعندما أصبحت القلعة خالية من الناس انشغل التاتار بنهب الأموال وسرقة القصور وإشعال النيران وأشعلت النيران في كل مكان بالجنة والقصور، وهدموا المنازل والقصور حتى سويت بالأرض وصارت القصور التى كانت مبنية فيما أطلقوا عليه اللجنة مجرد أكداش من الطين والطوب، وقد فعل التاتار هذا بسرعة فائقة بحيث لم يبق فيها قاطن أوباك.

وبعد أن أطفأ حسين نار قلبه وتأثر من أعدائه اقترب من زمرد التي كانت فى حالة ذهول ومضطربة جدا بهذا القدر من الاضطراب فسألها حين رآها : " لماذا أنت مضطربة يا زمرد؟ " .

زمرد : ( بصوت متهدج ) بلغ الذبح والسفك هذا المبلغ وأنت تسأل لماذا أنا مضطربة؟

حسين : هل نحزن لتدمير هؤلاء الظالمين أم نسعد؟

زمرد : ليسعد من خلق الله قلبه من حجر، فربما لم يخطر على بالى قط رؤية مثل هذا المنظر الوحشى فلم أعود رؤية مثل هذه الأمور.

حسين : حسنا.. الآن أخبرينى ماذا تريدين؟

كانت الأميرة بلغان خاتون واقفة أمامها، فأتت عندها بمجرد أن سمعت هذه الجملة وقالت ماذا تريدان؟ ارحلا معى الآن وسوف تكون زمرد بالنسبة لى أكثر من أختى أما أنت فاشغل نفسك بأى أمر.

زمرد : لا أيتها الأميرة فقد اقترب كلانا عظامم الذنوب ، وكنا قد خرجنا من البيت عازمين على الحج فابتلينا بهذه المصائب ، والآن وجب علينا أن نحج أولاً ثم نفعل أى شىء بعد ذلك ، ولو فى الحياة بقية فإننا بعد أداء هذا الفرض سنحضر إلى قراقرم فى خدمتك. فما لم أكن هناك فى بيت الله خاصة لن أتمكن من التوجه لله ليغفر لى ، ولن يزول هذا الندم حتى ذلك الوقت ، وهو ندم كامن فى قلبى على الدوام ولا أذكره إلا وأزعجنى.

حسين: لاشك أن كلام زمرد صحيح، فقلبي يلحنى وربما أنجو من هذه الحالة حين أبلغ بيت الله وأدعو فى هذا المقام المقدس.

بلغان خاتون: لماذا أقول هذا؟ لا يريد قلبى أن يفارقكما ، ولكنكما تصران ، وتعتبران الذهاب هناك فرضا عليكما، ويبدو أنه لافائدة من منعكما، ولكن هناك أمر يرضينى.

زمرد : تفضيلى، إن تنفيذ كل أوامرك فرض علينا.

بلغان خاتون: لقد خرجتما معا بهدف الزواج ، وأريد قبل الافتراق أن تتزوجا حتى أعلم قبل ذهابكما إلى وطنكما أن اتفاقكما قد تم ، وسوف يسعد قلبى بعد أن يتذكر أن أمنيتهما قد تحققت على يدي.

لم يكن مثل هذا الطلب بالطلب الذى يرفضه أحد، فأبدى حسين موافقته بكلمات واضحة ، بينما ابتسمت زمرد وقالت بعد أن طأطأت رأسها بصوت فيه حياء: "أنا الآن جاريك وما تأمرين به لا أستطيع رفضه".

وفى صباح اليوم التالى أعد هولاکو خان احتفالاً عظيماً من أجل تقسيم مال الغنيمة وابتهاجا بالنصر ، وأقيمت حفلة لكبار ضباط الجيش وقد أبدوا سعادتهم بالنصر الساحق بحماس عظيم، وفى ذكرى هذا النجاح وهذا الظفر قام الشيخ نصير الدين الطوسى بعقد زواج حسين وزمرد بطلب من بلغان خاتون ويأمر هولاکو خان ، وكان علامة عصره ومحقق زمانه الذى يقدره التاتار موجوداً فى تلك المعركة.

وبعد هذا الإجراء ودع الجميع بعضهم فسلكت بلغان خاتون طريقها إلى قراقرم مع رفاقها ، ورحل هولاکو خان تجاه آذربيجان مع جيشه



الظافر ، بينما اتجه حسين وزمرد إلى أرض الحجاز ، وكانا قد خرجا من بيتهما لهذا الأمر وتركنا أطلال آلموت وبها جميع الجثث تحوم حولها من الطيور الجارحة وتسير فوقها الحمير .

وصل حسين وزمرد إلى مكة المعظمة وأمسكا بأستار الكعبة وطلبا المغفرة بقلب ضارع خاشع : " اللهم اغفر لنا جميع ذنوبنا ، فعلى الرغم من أننا لم نفعل ما أمرتنا به فاقبضنا عبيدين لك بلا ذنوب مقبولين عندك ، لقد ابتلينا بخداع كبير وكان الشيطان متحكما فينا بحيث لم تنكشف لنا مساوئ الذنوب ، لقد اقترفنا الذنوب ظلماً منا أنها حسنات ، لقد تعثرت أقدامنا لكتنا ابتلينا بمكر كبير ، وعالم الغيب يعرف كلام القلوب ، فانظر إلى ضعفنا وقلة حيلتنا واصفح عن آثامنا الكثيرة ؛ وهكذا عادا بعد أن أزالا من قلوبهما صدا الذنوب ، وبقيتا عدة أيام في مدينتهما أمل ثم ذهبا عند الأميرة بلغان خاتون في قراقرم ، حيث عاشا معها بقية حياتهما .



## المشروع القومي للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مامهو باتنيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المصري	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارييتكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / ولاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان هولمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغييرات البيئية	أندروس، جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جيبيت	ت : محمد مختصم وعبد الجليل الأثري وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسوفا شيمدوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وإيرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - نيانة الساميين	روبرتسن سميت	ت : عبد الوهاب طوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان ثويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميت	ت : أشرف رفيق عطيلي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : رمزي طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة من المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ - تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم السوقي شتا
٢٦ - دين محرم أمام	محمد حسين فيكل	ت : أحمد محمد حسين فيكل
٢٧ - التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبه
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الدين
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مامهو باتنيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب طوب
٣٢ - الانتقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول ، ب. فيكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - بطريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت . جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	ألن تورين	ت أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	أن مكستون	ت . محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت . عطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ملج
٤٢ - عالم ماك	بجانب باربر	ت . أحمد محمود
٤٣ - الله المزدوح	أوكافيو بات	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	الدوس مكسلى	ت : مارلين تارس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج نيا - جون ف أ فاين	ت . أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت . محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	ريشه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا توما	ت . ماهر حويجاتي
٤٩ - الإسلام في اللقان	هـ . ت . نوريس	ت . عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين من الشيخ	ت . محمد يرانة وعملى لليلود ويوسف الأنكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوبيا وح . م بيبياليسى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التذمى	بيتر . ن . نواليس وستيفن . ح .	ت . لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	رويسيفيتز ووجر بيل	ت . مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	أ . ف . ألتجتون	ت . محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	ح مايكل والتون	ت . على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	جون بولكنجهوم	ت . محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو عرسية لوركا	ت : محمود السيد . ماهر الطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو عرسية لوركا	ت . محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونيث	ت . السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتي	ت : صبرى محمد عبد القى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف محمد الجوهري
٦٢ - لغة النص	رولان بارت	ت . محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت . رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت . رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أطوبيو جالا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجور وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت . أحمد فؤاد متولى وهريدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	لوحينيو تشانج وهريجت	ت . عبد الحميد غلاب وأحمد حشار
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرعى	داريو فو	ت . حسين محمود

- ٧٢ - السياسي المعجوز ت . س . إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . تومبكتز
- ٧٤ - صلاح الدين والمماليك في مصر ل . ا . سيميوني
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - جاك لاكن وإغواء التطيل النفسي مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ٢ رونية ويليك
- ٧٨ - العولة ، النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف بورييس أوسبسنكي
- ٨٠ - بوشكين عند «ماقورة النوع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخيلة بتيكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دي أونامونو
- ٨٣ - مختارات هوفريد من
- ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكي أقطاي
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صابقي
- ٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالتعريب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتوني جيفنز
- ٩٠ - رسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتعريب بين النظرية والتطبيق يارير الاسومسكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
- ٩٣ - محدثات العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤ - الحب الأول والصحة سمبول بيكيت
- ٩٥ - محققات من المسرح الإسباني أنطونيو بويرو باييجو
- ٩٦ - ثلاث زنبقات وردة قصص مختارة
- ٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) فرمان برونل
- ٩٨ - الهم الإنساني والانتراخ الصهيوني نماذج ومقالات
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية ليفيد روبنسون
- ١٠٠ - مساطة العولة بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليت
- ١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيب
- ١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آباء عبد الوهاب المؤيد
- ١٠٤ - أوبرا ماهر جنى بركات بريتشت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع جيرارچينيت
- ١٠٦ - الأدب الأنطلسي د. ماريا خيسوس روبييرامتي
- ١٠٧ - صورة الفنان في الشعر الأمريكي المعاصر نخبة
- ت . فؤاد مجلى
- ت . حسن ناطم وعلى حاكم
- ت . حسن بيومي
- ت . أحمد درويش
- ت . عبد المقصود عبد الكريم
- ت . مجاهد عبد المصم مجاهد
- ت . أحمد محمود ونورا أمين
- ت . سعيد القاسمي وناصر حلاوي
- ت . مكارم العمري
- ت . محمد طارق الشرقاوي
- ت . محمود السيد علي
- ت . خالد المعالي
- ت . عبد الحميد شيمعة
- ت . عبد الرزاق بركات
- ت . أحمد فتحي يوسف شتا
- ت . ماجدة الساني
- ت . إبراهيم النسوتي شتا
- ت . أحمد زايد ومحمد محيي الدين
- ت . محمد إبراهيم مبروك
- ت . محمد هناء عبد الفتاح
- ت . فانية جمال الدين
- ت . عبد الوهاب علوب
- ت . فوزية العشماوي
- ت . سري محمد محمد عبد اللطيف
- ت . إدوار الضراط
- ت . مشير السباعي
- ت . أشرف الصباغ
- ت . إبراهيم قنديل
- ت . إبراهيم فتحي
- ت . رشيد بنحو
- ت . عر الدين الكتاني الإدريسي
- ت . محمد شيس
- ت . عبد الغفار مكارى
- ت . عبد العزيز شيبيل
- ت . أشرف علي منصور
- ت . محمد عبد الله الجعدي

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من النقاد  
١٠٩ - حروب المياه جون بوارك وعادل ترويش  
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم  
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون  
١١٢ - الاحتجاج الهادئ أرلين علوي ماكلويد  
١١٣ - راية التمرد ساندى پلانت  
١١٤ - مسرحيات حماد كرنجى وسكان المستعم وول شويكا  
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف  
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا تلسون  
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلى أحمد  
١١٨ - التنهضة النسائية في مصر بث بارون  
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سفيلى  
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلى أبو لغد  
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة للراءة العربية فاطمة موسى  
١٢٢ - نظام العودية القديم ونموذج الإسلام جوزيف فوحت  
١٢٣ - الإمبراطورية العشائية وعلاقاتها الدولية ميل الكسندر ولما دولينا  
١٢٤ - الفجر الكائب جون جرائ  
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ بيفى  
١٢٦ - فعل القراءة فرانك انجيسر  
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحي  
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باستيت  
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة ماريا ناولرس أسيس جاروت  
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوند فراتك  
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين  
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فينرستون  
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على  
١٣٤ - تشريع حضارة بارى ج. كيمب  
١٣٥ - المفتر من قد د.س. إليوت (ثلاث اجراء) ت.س. إليوت  
١٣٦ - فلاحو الماشا كينيث كرونو  
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة للفرنسية جوزيف ماري مواريه  
١٣٨ - طلم التليفزيون بين الجمال والعنف إيتالينا تاروسى  
١٣٩ - باريسيفال ريشارد فاچر  
١٤٠ - حيث تلقى الأنهار هريوت ميسن  
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين  
١٤٢ - الإسكندرية تاريخ ونبيل أ.م. فورستر  
١٤٣ - قضايا التطير في البحث الاجتماعى ديريك لايدار  
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جوانونى
- ت . محمود على مكى  
ت . هاشم أحمد محمد  
ت . منى قطان  
ت . ريهام حسين إبراهيم  
ت . إكرام يوسف  
ت : أحمد حسان  
ت : نسيم مجلى  
ت . سمىة رمضان  
ت . نهاد أحمد سالم  
ت . منى إبراهيم ، وهالة كمال  
ت . ليس النقاش  
ت . بإشراف/ رؤوف عباس  
ت . نعبه من المترجمين  
ت . محمد الجدى ، وإيزابيل كمال  
ت . سيرة كروان  
ت . أنور محمد إبراهيم  
ت : أحمد فؤاد بليغ  
ت : سمحه الخولى  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت . بشير السباعى  
ت . أميرة حسن نويرة  
ت . محمد أبو العطا وآخرون  
ت . شوقى جلال  
ت : لويس مقطر  
ت . عبد الوهاب علوب  
ت . طلعت الشايب  
ت . أحمد محمود  
ت . ماهر شفيق فريد  
ت . سحر توفيق  
ت . كاسيليا صبحى  
ت . وجيه سمعان عبد المسيح  
ت . مصطفى ماهر  
ت . أمل الجبورى  
ت . نعيم عطية  
ت . حسن بيومى  
ت . عدلى السمرى  
ت : سلامة محمد سليمان



- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث كارلوس فورتيس  
١٤٦ - الورقة الحمراء ميجيل دي ليس  
١٤٧ - حملة الإدانة الطويلة تانكريد مورست  
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكي أنغرسون إمرت  
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس عاطف فضول  
١٥٠ - التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان  
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) فرنان برودل  
١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى نخبة من الكتاب  
١٥٣ - غرام الفراشة فيولين فاتورك  
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت فيل سليتر  
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر نخبة من الشعراء  
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى جي آنال وآلان وأوديت شيرمو  
١٥٧ - خسرو وشيرين النظامي الكوجي  
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) فرنان برودل  
١٥٩ - الإيديولوجية ديفيد هوكس  
١٦٠ - آلة الطبيعة مول إيرليش  
١٦١ - من المسرح الإنساني اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا  
١٦٢ - تاريخ الكنيسة يوحنا الأسبيري  
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ جورجون مارشال  
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) جان لاكوتير  
١٦٥ - حكايات الثلج أ. ن. أفانا سيفا  
١٦٦ - العلاقات بين الشيئين والطائنين في إسرائيل يشعياهو ليفمان  
١٦٧ - في عالم طاعور رابندراتنا طاغور  
١٦٨ - دراسات في الأنث والتقاليد مجموعة من المؤلفين  
١٦٩ - إبداعات أدبية مجموعة من المبدعين  
١٧٠ - الطريق ميفيل دليبيس  
١٧١ - وضع حد فرانك بيجو  
١٧٢ - حجر الشمس مختارات  
١٧٣ - معنى الجمال واتر ت. ستيس  
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء ايليس كاشمور  
١٧٥ - التلفزيون في الحياة اليومية لورينزو فيلشس  
١٧٦ - نهر مفهوم للاقتصاديات البيئية توم تيتنبرج  
١٧٧ - أنطون تشيخوف هنري تروايا  
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث نخبة من الشعراء  
١٧٩ - حكايات أيسوب أيسوب  
١٨٠ - قصة جالويد إسماعيل نصيب  
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي فستنت ، ب. ليتش
- ت . أحمد حسان  
ت . علي عبد الرزاق البعبي  
ت . عبد الغفار مكاوي  
ت . علي إبراهيم علي منولى  
ت . أسامة إسر  
ت . منيرة كروان  
ت : بشير السامى  
ت . محمد محمد الخطايب  
ت . فاطمة عبد الله محمود  
ت . خليل كلفت  
ت : أحمد مرسى  
ت . مى القيساني  
ت . عبد العزيز بقوش  
ت . بشير السامى  
ت : إبراهيم فتحى  
ت . حسين بيومى  
ت : زيدان عبد العليم زيدان  
ت . صلاح عبد العزيز محبوب  
ت بإشراف . محمد الجوهري  
ت . نبيل سعد  
ت . سهير المصايفة  
ت . محمد محمود أبو خنير  
ت . شكرى محمد عباد  
ت : شكرى محمد عباد  
ت . شكرى محمد عباد  
ت : بسام ياسين رشيد  
ت . هدى حسين  
ت . محمد محمد الخطايب  
ت . إمام عبد الفتاح إمام  
ت . أحمد محمود  
ت . وجيه سمعان عبد المسيح  
ت . جلال البنا  
ت . حصة إبراهيم منيف  
ت : محمد حمدى إبراهيم  
ت . إمام عبد الفتاح إمام  
ت . سليم عبد الأمير حمدان  
ت . محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنزوة      و . ب . بيتس
- ١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما      وينيه جيلسون
- ١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام      هانز إيندورفر
- ١٨٥ - أسفار العهد القديم      توماس تومسن
- ١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل      ميخائيل أتوود
- ١٨٧ - الأرضة      يُونُجْ علوى
- ١٨٨ - موت الألب      اللين كرنان
- ١٨٩ - العمى والبصيرة      پول دى مان
- ١٩٠ - محاورات كوتفوشويس      كوتفوشويس
- ١٩١ - الكلام رأسمال      الحاج أبو بكر إمام
- ١٩٢ - سياحتهامه إبراهيم بيك      زين العابدين المراسي
- ١٩٣ - عامل المنعم      بيتر أبراهامر
- ١٩٤ - مخبرات من لقد الأخطو - لمركى      مجموعة من المقاد
- ١٩٥ - شتاء ٨٤      إسماعيل قصيح
- ١٩٦ - المهلة الأخيرة      فالنتين راسبوتس
- ١٩٧ - الفاروق      شمس العلماء شبلو النعماس
- ١٩٨ - الاتصال الجماهيرى      إدوين إمري وآخرون
- ١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية      يعقوب لاندوى
- ٢٠٠ - ضحايا التنمية      جيرمى سيبيروك
- ٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة      جوزايا روس
- ٢٠٢ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج١      وينيه ويليك
- ٢٠٣ - الشعر والشاعرية      الطاف حسين حالى
- ٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم      زلمان شاراز
- ٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات      لويجى لوقا كافالى - سفورزا
- ٢٠٦ - الهولوية تمنع علماً جديداً      جيمس جلايك
- ٢٠٧ - ليل إفريقيا      رامون خوقاسنديز
- ٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى      دان أوربان
- ٢٠٩ - السرد والمسرح      مجموعة من المؤلفين
- ٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى      سنائى الفرنزوى
- ٢١١ - فريديان دوسوسير      جوناتلن كلز
- ٢١٢ - قصص الأمير مرزيان      مرزيان بن رستم بن شروين
- ٢١٣ - مصر قديم تالين حتى رحل جد قلمر      ريمون فلاور
- ٢١٤ - قواعد جديدة المنهج فى علم الاجتماع      أنتوى جينتز
- ٢١٥ - سياحت نلمه إبراهيم بيك ج٢      زين العابدين المراسي
- ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم      مجموعة من المؤلفين
- ٢١٧ - مسرحيتان طليعتان      صمويل بيكيت
- ٢١٨ - رايولا      خواين كورتازان
- ت . ياسين طه حافظ
- ت . فتحى العشرى
- ت . نسوتى سعيد
- ت . عبد الوهاب علوب
- ت . إمام عبد الفتاح إمام
- ت . علاء منصور
- ت . بدر الديب
- ت . سعيد الفانمى
- ت . محسن سيد فرجاني
- ت . مصطفى حجازى السيد
- ت . محمود سلامة علاوى
- ت . محمد عبد الواحد محمد
- ت . ماهر شفيق فريد
- ت . محمد علاء الدين منصور
- ت . أشرف الصباغ
- ت . جلال السعيد الحفناوى
- ت . إبراهيم سلامة إبراهيم
- ت . جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ت . فخرى لبيب
- ت . أحمد الانتصارى
- ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت . جلال السعيد الحفناوى
- ت . أحمد محمود هويدى
- ت . أحمد مستجير
- ت . على يوسف على
- ت . محمد أبو العطا عبد الرؤوف
- ت . محمد أحمد صالح
- ت . أشرف الصباغ
- ت . يوسف عبد الفتاح فرج
- ت . محمود همدى عبد الفتى
- ت . يوسف عبد الفتاح فرج
- ت . سيد أحمد على الناصرى
- ت . محمد محمود محى الدين
- ت . محمود سلامة علاوى
- ت . أشرف الصباغ
- ت . نادية البنهاوى
- ت . على إبراهيم طلى منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانو ايشحورو	ت . طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية في الكون	بارى ياركر	ت . على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريحورى حوزدانييس	ت . رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالك جرائ	ت . نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيرانتر	ت . السيد محمد مفادى
٢٢٤ - نمار يوسلافيا	يرانكا ماجاس	ت . منى عبد الطاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية عريق	جابريل جارتيا ماركت	ت . السيد عبد الطاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	فيفيد هريت لوراس	ت . طاهر محمد على البريرى
٢٢٧ - المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى مارديا ليف دوركى	ت . السيد عبد الطاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جاسيت وولف	ت . ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مازق البطل الوحيد	نورمان كيومان	ت . أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الثياب والفئران والنشر	فرانسواز جاكوب	ت . مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت . جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت . مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	لرثر هيرمان	ت . طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سينسر تريمنجهام	ت . فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - نيوان شمس تبريرى ج ١	جلال الدين الرومى	ت . إبراهيم الصوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت . أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روين فيدين	ت . عنيات حسنى طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت . ياسر محمد جاد الله وعيسى مندولى أحمد
٢٣٩ - العربى في الأدب الإسرائيلى	جيلاراف - رايوح	ت . نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فائق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت . صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت . ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الفصوص	وايام إيميمون	ت . صبرى محمد حسن عبد الننى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية جا ١	ليفى بروفتسال	ت . مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت . نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أفيص	ت . توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركت	ت . على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والعداة في مصر	روالتر أرميرست	ت . محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول حنن الخضراء	أنطونيو جالا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمرق	دراجو شتامموك	ت . رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فيك	ت . ماجدة أبانلة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت . بإشراف محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو مدوان	ت . على مدوان
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيميتوفا	ت . حسن نبوى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجوى جروافز	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجوى جروافز	ت . إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - بيكارث	ديف روينسون وجولي جروفرز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وايم كلي رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : قاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد مندوزا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حالة الزمن	جون جرين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلي	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	لويسكار وايلد وسموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم صويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطي
٢٦٨ - ديوان شمس تهراني ج ٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وايم جيلفورد بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وايم جيلفورد بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الفريجية	توماس سي . باترسون	ت : شوقي جلال
٢٧٢ - الألبيرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : هنان الشهاوي
٢٧٤ - السيدة بيارا	رومولو جلايوس	ت : محمود علي مكي
٢٧٥ - س. ه. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الهينات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزي
٢٧٨ - البدايات	إسمحق حليموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من القلب الهنسي الحديث والعصر	بروم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفربوس الأعلى	مولا نا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت : جلال الحفناوي

### ( زحمت الطبع )

٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لوس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روانو	ت : علي البمبي
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	بيرسينس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الحاجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المرائي	ت : محمود سلامة علاوي
٢٨٧ - الثقافة والعلة والنظام العالي	أنتوني كنج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائي	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطي
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوس	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج مونا	ت : أحمد زكريا إبراهيم

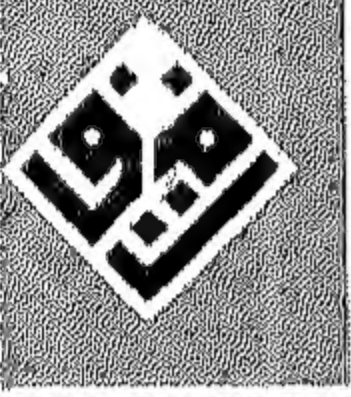
٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١	فرانشيسكو رويس رامون	ت . السيد عبد الطاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت . السيد عبد الطاهر
٢٩٣ - مقنعة للآداب العريى	روجر آلان	ت . نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	يوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأمطورة	جوزيف كامبل	ت . بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وايم شكسبير	ت . محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ - فن الشعر بين اليونانية والسورية	ليونيسيس ثراكس - يوسف الأهواى	ت . ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تالوايليه	ت . مصطفى حجازى
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. مارس	ت . هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة بومبى في التاريخ الحضارى	لويس عوض	ت . جمال الجزيرى وبهاء چامى
٣٠١ - فلسفة الولاء	جوزيا باريس	ت . أحمد الأنصارى
٣٠٢ - قصص قصيرة من الهند	داكر سهيل نجارى	ت . جلال الطنابى
٣٠٣ - المعرفة والمصلحة	جيرجين همراس	ت . حسن حنفر
٣٠٤ - تاريخ الأدب في إيران	على أصغر حكمت	ت . محمد علاء الدين منصور
٣٠٥ - اضطراب في الشرق الأوسط	بيوش بير وجلو	ت . فخرى لييب
٣٠٦ - يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن	ت . عبد العزيز بقوش
٣٠٧ - راينر ماريا روكه	راينر ماريا روكه	ت . حسن حلمى
٣٠٨ - سلمان وإيسال	نور الدين عبد الرحمن	ت . عبد العزيز بقوش
٣٠٩ - العالم البرجوازى الزائل	فادين جورديمر	ت . سمير عبد ربه
٣١٠ - الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت . سمير عبد ربه
٣١١ - الركب خلف الزمن	بونه ندائى	ت . يوسف عبد الفتاح فرح
٣١٢ - منبر مصر	رشاد رشدى	ت . جمال الجريزى
٣١٣ - الصبية الطائشون	جان كوكو	ت . بكر الطو
٣١٤ - المتصوفة الأولون	محمد فؤاد كويريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣١٥ - دليل القارئ والثقافة الجادة	آرثر والدون وآخرون	ت . أحمد عمر شاهين
٣١٦ - بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت . عطية شحاته
٣١٧ - مبادئ المنطق	جوزيه رويس	ت . أحمد الأنصارى
٣١٨ - شعرية كفافس	تسطنطيس كفافس	ت . نعيم عطية
٣١٩ - الفن الإنسانى في الفن (الزخرفة الهندسية)	باسيليو يامون مالدوناند	ت . على إبراهيم على منولى
٣٢٠ - الفن الإنسانى في الفن (الزخرفة النباتية)	باسيليو يامون مالدوناند	ت . على إبراهيم على منولى
٣٢١ - التيارات السياسية في إيران	حميد مرتضى	ت : محمود سلامة علوى











# فردوس برين

كتب شرر روايته الفردوس الأعلى سنة ١٨٩٩م؛ فقدم لكتاب الرواية في شبه القارة الهندية نموذجاً طيباً للرواية، إذ تعد فردوس برين أو الفردوس الأعلى من ناحية الشكل الروائي من أحسن رواياته، رغم أنها من ناحية فن كتابة الرواية التاريخية لم تحقق النجاح المطلوب. إنها تعد حجر الأساس للشكل الروائي في الأدب الأردى، فعناصر الرواية هنا تتجمع لتعطى تأثيراً كاملاً في القراء؛ إذ نلاحظ أن الحكمة الروائية، ورسم الشخصيات، وتصوير البيئة، والتعبير عن العواطف وفلسفة الحياة، كل هذه العناصر تتجمع لتعطى التأثير الذى يمكن أن تتصف به الرواية الدرامية.

وبترجمة هذه الرواية نقدم لقراء العربية وللمهتمين بالآداب الشرقية نموذجاً فريداً من نماذج الأدب الروائي الشرقى بقلم أديب أدباء الهند الكبار، وسوف تتيح هذه الترجمة للمهتمين بالشرقية والدراسات الأدبية المقارنة فرصة للتعرف على الأدب الأردى الذى يرجع تاريخه إلى نهاية القرن التاسع عشر القرن العشرين.